

تفسير الفاسي
المسكت

محاضر التلاوة

تأليف علامه عظيم الشان

محمد جمال الدين الفاسي

ونف على طبعه ونصحه ، ورقمه وخرج آياته وأحاديثه ، وعلق عليه

(خادم الكتاب والسنة)

محمد فؤاد عبد الباقي

كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ
[٢٨ / ص / ٢٩]

تفسير الفاسمي

المسكبي

محاسن التاويك

تأليف علامة الشام
محمد جمال الدين الفاسمي

١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ ١٨٦٦ - ١٩١٤ م

الجزء السابع عشر

وفيه تفسير : ٧٦ - سورة الإنسان ، وما بعدها ، إلى ١١٤ - سورة الناس

وقف على طبعه وتصحيحه ، ورقمه وخرج آياته وأحاديثه ، وعلق عليه

محمد زكي عبد الباقى

عيسى الباقى الحلبى وشركاه

كلمة

كاتب الشرق الأكبر ، عطوفة أمير البيان

الأخير شكيب أرسلان

في مقدمته لكتاب « قواعد التحديث »

للمؤلف ، رضى الله عنه

« وإنى لأوصى جميع الناشئة الإسلامية ، التي تريد أن تفهم الشرع فهماً ترتاح إليه ضمائرهما ، وتنعقد عليه خناصرها ، ألا تقدم شيئاً على قراءة تصانيف المرحوم الشيخ جمال القاسمي »
جنيف . رجب الفرد ١٣٥٣ هـ

كلمة

مصلح العصر الإمام

السيد محمد رشيد رضا

في مجلد المنار السابع عشر ، صفحة ٥٥٨

« هو علامة الشام ، ونادرة الأيام ، والمجدد لعلوم الإسلام ، محي السنة بالعلم والعمل والتعليم ، والتهذيب والتأليف ، وأحد حلقات الاتصال بين هدى السلف ، والارتقاء المديني الذي يقتضيه الزمن »

كلمة

حضرة صاحب الفضيلة ، عالم الشام الأواحد

الشيخ محمد بهجة البيطار

في مقدمته لكتاب « قواعد التحديث »

للمؤلف رضى الله عنه

« إن مما يقضى بالمعجب من أمر أستاذنا المؤلف رحمه الله تعالى ، هو كونه خلف زهاء مائة مصنف أو أكثر ، ولم يبلغ الخمسين من عمره . ونادر جداً أن ترى كتاباً ، في خزائنه الواسعة ، مخطوطاً كان أو مطبوعاً ، خالياً من التعليقات الكثيرة ، والتصحيح على الأصول الخطيئة الصحيحة .

ولقد كان ، رحمه الله ، آية في المحافظة على الوقت ، والمواظبة على العمل » . (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٦ - سورة الإنسان

وتسمى سورة (الدهر) و (الأمشاج) و (هل أتى) وهي مكية وآيها إحدى وثلاثون .

رَوَى الإمام مسلم^(١) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ : كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة - ألم تنزيل السجدة - و - هل أتى على الإنسان .

(١) أخرجه في : ٧ - كتاب الجمعة ، حديث رقم ٦٤ (طبعنا) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا)
« هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا » أى فى ذلك الحين ، بل كان شيئاً منسياً ، نطقته فى الأصلاب . والاستفهام للتقرير .

قال الشهاب : أى الحمل على الإقرار بما دخلت عليه ، والمقرر به من ينكر البعث . وقد علم أنهم يقولون : نعم ، قد مضى دهر طويل للإنسان فيه . فيقال لهم : فالذى أوجدكم بعد أن لم تكونوا ، كيف يمتنع عليه إحيائهم بعد موتهم ؟ والمراد بالإنسان جنس بنى آدم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢] (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)
« إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ » أى ذات أخلاط ، وهى موادها المؤلفة منها . جمع مشج أو مشيج . كسبب وأسباب ، ونصير وأنصار . أو مفرد ، كبرمة أعشار (البرمة القدر . وأعشار أى منكسرة كأنها صارت عشر قطع) انتهى « نَبْتَلِيهِ » أى نختبره . والجملة فى موضع الحال أى خلقناه مبتلين له ، أى مرادين ابتلاءه ، لاعتباوسدى « فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا » أى لننظر هل يصرف سمعه وبصره إلى استماع آيات الله والنظر فيها . ولما كان تمام المنة بهما بهبة العقل ، أشار إليه بقوله سبحانه :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣] (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)
« إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ » أى سبيل الخير والشر والنجاة والهلاك . أى عرفناه وبيناه

ذلك، بأدلة العقل والسمع « إِمَّا شَاكِرًا » أى بالاهتداء والأخذ فيه « وَإِمَّا كَفُورًا » أى بالإعراض عنه . ونصبهما بـ (يكون) مقدرة . أى ليسكون إما شاكراً وإما كفوراً . أى ليميز شكره من كفره، وطاعته من معصيته. كقوله^(١) (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) . (قال الرازى) قال القفال: وحجاز هذه الكلمة على هذا التأويل قول القائل: قد نصحت لك ، إن شئت فاقبل وإن شئت فاترك . أى فإن شئت فتحذف الفاء . فكذا المعنى (إنا هديناه السبيل) فإما شاكراً وإما كفوراً . فتحذف الفاء . وقد يحتمل أن يكون ذلك على جهة الوعيد . أى إنا هديناه السبيل فإن شاء فليشكر ، وإن شاء فليشكر . فإنا أعتدنا للكافرين كذا والشاكرين كذا . كقوله^(٢) (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) انتهى .

لطيفة :

قال فى (النهر) : لما كان الشكر قلّ من يتصف به قال (شاكرًا) ولما كان الكفر كثيراً من يتصف به ويكثر وقوعه من الإنسان بخلاف الشكر قال « كَفُورًا » بصيغة المبالغة . انتهى .

وهذا أطف من القول بمراعاة رؤوس الآى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤] (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا)

« إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا » أى ليقادوا بها ويستوثق بها منهم شدّا فى الجحيم « وَأَغْلَلًا » أى لتشد فيها أيديهم إلى أعناقهم « وَسَعِيرًا » أى نارا تسمر عليهم فتوقد .

(٢) [١٨ / الكهف / ٢٩] .

(١) [٦٧ / الملك / ٢] .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٥] (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا)

[٦] (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا)

« إِنَّ الْأَبْرَارَ » أى الذين برّوا بطاعتهم ربهم فى أداء فرائضه واجتناب معاصيه « يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ » أى خمر ، أطلقت عليها للمجاورة « كَانَ مِزَاجُهَا » أى ما تخرج به « كَافُورًا » قال ابن جرير^(١) : يعنى فى طيب رائحتها كالكافور . ولما كان الكافور من أطيباهم كان كناية عما يطيب به مما له عرف ذكى « عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا » أى يشربونها من منابعها فى روض الجنة ، إثارة مبهجة ، تفنناً فى النعيم . و(عيناً) منصوب بنحو (يؤتون) . والباء فى (بها) بمعنى من . وقوله تعالى :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٧] (يُوفُونَ بِالْإِذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا)

« يُوفُونَ بِالْإِذْرِ » استئناف مسوق لبيان ما لأجله رزقوا ما ذكر من النعيم ، مشتمل على نوع تفصيل لما ينبى عنه اسم الأبرار إجمالاً . كأنه قيل : ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية ؟ فقول : يوفون بما أوجبوه على أنفسهم ، فكيف بما أوجبه الله تعالى عليهم ؟ « وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ » أى عذابه « مُسْتَطِيرًا » منتشرًا ظاهراً للغاية .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨] (وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمًا عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)

« وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمًا عَلَىٰ حُبِّهِ » أى مع حب الطعام ، كقوله^(٢) (حَتَّىٰ تَنْفَقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ) أو على حب الله تعالى ، لما سيأتى من قوله^(٣) (لَوْجِهَ اللَّهِ) « مِسْكِينًا وَيَتِيمًا »

(١) انظر الصفحة رقم ٢٠٧ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٣ / آل عمران / ٩٢] . (٣) [٧٦ / الإنسان / ٩] .

وَأَسِيرًا « أى مأسوراً من حرب أو مصلحة . وإنما اقتصر على الثلاثة لأنهم من أهم من تجدر الصدقة عليهم . فإن المسكين عاجز عن الاكتساب لما يكفيه . واليتيم مات من يعوله ويكتسب له ، مع نهاية عجزه بصغره . والأسير لا يملك لنفسه نصراً ولا حيلة .
قال فى (الإكمال) : والآية تدل على أن إطعام المشرى مما يتقرب به إلى الله تعالى ،
أى لقوله سبحانه :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٩] إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا

« إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ » أى قائلين ذلك بلسان الحال أو المبال، إزاحة اتوهم المن البطل للصدقة وتوقع المكافأة . أى لا نقصد بإطعامكم إلا ثوابه تعالى والقربة إليه والزلفى عنده . وإطلاق (الوجه) على الذات مجاز مشهور « لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً » أى مكافأة « وَلَا شُكُورًا » أى ثناء ومديحاً .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٠] إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا

« إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا » أى عذاب يوم « عَبُوسًا » أى شديدا مظلما . أو تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه وطول بلائه « قَمْطَرِيرًا » أى شديد العبوسة والكرب . وخوفهم من اليوم كفاية عن عمل ما يؤمنهم فزعه وهوله ، من الصالحات .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١١] فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا

[١٢] وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا

[١٣] مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ، لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا

«فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ» أى بسبب ما ذكر من خوفهم منه «وَلَقَّعَهُمْ نُزْرَةً» أى فى الوجوه «وَسُرُّورًا» أى فى القلوب «وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا» أى على طاعة الله واجتناب محارمه والدعوة لسبيله واحتمال الأذى «جَنَّةً وَحَرِيرًا» أى يلبسونه ويتزيّنون به «مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ» أى الشرر «لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا» أى لا حرًا ولا بردًا . من باب ذكر الملزوم وإرادة اللازم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٤] (وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَدْلِيلًا)

[١٥] (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا)

[١٦] (قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا)

«وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا» أى ظلال أشجارها . أى قريبة منهم، مظلة عليهم، زيادة فى نعيمهم «وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَدْلِيلًا» أى سهلت ثمارها لمتناولها . فلا يرد أيديهم عنها بُعْدًا ولا شوك . «وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ» جمع كوب ، وهو كوز لاذن له «كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ» قال أبو البقاء : حسن التكرير لما اتصل به من بيان أصلهما . ولولا التكرير لم يحسن أن يكون الأول رأس آية ، لشدة اتصال الصفة بالموصوف «قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا» أى فى أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم . فجاءت كما قدروا . أو قدرها لهم السقاة على قدر ربيهم . لا يزيد ولا ينقص . وهو الدّلّ للشارب ، لكونه على مقدار حاجته ، لا يفضل عنها ولا يعجز .

قال أبو حيان : أقرب من هذا ما نحوه أبو حاتم . وهو أن أصله قدر ربيهم منها تقديرًا . والرى العطش ، فحذف المضاف وحرف الجر وأوصل الفعل له بنفسه .

قال الشهاب : وفى كونه أقرب ، نظر . فإنه أكثر تكلفًا . ولكن كل حزب بما لديهم فرحون .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٧] (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا)

[١٨] (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا)

« وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا » أى ما يشبهه في الطعم . وكانت العرب يستلذون الشراب المزوج به « عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا » وهى شديدة الجرية المناسبة بنوع خاص بهيج . ونصب (عَيْنًا) بنحو (يوتون) أو (ينظرون) .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٩] (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا)

« وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ » أى لا يموتون . أو دائم شبابهم لا يتغيرون عن تلك السن . أو مسورون . أو مقرطون . « إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا » أى لحسنهم وكثرتهم في منازلهم ، وانبتاشهم في منازلهم أما كنهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٠] (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا)

[٢١] (عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوءٌ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ

رَبَّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا)

« وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ » أى نظرت في الجنة ، ورميت بطرفك ما أوتى الأبرار « رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا » أى واسعاً لا ينفذ البصر « عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ » وهو ما رق من الحرير « خُضْرٌ » قرى بالرفع صفة لـ (ثِيَابُ) وبالجر لـ (سُنْدُسٍ) « وَإِسْتَبْرَقٌ » وهو ما غلظ من الديباج . وفيه القراءتان ، رفعا وجرا « وَحُلُوءٌ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ

رَبُّهُمْ شَرَّ آبَاءَ طَهُورًا « أى ليس برجس كخمر الدنيا . أو لأنه لم يعصر فتمسه الأيدي الوضرة ، وتدوسه الأقدام الدنسة ، ولم يجعل فى الدنان التى لم يُعْنَ بتنظيفها . والآية مما يستروح بها فى نجاسة الخمر ، لما فيها من التعريض بها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٢] (إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا)

« إِنْ هَذَا » أى ماعدة من ثوابهم « كَانَ لَكُمْ جَزَاءً » أى على ما قدمتم من الصالحات « وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا » أى مجازى عليه غير مضىع .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٣] (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا)

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا » أى عظيمًا لا يقدر قدره . أى فأمره الحق ووعد الصدق . والقصد تثبيت قلبه صلوات الله عليه ، وشرح صدره وتحقيق أن المنزل وحى . وعدم المبالاة برميهم له بالسحر والكهانة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٤] (فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءِثْمًا أَوْ كَفُورًا)

« فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ » أى من الصدع به ، والتبليغ لآيه ، والعمل بأوامره « وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءِثْمًا أَوْ كَفُورًا » أى ولا تطع فى معصيته تعالى من مشركى مكة ، من ركب الإثم وجاهر بالكفر ، ممن يريدك عن الرجوع عن دعوتك ، بما شئت من مال أو مطلب . و (أو) إما على بابها . أى لا تطع من كان فيه أحد هذين الوصفين ، فالنهي عن اجتماعيه يعلم بالطريق الأولى . وإما بمعنى الواو .

قال الفرّاء : (أو) ههنا بمنزلة الواو . وفي الجحد والاستفهام والجزاء يكون بمعنى (لا) فهذا من ذلك مع الجحد . انتهى .

وإما بمعنى (بل) إضراب إلى وصف هو به أخلق وأجدر . وإما للتخيير في التسمية .
أى من شئت تسميه بالآثم أو الكفور ، لتحقيق مفهومهما فيه .
القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٥] (وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)

[٢٦] (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا)

« وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ » أى بدعائه وتسبيحه والصلاة له « بُكْرَةً وَأَصِيلًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ » أى بالتهجد فيه « وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا » أى مقداراً طويلاً ، نصفه أوزيادة عليه . وفى هذه الأوامر ، مع الأمر فى أول (الزمل) وأمثالها ، ما يدل على العناية بقيام الليل والحرص عليه .

ويأتى البحث المتقدم هنا أيضاً ، فى أن الأمر خاص به صلوات الله عليه بناء على أنه للوجوب ، أو يشمل غيره تبعاً وهو للقدر المشترك ، قولان معروفان فى نظيره . والقصد حثه ﷺ أن يستعين فى دعوة قومه والصدع بما أمر به ، بالصبر على أذاهم والصلاة والتسبيح . وقد كثر ذلك فى مواضع من التنزيل كقوله (١) (وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) وقوله (٢) (فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ) وأمثالها .

(١) [٢ / البقرة / ٤٥] . (٢) [٥٠ / ق / ٣٩ و ٤٠] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٧] (إِنَّ هَآؤُلَآءِ مُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا)

« إِنَّ هَآؤُلَآءِ » أى المشركين « يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ » أى اللذات العاجلة ، فيسمعون لها جهدهم ، وإن أهلكوا الحرث والنسل « وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا » أى شديداً ، لثقل حسابه وشدته وعسره .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٨] (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ، وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا)

« نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ » أى خلقهم وأعضاء بناهم .

قال الشهاب : الأسر ، معناه ، لفة ، الشد والربط . ويطلق أيضاً على ما يشد ويربط به . ولذا سعى الأسير أسيراً بمعنى مربوط . فشبهت الأعصاب بالحبال المربوط بها ، ليقوى البدن بها . أو لإمسكها للأعضاء . ولذا سموها رباطات أيضاً .

« وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا » أى بإهلاكهم والإتيان بآخرين . وهذا محط الترهيب ، وما قبله كالتعليل له .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٩] (إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا)

« إِنَّ هَٰذِهِ » أى السورة ، أو الآيات القريسة « تَذْكِرَةٌ » أى عظة لمن تذكر واتعظ « فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا » أى بالطاعة الموصلة لقربه ، إيصال السبيل للمقاصد . فهو تمثيل .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣٠] (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)

[٣١] (يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ، وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)

« وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ » قال ابن جرير^(١) : أى وما تشاءون اتخاذ السبيل إلى ربكم إلا أن يشاء الله ذلك لكم ، لأن الأمر إليه لا إليكم . أى لأن ما لم يشأ الله وقوعه من العبد ، لا يقع من العبد . وما شاء منه وقوعه ، وقع . وهو رديف (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) هذا تأويل السالف . وقالت المعتزلة : أى وما تشاءون الطاعة إلا أن يشاء الله بقسرم عليها . والمسألة مبسطة في الكلام . وقد لخصناها في (شرح لقطعة المجلان) فارجع إليه . « إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا » أى بأحوالهم وما يكون منهم « حَكِيمًا » أى في تدبيره وصنعه وأمره « يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ » قال أبو السعود : بيان لإحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته . أى يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها . وهو الذى يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل إليه تعالى ، حيث يوقفه لما يؤدى إلى دخول الجنة من الإيمان والطاعة . « وَالظَّالِمِينَ » وهم الذين صرفوا مشيئتهم إلى خلاف ما ذكر « أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » يعنى عذاب النار . وقانا الله بجنه وكرمه .

(١) (تفسير ابن جرير) ج ١٠ ص ١٠٠

القول في تأويل قوله تعالى : (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)

(١) انظر الصفحة رقم ٢٢٧ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٧ - سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

وتسمى سورة العرف وهي مكية وآياتها خمسون .

روى البخاري^(١) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غارٍ عني ، إذ أنزلت عليه (والمرسلات) فإنه ليقولها ، وإنى لأتلقاها من فيه ، وإن فاه لرطب بها ، إذ وثبت علينا حية . فقال النبي ﷺ : اقلولها . فابتدرناها فذهبت . فقال النبي ﷺ : وقيت شركم كما وقيت شرها . وأخرجه مسلم^(٢) أيضاً .
وروى الإمام أحمد^(٣) عن ابن عباس عن أمه ؛ أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً . ورواه الشيخان^(٤) أيضاً .

- (١) أخرجه في : ٦٥ - كتاب التفسير ، ٧٧ - سورة والمرسلات ، ١ - باب حدثني محمود ، حدثنا عبيد الله ، حديث رقم ٩٢٧ .
- (٢) أخرجه في : ٣٩ - كتاب السلام ، حديث رقم ١٣٧ (طبعمتنا) .
- (٣) أخرجه في مسنده بالصفحة رقم ٣٣٨ من الجزء السادس .
- (٤) أخرجه البخاري في : ١٠ - كتاب الأذان ، ٩٨ - باب القراءة في المغرب ، حديث رقم ٤٦٣ ، عن أم الفضل .
وأخرجه مسلم في : ٤ - كتاب الصلاة ، حديث رقم ١٧٣ (طبعمتنا) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا)

[٢] (فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا)

[٣] (وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا)

[٤] (فَالْفَرِّقَاتِ فَرَقًا)

[٥] (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا)

[٦] (عُذْرًا أَوْ نَذْرًا)

[٧] (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ)

« وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا » إقسام بالرياح المرسلّة متتابعة كشعر العرف . أو بالملائكة المرسلّة بأمر الله ونهيه . وذلك هو العرف . أو بالمرسل من بنى آدم المبعوثّة بذلك « فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا » أى الرياح الشديداً المهبوب ، السريعات الممرّة « وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا » أى الرياح التى تنشر السحاب والمطر ، كما قال ^(١) (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) وقوله ^(٢) (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ) أو الملائكة التى تنشر الشرائع والعلم والحكمة والنبوة والهداية فى الأرض « فَالْفَرِّقَاتِ فَرَقًا » أى الملائكة التى تفرق بين الحق والباطل بسبب إزال الوحي والتنزيل . أو الآيات القرآنية التى تفرق كذلك . أو السحب التى نشرن الموات ففرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر

(١) [٧ / الأعراف / ٥٧] . (٢) [٣٠ / الروم / ٤٨] .

كقوله^(١) (لَأَسْفَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) « فَأَلْمَلَقِمَتِ ذِكْرًا » أى الملائكة الملقيات ذكر الله إلى أنبيائه ، المبلغات وحيه « عَذْرًا أَوْ نُذْرًا » أى إعداراً من الله لخلقه ، وإنذاراً منه لهم . مصدران بمعنى الإعدار والإنذار . أى الملقيات ذِكْرًا للإعدار والإنذار .
أى لإزالة إعدارهم ، وإنذارهم عقاب الله تعالى إن عصوا أمره « إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ »
جواب القسم . أى : إن الذى توعدون به من مجيء يوم القيامة والجزاء ، لسكائن نازل ،
كقوله^(٢) (وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعٌ) أو من زهوق ما أنتم عليه من الباطل ، وظفر الحق بقرنه ،
أو ما هو أعم . والأول أولى ، لإردافه بملاماته ، بقوله :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨] (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ)

[٩] (وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ)

[١٠] (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ)

[١١] (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِتَتْ)

[١٢] (لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ)

[١٣] (لِيَوْمٍ الْفَصْلِ)

[١٤] (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ)

[١٥] (وَيَلْهُ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

« فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ » أى محقت أو ذهب ضياؤها ، كقوله^(١) (أَنكَدَرْتُ) و^(٢) (أَنفَثَرْتُ)

(١) [٧٢ / الجن / ١٦] . (٢) [٥١ / الذاريات / ٦] .

(٣) [٨١ / التكوير / ٢] . (٤) [٨٢ / الانقطار / ٢] .

« وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ » أى شققت وصدعت « وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ » أى اقتلعت من أماكنها بسرعة . فكانت هباء منبثاً « وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِتَتْ » أى أجلت للاجتماع لوقتها يوم القيامة للشهادة على أممهم والفوز بما وعدوه من الكرامة . والهمزة من (أُقِتَتْ) مبدلة من الواو .

قال ابن جرير^(١) وقرأه بعض قراء البصرة بالواو وتشديد القاف . وأبو جعفر بالواو وتخفيف القاف . وكل ذلك قراءات معروفة ولغات مشهورات بمعنى واحد . فبأيها قرأ القارىء فحسب . غير أن من العرب من يستثقل ضمة الواو - كما يستثقل كسرة الياء فى أول الحرف ، فيهمزها .

« لَيْلَى يَوْمٍ أُجِلَّتْ » أى أخرت عن معاجلة الثواب والعقاب . أى يقال لآى يوم أجلت فاجلة مقول قول مضمّر ، هو جواب (إذا) أو حال من مرفوع (أقتت) والمعنى ليوم عظيم أخرت أمور الرسل . وهو تعذيب الكفرة وإهانتهم ، وتعظيم المؤمنين ورعايتهم ، وظهور ما كانت الرسل تذكره من أحوال الآخرة وأهوالها ، ولذا عظم شأن اليوم ، وهول أمره بالاستفهام . وقوله تعالى « لِيَوْمِ الْفَصْلِ » بدل مما قبله ، مبين له . أو متعلق بمقدر . أى أجلت ليوم الفصل بين الخلائق . وقد قيل : لأمه بمعنى (إلى) « وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ » أى بين السعداء والأشقياء . والاستفهام كناية عن تهويله وتعظيمه . « وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ » أى بيوم الفصل . كما قال فى سورة المطففين^(٢) (الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ) والتكذيب به ، إنكار البعث له والحشر إليه .

(١) انظر الصفحة رقم ٢٣٤ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٨٣ / المطففين / ١١] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٦] (أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ)

[١٧] (ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ)

[١٨] (كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ)

[١٩] (وَيَلْزَمُهُ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)

« أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ » أى الأمم الماضين المكذبين بالرسل والجاحدين بالآيات ، كقوم نوح ، وعاد ، وثمود . « ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ » أى من قوم لوط ، وموسى . فنسلك بهم سبل أولئك . وهو وعيد لأهل مكة « كَذَلِكَ » أى مثل ذلك الأخذ العظيم . « نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ » أى بكل من أجرم وطفى وبغى « وَيَلْزَمُهُ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ » . قال ابن جرير ^(١) : أى بأخبار الله التى ذكرها فى هذه الآية ، الجاحدين قدرته على ما يشاء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٠] (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ)

[٢١] (فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ)

[٢٢] (إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ)

[٢٣] (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ)

[٢٤] (وَيَلْزَمُهُ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)

« أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ » أى من نطفة ضعيفة « فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ »

(١) انظر الصفحة رقم ٢٣٥ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

أى رحم استقر فيها فتمكن « إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ » أى وقت معلوم لخروجه من الرحم « فَقَدَرْنَا » قرىء بالتخفيف والتشديد . أى قدرنا على ذلك أو قدرناه « فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ * وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ » أى بقدرته تعالى على ذلك ، أو على الإعادة .
القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٥] (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا)

[٢٦] (أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا)

« أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا » قال ابن جرير^(١) : أى وعاء . تقول هذا كِفْتُ هذا وكِفَيْتُهُ إذا كان وعاءه . والمعنى أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتِ أَحْيَائِكُمْ وَأَمْوَاتِكُمْ ، تكفت أحياءكم فى المساكن والمنازل فتضمهم فيها وتجمعهم ، وأمواتكم فى بطونها فى القبور فيدفنون فيها ؟ وجاز أن يكون عنى بقوله (كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا) تَكَفَّتْ أذَاهم فى حال حياتهم ، وَجِيفَتُهُمْ بعد مماتهم . انتهى .
و (الكفات) إما اسم جنس لما يضم ويقبض . يقال : كَفَتَهُ اللهُ إِلَيْهِ أى قبضه . ولذلك سميت المقبرة كَفْتَةً وَكِفَاتًا . ومنه الضم والجماع ، لما يضم ويجمع . يقال هذا الباب جماع الأبواب . وإما اسم آلة ، لأن فعلاً أكثر فيه ذلك . أو مصدر كقتال . أوّل المشتق ونعت به ، كرجل عدل . أو جمع كفات كصائم وصيام . أو كِفْتُ بكسر فسكون كقدح وقداح . و (كِفَاتًا) منصوب على أنه مفعول ثان لـ (نَجْعَلِ) لأنها للتصيير ، و (أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا) منصوبان على أنهما مفعولان به لـ (كِفَاتًا) .

قال الشهاب : وهذا ظاهر على كون (كِفَاتًا) مصدرًا أو جمع كافت . لا على كونه اسم آلة فإنه لا يعمل ، كما صرح به النحاة . وحينئذ فيقدر فعل ينصبه من لفظه ، كما صرح به ابن مالك فى كل منصوب بعد اسم غير عامل . وثمة وجوه أخر .

(١) انظر الصفحة رقم ٢٣٦ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

تنبيه :

في (الإكليل) قال إلكيا الهراسي : عنى بالكفات الانضمام . ومراده أنها تضمهم في الحالتين . وهذا يدل على وجوب موارد الميت فلا يرى منه شيء . وقال ابن عبد البر : احتج ابن القاسم في قطع النباش بهذه الآية . لأنه تعالى جعل القبر للميت كالبيت للحى ، فيكون حرزاً . انتهى .

ونقله القفال عن ربيعة . وعندى أن مثل هذا الاحتجاج من الإغراق في الاستنباط وتكلف التماس ما يؤيد المذهب المتبوع كيفما كان، مما يعد تعسفاً وتعصباً . وبين فحوى الآية وهذا الاستنباط ما بين المنجد والتمهم . ومثله أخذ بعضهم من الآية السابقة (لَا يَوْمَ أَجِلَّتْ) تأجيل القضاة المحصوم في الحكومات ، ليقع فصل القضاء عند تمام التأجيل . كما نقله في (الإكليل) عن ابن الفرّس . وماخذ الدين والتشريع ليست من الأحاجي والمعميات . وبالله التوفيق .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٧] (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْسِيَ شَمِخْتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا)

[٢٨] (وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

« وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْسِيَ شَمِخْتٍ » أى جبلاً شاهقات « وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا » أى عذبا « وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٩] (أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ)

« أَنْطَلِقُوا » أى يقال لهؤلاء المكذبين بهذه النعم والحجج التي احتج بها عليهم يوم القيامة : انطلقوا « إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ » أى من عذاب الله للكفرة الفجرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

- [٣٠] (أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ)
 [٣١] (لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ)
 [٣٢] (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ)
 [٣٣] (كَأَنَّهُ وَجِئَتْ صِفْرًا)
 [٣٤] (وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)
 [٣٥] (هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ)
 [٣٦] (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ)
 [٣٧] (وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)
 [٣٨] (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ، جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ)
 [٣٩] (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ)
 [٤٠] (وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

« أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ » أى فِرَاق . وذلك دخان جهنم المرتفع من وقودها ، إذا تصاعد تفرق شعباً ثلاثاً ، لمعظمه .

قال الشهاب : فيه استعارة تهكمية لتشبيه ما يعلو من الدخان بالظل . وفيه إبداع ، لأن الظل لا يعلو ذا الظل . وقوله تعالى « لَا ظَلِيلٍ » تهكم بهم . لأن الظل لا يكون إلا ظليلاً أى مظلاً . فنفيه عنه للدلالة على أن جعله ظلاً تهكم بهم ، ولأنه ربما يقولون أن فيه راحة لهم ، فنفي هذا الاحتمال بقوله (لَا ظَلِيلٍ) « وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ » أى لا يرد عنهم من هب

النار شيئاً. والمعنى أنه لا يظلمهم من حرّها ولا يكتهم من لهبها « إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ »
أى تقذف كل شررة كالقصر فى عظمها . والقصر واحد القصور .

قال ابن جرير^(١) : العرب تشبه الإبل بالقصور المنيّة ، كما قال الأخطل فى صفة ناقة :

كَأَنَّهَا بُرْجُ رُومِي يُشِيدُهُ لُزٌّ بِحِصٍّ وَأَجْرٌ وَأَحْجَارٍ

ثم قال : وقيل (بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) ولم يقل كالقصور . والشرر جمع . كما قيل (سَهْزَمُ
الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) ولم يقل الأدبار لأن الدبر بمعنى الأدبار . وفعل ذلك توفيقاً بين
رؤوس الآى ومقاطع الكلام . لأن العرب تفعل ذلك كذلك . ولبسانها نزل القرآن .

« كَأَنَّهُ وَجِمَلَتْ » وقرئ (جِمَلَتْ) جمع (جمال) جمع (جمل) . أو جمع (جمالة) جمع (جمل)
أيضاً . ونظيره : رجال ورجالات ، وبيوت وبيوتات ، وحجارة وحجارات . « صُفْرٌ » أى
فى لونها . فإن الشرار بما فيه من النارية يكون أصفر . وقيل : صفر أى سود .

قال قتادة وغيره : أى كالنوق السود ، واختاره ابن جرير^(٢) زاعماً أنه المعروف من كلام العرب
« وَيَلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ » أى بحجة . أو فى وقت من أوقاته .
لأنه يوم طويل ذو مواقف ومواقيت . أو جعل نطقهم كلاماً نطقاً ، لأنه لا ينفع ولا يسمع ،
فلا ينافى آية^(٣) (وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كَفَأَ مُشْرِكِينَ) وآية^(٤) (وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا)
وآية^(٥) (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) « وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ »
أى لا يعمد لهم الإذن فى الاعتذار ، لعدم قبول معذرتهم بقيام الحجة عليهم . وإنعالم يقل
(فيعتذروا) محافظة على رؤوس الآى . وقيل : هو معطوف على (يؤذن) منخرط معه فى
سلك النفي . والمعنى ولا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له ، من غير أن يجعل الاعتذار مسبباً عن
الإذن « وَيَلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ » أى الحق بين العباد « جَمَعَنَّاكُمْ » أى

(١) انظر الصفحة رقم ٢٤١ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) انظر الصفحة رقم ٢٤٢ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٣) [٦ / الأنعام / ٢٣] . (٤) [٤ / النساء / ٤٢] .

(٥) [٣٩ / الزمر / ٣١] .

حشرناكم فيه « وَالْأَوَّلِينَ » أى من الأمم الهالكة « فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ » أى احتيال للتخلص من العذاب « فَكِيدُوا » أى فاحتمالوا له .

قال الزمخشري : تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه، وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة « وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ » أى فإنه لا حيلة لهم فى دفع العقاب .
القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤١] (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ)

[٤٢] (وَفَوْكَاهُمْ مِمَّا يَشْتَهُونَ)

[٤٣] (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

[٤٤] (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)

[٤٥] (وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

[٤٦] (كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ)

« إِنَّ الْمُتَّقِينَ » أى الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه « فِي ظِلَالٍ » أى كنان من الحر والقر « وَعُيُونٍ » أى أنهار تجري خلال أشجار « وَفَوْكَاهُمْ مِمَّا يَشْتَهُونَ » أى يرغبون، مقولا لهم : « كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ » أى فى طاعتهم وعبادتهم وعملهم « وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ » أى حظكم حظ من أجرم، وهو الأكل والتمتع أياماً قلائل ، ثم البقاء فى الهلاك أبداً .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٤٧] (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

[٤٨] (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرَأَيْتُمْ كَعْمُونَ)

[٤٩] (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

[٥٠] (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)

« وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرَأَيْتُمْ كَعْمُونَ » أى اخضعوا لهذا الحق الذى نزل ، وتواضعوا لقبوله ، واخضعوا لذكره « لَا يَرُ كَعْمُونَ » أى لا يخضعون ولا ينفادون ولا يقبلون ، تجبراً واستكباراً « وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ » أى الذين كذبوا رسل الله ، فردوا عليهم ما بلغوا من أمر الله إياهم ونهيه لهم . وتكرير آية (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) للتأكيد . وهو من المقاصد الشائمة . وقيل : لا تكرار ، لاختلاف متعلق كل منها . وتقدم تمام البحث فى سورة (الرحمن) فارجع إليه فى خاتمتها « فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ » أى بعد هذا القرآن ، إذا كذبوا به ، مع وضوح برهانه وصحة دلائله ، فى أنه حق منزل من عنده تعالى . وفيه تنبيه على أنه لا حديث يساويه فى الفضل أو يدانيه ، فضلاً عن أن يفوقه ويعلموه ، فلا حديث أحق بالإيمان منه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٨ - سُورَةُ النَّبَأِ

وتسمى سورة (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) . وهي مكية ، وآيها أربعون .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ)

[٢] (عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ)

[٣] (الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ)

«عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ» أى هؤلاء المشركون بالله ورسوله. قال ابن جرير^(١) وذلك أن قریشا جعلت ، فيما ذكر عنها ، تختصم وتجادل فى الذى دعاهم إليه رسول الله ﷺ ، من الإقرار بنبوته ، والتصديق بما جاء به من عند الله تعالى ، والإيمان بالبعث. فقال الله تعالى لنبيه : فيم يتساءل هؤلاء القوم ويختصمون ؟ . و (فى) و (عن) فى هذا الموضع بمعنى واحد . انتهى . والاستفهام للتفخيم أو للتبكيت . والتفاعل إما على بابه ، أو هو بمعنى (فعل) . والمعنى على الأول يتساءلون فيما بينهم . وعلى الثانى يسألون الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، أو المؤمنين . قيل مجئ تفاعل بمعنى فعل إذا كان فى الفاعل كثرة ، مراعاة لمعنى التشارك بقدر الإمكان . ونوقش بأن (تفاعل) يكون بمعنى (فعل) كثيراً وإن لم يتعدد فاعله . كتوانى زيد وتدانى الأمر . بل حيث لا يمكن التعدد نحو^(٢) (تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) . وقوله :

«عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ» بيان للمفخم شأنه ، أو للمبكت من أجله «الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» أى مفقسون ، بعضهم يحجده وآخر يرتاب فيه .

(١) انظر الصفحة رقم ١ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٢٧ / النمل / ٦٣] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤] (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)

[٥] (ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)

« كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ » ردع للمتسائلين ووعيد لهم . والتكرير للمبالغة لحذف مفعول العلم . فإما أن يقدر سيعلمون حقيقة الحال وما عنه السؤال . أو سيعلمون ما يحل بهم من العقوبات والفساك . فتكريره مع الإيهام ، يفيد مبالغة . وفى (ثُمَّ) إشعار بأن الوعيد الثانى أشد . لأنها هنا للبعد والتفاوت الرتبى . فكأنه قيل : ردع وزجر لكم شديد ، بل أشد وأشد . وبهذا الاعتبار صار كأنه مغاير لما قبله . ولذا خص عطفه بـ (ثُمَّ) غالباً . هذا ملخص ما فى (العناية) .

ثم ذكرهم تعالى بدلائل قدرته وآيات رحمته ، بقوله :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦] (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا)

[٧] (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا)

[٨] (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا)

[٩] (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا)

[١٠] (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا)

[١١] (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا)

« أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا » أى فراشاً وموطئاً تمتهدونها وتفترشونها « وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا » أى أرسيناها بالجبال كما رسى البيت بالأوتاد ، حتى لا تميد بأهلها فيكمل

كون الأرض مهاداً بسبب ذلك . قال الإمام مفتى مصر : وإنما كانت الجبال أوتاداً لأن بروزها في الأرض كبروز الأوتاد المغروزة فيها ، ولأنها في تثبيت الأرض ومنعها من الميدان والاضطراب ، كالأوتاد في حفظ الخيمة من مثل ذلك . كأن أقطار الأرض قد شدت إليها . ولولا الجبال لكانت الأرض دائمة الاضطراب بما في جوفها من المواد الدائمة الجيشان . « وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا » أى ذكوراً وإناثاً . قال الإمام : ليتم الائتناس والتعاون على سمادة المعيشة وحفظ النسل وتكميله بالتربية .

« وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا » أى راحة ودعة ، بريح القوى من تعبها وبعيد إليها ما فقد منها . إطلاقاً للملزوم وهو (السبات) بمعنى النوم ، وإرادة لآلزام وهو (الاستراحة) . وقيل : السبات هو النوم الممتد الطويل السكون . ولهذا يقال فيمن وصف بكثرة النوم : إنه مسبوت وبه سبات . ووجه الامتنان بذلك ظاهر ، لما فيه من المفعة والراحة ، لأن التهويم والنوم الفرار لا يكسبان شيئاً من الراحة . وقد أفاض السيد المرتضى في أماليه في لطائف تأويل هذه الآية .

« وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا » أى كاللباس بإحاطة ظلمته بكل أحد ، وستره لهم . قال الرازى : ووجه النعمة في ذلك ، أن ظلمة الليل تستر الإنسان عن العيون إذا أراد هرباً من عدو أو بيئاته ، أو إخفاء مالا يحب الإنسان إطلاع غيره عليه . قال المتنبي :
وكم لظلام الليل عندي من يدٍ تخبر أن المانوية تكذب
وأيضاً ، فكما أن الإنسان ، بسبب اللباس ، يزداد جماله وتكامل قوته ويندفع عنه أذى الحر والبرد ، فكذا لباس الليل بسبب ما يحصل فيه من النوم يزيد في جمال الإنسان وفي طراوة أعضائه وفي تكامل قواه الحسية والحركية ، ويندفع عنه أذى التعب الجسماني وأذى الأفكار الموحشة .

« وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا » أى وقت معاش . إذ فيه تنقلب الخلق في حوائجهم ومكاسبهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٢] (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا)

[١٣] (وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا)

[١٤] (وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا)

[١٥] (لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا)

[١٦] (وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا)

« وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا » قال الرازي : أى سبع سموات شدادًا جمع (شديدة) معنى محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان ، لا فطور فيها ولا فروج .

وقال الإمام : السبع الشداد الطرائق السبع ، وهى ما فيه الكواكب السبعة السيارة المشهورة . وخصها بالذكر لظهورها ومعرفة العامة لها . « وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا » أى متلألئًا وقادًا . معنى الشمس « وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ » أى السحاب إذا أعصرت ، أى شارفت أن تعصرها الرياح « مَاءً ثَجَّاجًا » أى منصبًا متتابعًا « لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا » قال ابن جرير^(١) : الحب كل ما تضمنه كرم الزرع التى تحصد . والنبات الكلاً الذى يُرْعَى من الحشيش والزروع .

وقال الزمخشري : يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير ، وما يعلف من التبن والحشيش . كما قال^(٢) (كُلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ) .

« وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا » أى حدائق ملتفة الشجر ، مجتمعة الأغصان .

قال الرازي : قدم الحب لأنه الأصل فى الغذاء . وثنى بالنبات لاحتياج الحيوانات إليه .

(١) انظر الصفحة رقم ٧ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٢٠ / طه / ٥٤] .

وأخر الجنات لأن الحاجة إلى الفؤاد ليست بضرورية . ثم قال : وكان الكعبي من القائلين بالطبائع . فاحتج بقوله تعالى (لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا) الخ على بطلان قول من قال : إنه تعالى لا يفعل شيئاً بواسطة شيء آخر . أى لأن ارتباط المسببات بالأسباب مما بنى عليه سبحانه ، بحكمته الباهرة ، نظام العمران .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٧] (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا)

[١٨] (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا)

« إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ » أى يوم يفصل بين الناس ويفرق السعداء من الأشقياء ، باعتبار تفاوت الأعمال ، وهو يوم القيامة « كَانَ » أى عند الله وفى علمه وحكمه « مِيقَاتًا » أى حداً معيناً ، ووقتاً موقتماً ، ينتهى الخلق إليه ليرى كل جزء عمله « يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ » بدل من (يَوْمَ الْفَصْلِ) أو عطف بيان . كفاية عن اتصال الأرواح بالأجساد ، ورجوعها بها إلى الحياة والحشر فى الآخرة . كما قال القاشانى والشهاب .

وقال الإمام : النفخ فى الصور تمثيل لبعث الله للناس يوم القيامة بسرعة لا يمثلها إلا نفخة فى بوق^(١) (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) وعليها أن نؤمن بما ورد من النفخ فى الصور . وليس علينا أن نعلم ماهى حقيقة ذلك الصور : « فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا » أى فرقاً مختلفة ، كل فرقة مع إمامهم ، على حسب تباين عقائدهم وأعمالهم وتوافقها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٩] (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا)

[٢٠] (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا)

(١) [٣٩ / الزمر / ٦٨] .

« وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا » قال ابن جرير^(١) : أى وشققت السماء فصعدت ، فكانت طُرُقًا ، وكانت من قبل شِدَادًا لافطور فيها ولا صدوع .
وقال القاضي فيما نقله الرازى : وهذا الفتح هو معنى قوله^(٢) (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ)
و^(٣) (إِذَا السَّمَاءُ انْقَطَرَتْ) إذ الفتح والتشقق والتفطر تتقارب ، وهذا ، كما قاله ابن جرير ،
متين للغاية . وتعقب الرازى له ، وقوف مع الألفاظ لا يفيد . لاسيما والأصل هو التفسير
بالنظائر والأشباه .

« وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا » أى رفعت من أما كنها فى الهواء . وذلك إنما
يكون بعد تفتيتها وجعلها أجزاء متصاعدة كالهباء . وفى الآية تشبيهه بليغ . والجامع أن كلا
منهما يرى على شكل شىء ، وليس به . فالسراب يرى كأنه بحر وليس كذلك . والجبال إذا
فتت وارتفعت فى الهواء ، ترى كأنها جبال وليست بجبال . بل غبار غليظ متراكم ، يرى من
بعيد كأنه جبل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢١] (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا)

[٢٢] (لِلطَّاغِينَ مَنَابًا)

[٢٣] (لِّلشَّيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا)

[٢٤] (لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بِرَدًّا وَلَا شَرَابًا)

[٢٥] (إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا)

[٢٦] (جَزَاءً وَفَاءً)

(١) انظر الصفحة رقم ٨ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

[٨٤ / الانشقاق / ١] . [٨٢ / الانقطار / ١] .

« إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا » أى موضع رصد ، يرصد فيه خزنتها من كان يكذب بها وبالمعاد . على أن (مِرْصَادًا) اسم مكان . أو مجدة في ترصدهم وارتقاب مقدمهم . على أنه صيغة مبالغة « لِلطَّاعِينَ مَأْبَأً » أى للذين طغوا في الدنيا ، فتجاوزوا حدود الله استكباراً على ربهم ، منزلاً ومرجعاً يصيرون إليه « لِّلْمُتَّيِّبِينَ فِيهَا أَخْقَابًا » أى دهوراً متتابة إلى غير نهاية . كقوله ^(١) (خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) « لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا » أى روحاً وراحة « وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا » أى ماء حاراً انتهى غليانه « وَغَسَّاقًا » أى صديداً . وهو ما يخرج من جلودهم مما تصهرهم النار ، في حياض يجتمع فيها ، فيسقونه « جَزَاءً وَفَاءً » أى : جوزوا بذلك جزاء موافقاً لما ارتكبوه من الأعمال ، وقدموه من العقائد والأخلاق .
القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٧] (إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا)

[٢٨] (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا)

[٢٩] (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا)

« إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا » قال القاشانى : أى ذلك العذاب ، لأنهم كانوا موصوفين بهذه الرذائل من عدم توقع المكافآت والتكذيب بالآيات . أى لفساد العمل والعلم . فلم يعملوا صالحاً رجا الجزاء ، ولم يعلموا علماً فيصدقوا بالآيات .
« وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا » قال القاشانى : أى كل شيء من أعمالهم ضبطناه بالكتابة عليهم فى صحائف نفوسهم .

وقال الرازى : المراد من قوله (كِتَابًا) تأكيد ذلك الإحصاء والعلم . وهذا التأكيد إنما ورد على حسب ما يليق بأفهام أهل الظاهر . فإن المكتوب يقبل الزوال ، وعلم الله بالأشياء لا يقبل الزوال ، لأنه واجب لذاته . انتهى .

(١) [٣٣ / الأحزاب / ٦٥] .

وهو بمعنى ما نقله الشهاب ؛ أنه تمثيل لإحاطة علمه بالأشياء ، لتفهمنا . وإلا فهو تعالى غنى عن الكتابة والضبط . ومذهب السلف الإيمان بهذه الظواهر وتفويض تأويلها إلى الله تعالى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٠] (فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا)

[٣١] (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا)

[٣٢] (حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا)

[٣٣] (وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا)

[٣٤] (وَكَأْسًا دِهَاقًا)

[٣٥] (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا)

[٣٦] (جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا)

« فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا » أى يقال لهم ذلك ، تقريباً وغضباً وتأنيباً لهم من تخفيف العذاب ، وإعلاماً بمضاعفته .

ولما ذكر وعيد الكفار ، تأثره بوعد الأبرار ، بقوله سبحانه « إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا » أى فوزاً بالنعيم . ونجاة من النار ، التى هى مأب الطاغين « حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا » الحدائق جمع حديقة وهى البستان فيه أنواع الشجر الثمر المحوط بالحيطان المجددة به . والأعناب معروفة . قال ابن جرير^(١) : أى وكروم وأعناب ، فاستغنى بالأعناب عنها .

« وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا » أى بفات فلست ثديهن ، أى استدارت مع ارتفاع يسير « أَتْرَابًا » أى

(١) انظر الصفحة رقم ١٨ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

متساويات في السن « وَكَأْسًا دِهَاقًا » أى ملأى من خمرٍ لذة للشاربين « لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا » أى فى الجنة « لَعْنًا » أى باطلاً من القول « وَلَا كَذِبًا » أى مكاذبة . أى لا يكذب بعضهم بعضاً .

قال الإمام : اللغو والتكذيب مما تألم له أنفس الصادقين ، بل هو من أشد الأذى لقلوبهم . فأراد الله إزاحة ذلك عنهم « جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً » أى جزاء لهم على صالح أعمالهم ، تفضلاً منه تعالى بذلك الجزاء « حِسَابًا » أى كافياً ، أو على حسب أعمالهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٧] (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا)
« رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا » .

قال ابن جرير^(١) : أى لا يملكون أن يخاطبوا الله . قال : والمخاطب المخاصم الذى يخاصم صاحبه . وقال غيره : أى لا يملسكهم الله منه خطاباً فى شأن الثواب والعقاب . بل هو المتصرف فيه وحده . وهذا كما تقول (ملكت منه درهما) فـ (من) ابتدائية متعلقة بـ (يملكون) وعلى ما ذكره ابن جرير من أن المعنى لا يملكون أن يخاطبوه بشيء من نقص العذاب ، فـ (منه) صلة (خطاباً) كما تقول (خاطبت منك) على معنى خاطبتك . كـ (بعت زيدا) أو (بعت من زيد) فـ (منه) بيان مقدم على المصدر لا صلة (يملكون) . وقد قرئ (رب) و (الرحمن) بالجر وبالرفع . وقرئ بـ (بجر الأول) ورفع الثانى .

(١) انظر الصفحة رقم ٢٢ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣٨] (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ، لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ
الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا)

[٣٩] (ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا)

« يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ » أى جبريل عليه السلام وهو المعبّر عنه بروح القدس فى آية أخرى
وفيه أقوال أخر نقلها ابن جرير^(١) . وما ذكرناه أصوبها . والتزويل يفسر بمضه بمضاً .

ثم رأيت الرازى نقل عن القاضى اختياره ، قال : لأن القرآن دل على أن هذا الاسم
اسم جبريل عليه السلام . وثبت أن القيام صحيح من جبريل ، والكلام صحيح منه ، ويصح أن
يؤذن له . فكيف يصرف هذا الاسم عنه إلى خلق لا نعرفه ، أو إلى القرآن الذى لا يصح وصفه
بالقيام ؟ وقوله تعالى « وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا » قال القاشانى : أى صافين فى مراتبهم ، كقوله
تعالى^(٢) (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ وَمَقَامٌ مَّعْلُومٌ) . انتهى .

وقال الرازى : يحتمل أن يكون المعنى صفّاً واحداً . ويحتمل أنه صفان . ويجوز صفوفاً .
والصف فى الأصل مصدر ، فينبى عن الواحد والجمع . ورجح بعضهم الأخير ، لآية^(٣) (وَجَاءَ
رَبُّكَ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا) انتهى .

وقوله تعالى « لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا » أى لا يتكلمون
فى الشفاعة ، كقوله^(٤) (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) والضمير للملائكة أو أعم
كقوله^(٥) (يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) .

(١) انظر الصفحة رقم ٢٢ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٣٧ / الصافات / ١٦٤] . (٣) [٨٩ / الفجر / ٢٢] .

(٤) [٢ / البقرة / ٢٥٥] . (٥) [١١ / هود / ١٠٥] .

قال الزمخشري : هما شريطان : أن يكون المتكلم منهم مأذوناً له في الكلام ، وأن يتكلم بالصواب ، فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ^(١) (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ نَصِي) .

« ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ » أى الواقع الذى لا يمكن إنكاره و (الْحَقُّ) صفة أو خبر .
 « فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا » قال ابن جرير ^(٢) : أى فمن شاء اتخذ بالتصديق بهذا اليوم الحق ، والاستعداد له والعمل بما فيه ، النجاة له من أهواله ، مرجعاً حسناً يؤوب إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٠] (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا)

« إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا » يعنى عذاب الآخرة وقربه . لأن مبدأ الموت « يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ » أى من خير أو شر . أى يفطر جزاءه « وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا » أى مثله . لم أصب حظاً من الحياة ، لما يلقى من عذاب الله الذى أعد لأمثاله . وقانا الله بمنه وكرمه .

(١) [٢١ / الأنبياء / ٢٨] .

(٢) انظر الصفحة رقم ٢٥ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٩ - سُورَةُ النَّازِعَاتِ

وتسمى سورة الساهرة . والطامة . وهي مكية . وآياتها ست وأربعون .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا)

[٢] (وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا)

[٣] (وَالسَّابِقَاتِ سَبْعًا)

[٤] (فَالسَّابِقَاتِ سَبْعًا)

[٥] (فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا)

« وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا » بمعنى الغزاة أو أيديهم . يقال للراى (نزع فى قوسه) إذا مدها بالوتر . و (نزع فى قوسه فأغرق) و (أغرق النازع فى القوس) إذا استوفى مدها . ويضرب مثلاً للغلو والإفراط . و (غرقًا) بمعنى إغراقاً كالسلام بمعنى التسليم ، وهو الإغراق بحذف الزوائد . أو (وَالنَّازِعَاتِ) الكواكب . من (نزع الفرس سَنَةً) جرى طلقاً ، أى الجاريات على السير المقدر ، والحدّ المعين ، مجدة فى السير ، مسرعة للغاية . « وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا » أى الخيل لأنها تخرج من دار إلى دار . من قولهم (ثور ناشط) إذا خرج من بلد إلى بلد . أو هى السهام . بمعنى خروجها عن أيدي الرماة ونفوذها . وكل شىء حللته ، فقد نشطته . ومنه (نشاط الرجل) وهو انبساطه وخفته . أو الكواكب تنشط من برج إلى برج . « وَالسَّابِقَاتِ سَبْعًا » أى الخيل تسبح فى عدوها فتسبق إلى العدو . وهو مستعار من (سبى فى الماء) لكنه الحق بالحقيقة لشهرته . أو هى الكواكب تسبح فى الفلك . لأن مرورها فى الجو كالسبح ، كما قال تعالى ^(١) (كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون) . « فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا »

(١) [٢١ / الأنبياء / ٣٣] .

أى الخليل تسبق إلى العدو في حومة الوغى . أو الكواكب السيارة تسبق غيرها في السير ، لكونها أسرع حركة . « فَأَلَمَدَ بِرَاتٍ أَمْرًا » أى الخليل . أسند إليها أمر تدبير الظفر مجازاً ، لأنها سببه . أو المدبرات مثل المعربات . أى أنه يأتى في أدبار هذا الفعل الذى هو نزع السهام . وسبح الخليل وسبقها ، الأمر الذى هو النصر . أو هى الكواكب تدبر أمراً نيظ بها . كاختلاف الفصول وتقدير الأزمنة وظهور مواقيت العبادات ، مجازاً أيضاً . لأنها سببه . أو هى الملائكة تدبر ما نيظ بها من أمر الله تعالى . وقد جوز فيما قبلها أن تكون الملائكة أيضاً . واللفظ الكريم متسع لما ذكر من المعانى بلا تدافع . ولا إمكان للجزم بواحد ، إذ لا قاطع . ولذا قال ابن جرير^(١) : الصواب عندى أن يقال أنه تعالى أقسم بالنازعات غرقاً ، ولم يخص نازعة دون نازعة . فكل نازعة غرقاً ، فداخلة في قسمه ، ملكاً أو نجماً أو قوساً أو غير ذلك . وكذا عم القسم بجميع الناشطات من موضع إلى موضع . فكل ناشط فداخل فيما أقسم به ، إلا أن تقوم حجة يجب التسليم لها ، بأن المعنى بالقسم من ذلك ، بمض دون بعض . وهكذا في البقية . وكلامه رحمه الله متجه للغاية . إذ فيه إبقاء اللفظ على شموله ، وهو أعم فائدة . وعدم التكلف للتخصيص بلا قاطع . وإن كانت القرائن واستعمال موادها في مثلها وشواهداها ، مما قد يخص الصيغ . إلا أن التنزيل الكريم يتوقى في التشرع فيه مالا يتوقى في غيره .

لطائف :

قال أبو السعود : العطف مع اتحاد السكل ، بتنزيل التغيرات العنوائى منزلة التغيرات الذاتى . كما في قوله^(٢) :

إلى الملكِ القَرَمِ وابنِ الهُمَامِ وَلَيْثِ السَّكْتِيَةِ فى المَزْدَحَمِ
للإشعار بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من معظمت الأمور ، تحقيق بأن يكون على حياله .

(١) انظر الصفحة رقم ٢٨ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) ورد هذا البيت فى الخزانة (٢١٦ / ١) غير منسوب .

وكذلك هو فى (معانى القرآن) للفرأء (١ / ١٠٥) .

مناطاً لاستحقاق موصوفه للإجلال والإعظام، بالإقسام به من غير انضمام الأوصاف الأخر إليه. والفاء في الآخرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة . و (غَرْقًا) مصدر مؤكد بحذف الزوائد . وانتصاب (نَشْطًا) و (سَبْحًا) و (سَبْقًا) أيضاً على المصدرية . وأما (أَمْرًا) ففعول للمدبرات . وتمكيده للتحويل والتفخيم . والمقسم عليه محذوف، تعويلاً على إشارة ما قبله من المقسم به إليه ، ودلالة ما بعده من أحوال القيامة عليه، وهو (لنبعثن) وبه تعلق قوله تعالى: القول في تأويل قوله تعالى :

[٦] (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ)

[٧] (تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ)

[٨] (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ)

[٩] (أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ)

[١٠] (يَقُولُونَ أَعْنَانَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ)

« يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ » أى الواقعة التى ترجف عندها الأجرام الساكنة. أى تتحرك حركة شديدة وتزلزل زلزلة عظيمة. فالإسناد إليها مجازى لأنها سببه . أو التجوز فى الطرف يجعل سبب الرجف راجفًا . أو الراجفة الأجرام الساكنة التى تشقد حركتها حينئذ ، كالأرض والجبال . فتسميتها راجفة باعتبار الأول . قال الشهاب : ولو فسرت الراجفة بالحركة جاز ، وكان حقيقة . لأن (رجف) يكون بمعنى حرك وتحرك .

« تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ » أى السماء وما فيها . تردفها فتنشق وتنثرت كواكبها . ولوقوع ذلك فيها بعد الرجفة الأولى ، جعلت رادفة لها . أو الرادفة النفخة الثانية لبعث يوم القيامة .

قال الحسن : هما النفختان . أما الأولى فتميت الأحياء . وأما الثانية فتحي الموتى . ثم تلا الحسن ^(١) (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ

(١) [٢٩ / الزمر / ٦٨] .

اللَّهُ ثُمَّ نُنْفِخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿١٠﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿١١﴾ أى شديدة الاضطراب، خوفاً من عظيم الهول النازل « أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ » أى أبصار أهلها ذليلة، مما قد علاها من السكابة والحزن ، من الخوف والرعب . وقوله تعالى « يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرَدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ » قال ابن جرير^(١) : أى يقول هؤلاء المكذبون بالبعث من مشركى قريش ، إذا قيل لهم إنكم مبعوثون من بعد الموت : أننا لمردودون إلى حالنا الأولى قبل المات ، فراجعون أحياء كما كنا ؟ وقال أبو السعود : حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به ، إثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمى ، وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والأبصار . أى يقولون ، إذا قيل لهم إنكم تبعثون ، منكرين له متعجبين منه : أننا لمردودون بعد موتنا في الحافرة ؟ أى في الحالة الأولى . يعنون الحياة . من قولهم (رجع فلان في حافرتة) أى في طريقته التى جاء فيها فحفرها . أى أثر فيها بعشيه . وتسميتها (حافرة) مع أنها محفورة كقوله تعالى^(٢) (فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ) أى منسوبة إلى الحفر والرضا . أو كقولهم (نهارة صائم) على تشبيهه القابل بالفاعل . أى شبه القابل للفعل بمن يفعله ، لتزيله منزلته . فالاستعارة في الضمير المستتر ، وإثبات الحافرة له ، تخييل .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١١] (أَوَّحَا كُنَّا عِظَمًا نَخِرَةً)

[١٢] (قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ)

[١٣] (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ)

[١٤] (فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ)

(١) انظر الصفحة رقم ٣٣ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٦٩ / الحاقة / ٢١] .

« أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا تَّخِرَةً » أى بالية . وقرئ نَاحِرَةً . من (نحر العظم) بلى . فصار يمرّ به الريح فيسمع له نخير ، وقوله تعالى « قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ » أى ذات خسر . أو خاسرة أصحابها . أى إن صحت فنحن إذا خاسرون . قال ابن زيد : وأى كرة أخسر منها؟ أحيوا ثم صاروا إلى النار ، فكانت كرة سوء .

وقال أبو السعود : هذا حكاية لكفر آخر لهم ، متفرع على كفرهم السابق . ولعل توسيط (قالوا) بينهما للإيدان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار ، مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنها في كافة أوقاتهم . حسبما ينبىء عنه حكايته بصيغة المضارع . أى قالوا ذلك بطريق الاستهزاء ، مشيرين إلى ما أنكروه من الردة في الحافرة . وقوله تعالى « فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ » تعليل لمقدر يقتضيه إنكارهم لإحياء العظام النخرة التى عبروا عنها بالكرة . فإن مداره لما كان استصعابهم إياها ، رد عليهم ذلك ، فقيل : لا تستصعبوها فإنما هى صيحة واحدة . أى حاصلة بصيحة واحدة . وهى المفخة الثانية . وفيه تهوين لأمر الإعادة ، على وجه بليغ لطيف « فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ » أى على ظهر الأرض أحياء .

قال ابن جرير^(١) : والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة (قال) وأراهم سموا ذلك بها لأن فيه نوم الحيوان وسهرها . فوصف بصفة مافيه . وقيل لأن السراب يجرى فيها . من قولهم (عين ساهرة) التى يجرى ماؤها ، وفى ضدها نائمة . والسهر على الأول بمعناه المعروف ، والتجوز فى الإسناد .

وفى الثانى مجاز على المجاز ، لشهرة الأول التى ألحقته بالحقيقة . ثم ذكر سبحانه الكفرة ما حل بمن هو أشد منهم قوة ، لما طغوا ، ترهيباً وإنذاراً ، بقوله تعالى :

(١) انظر الصفحة رقم ٣٥ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٥] (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى)

[١٦] (إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِأَلْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)

« هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى » أى خبره حين ناجاه ربه تعالى . قال أبو السعود : ومعنى (هَلْ أَتَاكَ) إن اعتبر هذا أول ما أتاه عليه الصلاة والسلام من حديثه عليه السلام ، ترغيب له فى استماع حديثه . كأنه قيل هل أتاك حديثه أنا أخبرك به . وإن اعتبر إتيانه ، قبل هذا ، وهو المتبادر من الإيجاز فى الاختصاص ، حمله عليه الصلاة والسلام على أن يقر بأمر يعرفه قبل ذلك . كأنه قيل أليس قد أتاك حديثه ؟ .

وقال الشهاب : المقصود من الاستفهام التذكير لا التقرير ، كما قيل . ولا مجافاة فى المعنى على كلٍّ ، كما لا يخفى « إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِأَلْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى » إلى حين ناداه بالوادي المطهر المبارك . وهو واد فى أسفل جبل طور سيناء من برية فلسطين . و (إِذْ) ظرف للحديث لا الإتيان ، لاختلاف وقتيهما و (طُوًى) اسم لذلك الوادى . أو مصدر لنادى . أو المقدس . أى ناداه ندائين . أو المقدس مرة بعد أخرى .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٧] (أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ)

[١٨] (فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ)

[١٩] (وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ)

« أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ » أى عتا وتجاوز حدّه فى العدوان على بنى إسرائيل ، وانتحال صفات الربوبية ، ونسبتها إلى نفسه « فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ » أى تزكى

وتتطهر من دنس الشرك والطغيان . و (إِلَى) متعلقة بمبتدأ محذوف . أى هل لك سبيل أو رغبة إلى أن تتركى ؟

وقال أبو البقاء : لما كان المعنى أدعوك ، جىء بـ (إِلَى) فجعل الظرف متعلقاً بمعنى الكلام أو بمقدر يدل عليه « وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ » أى أرشدك إلى علم ما يرضيه عنك . وذلك الدين القيم « فَتَخْشَى » أى عقابه من سلب الملك وإذاقة البأس مكان النعم . وذلك بأداء ما أزمك من فرائضه واجتناب ما نهاك عنه من معاصيه . وفيه إشارة إلى أن الخشية مسببة عن العلم ، كما فى آية^(١) (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) أى العلماء به . قال الزمخشري : ذكر الخشية لأنها ملاك الأمر . من خشى الله أتى منه كل خير ، ومن أمن اجترأ على كل شر . وبدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض . كما يقول الرجل لضيفه : هل لك أن تنزل بنا ؟ وأردفه الكلام الرفيق ، ليستدعيه بالتلطف فى القول ، ويستنزله بالمداراة من عتوه . كما أمر بذلك فى قوله^(٢) (فَقُولَا لَهُ وَقُولَا لَنَيْنَا) . انتهى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٠] (فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى)

[٢١] (فَكَذَّبَ وَعَصَى)

[٢٢] (ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى)

[٢٣] (فَحَشَرَ فَنَادَى)

[٢٤] (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

[٢٥] (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى)

[٢٦] (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَمِبرَةً لِّمَن يَخْشَى)

(١) [٣٥ / فاطر / ٢٨] . (٢) [٢٠ / طه / ٤٤] .

« فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى » أى الدلالة الكبرى على أنه لله رسول أرسله إليه . والفاء فصيحة ، تفصح عن جمل قد طويت ، تعويلاً على تفصيلها في السور الأخرى . أى فذهب وبلغ ورجع وتحدث ، فأراه الآية الكبرى . وهى على ما قاله مجاهد ، عصاه ويده . أى عصاه إذ تحولت ثعباناً مبيناً . ويده إذ أخرجها بيضاء للناظرين . وإفرادها لأنهما كالآية الواحدة في الدلالة . أو هى العصا لأنها كانت المقدمة والأصل . والبقية كالتابع . قيل : وكونها كبرى باعتبار معجزات من قبله من الرسل . أو هو للزيادة المطلقة « فَكَذَّبَ وَعَصَى » أى فكذب فرعون موسى فيما أتاه من الآيات المعجزة ، ودعاها سحراً ، وعصاه فيما أمره به من طاعة ربه وخشيته إياه « ثُمَّ أَدْبَرَ » أى أعرض عما هدى إليه . أو انصرف عن المجلس كبراً « يَسْعَى » أى يجدد في معارضة الآية بالمكائد الشيطانية والحيل النفسانية . أو أدبر بعد ما رأى الثعبان ، مرعوباً مسرعاً في مشيه « فَحَشَرَ » أى جمع السحرة ، أو قومه وأتباعه « فَنَادَى » أى في المجمع بنفسه أو بعناد « فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى » أى على كل من يلى أمركم . وفى (التنوير) : أى أنا ربكم ورب أصنامكم الأعلى فلا تتركوا عبادتها .

قال القاضى : وقد كان الأليق به ، بعد ظهور خزيه عند انقلاب العصا حية ، أن لا يقول هذا القول . لأن ، عند ظهور الذلة والعجز كيف يليق أن يقول (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) ؟ فدلّت هذه الآية على أنه فى ذلك الوقت صار كالمعتوه الذى لا يدرى ما يقول . انتهى .

وهذا على أنه أراد بالرب الخالق والموجد . والظاهر أن مراده ذو السلطان الأعلى والنفوذ الأقوى . وأنه الذى يستأهل الطاعة دون غيره . ولا يخفى ما فيه من جحود قدرة الله تعالى التى هى فوق قدرته ، والكفر بآية موسى والصد عن دعوته . ولذا أخذ أشد الأخذ . فإنه لم يزل فى عتوه حتى تبع موسى وقومه إلى البحر الأحمر ، عند خروجه من مصر ، فأغرقه الله تعالى فى البحر . وهو معنى قوله تعالى « فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى » أى عذبه عذابهما . أى أن أخذه لم يكن مقصوراً على الإغراق وحده ، بل نكل به وعذبه عذاب يوم القيامة . و (نكال) مفعول مطلق (أخذ) يتأويل فى الأول أو فى الثانى ، والإضافة من قبيل إضافة

الموصوف إلى الصفة . وقيل الآخرة هي قوله (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) والأولى هي تكذيبه موسى حين أراه الآية

قال القفال: وهذا كأنه هو الأظهر . لأنه تعالى قال (فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) فذكر المعصيتين ثم قال (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى) فظهر أن المراد أنه عاقبه على هذين الأمرين . انتهى . وما ذكره القفال كان وقع في قلبي قبل أن أراه . وأراني في إشارته . ثم ختم تعالى القصة بقوله « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى » أى في أخذه وما أحل به من العذاب والخزى ، عظة ومعتبراً لمن يخاف الله ويخشى عقابه ، ويعلم أن هذه سنته في كل من يقاوم الحق ويحاربه . فإن نبأ الأولين عبرة للآخرين .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٧] (ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا)

[٢٨] (رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا)

[٢٩] (وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا)

[٣٠] (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)

[٣١] (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا)

[٣٢] (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا)

[٣٣] (مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنعَمِ لَكُمْ)

« ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ » خطاب للمكذِّبين بالبعث من قريش ، المتقدم قولهم أول السورة ، بطريق التبكيت ، لتنبيههم على سهولته في جانب القدرة الربانية . فإن من رفع السماء على عظمها ، هيّن عليه خلقهم وخلق أمثالهم ، وإحيائهم بعد مماتهم .

كما قال سبحانه ^(١) (لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) .
 وقوله تعالى ^(٢) (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ)
 ثم بين كيفية خلقها بقوله « بَنَمَهَا » قال ابن جرير ^(٣) : أى رفعها فجعلها للأرض سقفاً .
 وقال الإمام : البناء ضم الأجزاء المتفرقة بعضها إلى بعض ، مع ربطها بما يمسكها حتى يكون
 عنها بنية واحدة . وهكذا صنع الله بالسكواكب . وضع كلاً منها على نسبة من الآخر ،
 مع ما يمسك كلاً في مداره ، حتى كان عنها عالم واحد في النظر ، سمي باسم واحد وهو
 السماء التي تعملونا . وهو معنى قوله « رَفَعَ سَمَكَمَا » أى أعلاه (السمك) قامة كل شيء .
 وقد رفع تعالى أجرامها فوق رؤوسنا « فَسَوَّيْنَاهَا » عدلها بوضع كل جرم في موضعه
 « وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا » أى جعله مظلماً . قال ابن جرير ^(٣) : أضاف الليل إلى السماء ، لأن الليل
 غروب الشمس ، وغروبها وطلوعها فيها ، فأضيف إليها لما كان فيها ، كما قيل (نجوم الليل)
 إذ كان فيه الطلوع والغروب . « وَأَخْرَجَ ضُحَمَهَا » أى أبرز نهارها . و (الضحى) انبساط
 الشمس وامتداد النهار . وإيثار الضحى لأنه وقت قيام سلطان الشمس وكمال إشراقها .
 « وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ » أى بعد تسوية السماء على الوجه السابق ، وإبراز الأضواء
 « دَحَمَهَا » أى بسطها ومهددها لسكنى أهلها ، وتقليبهم في أقطارها « أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا »
 أى بأن فجر منها عيوناً وأجرى أنهاراً « وَمَرَعَهَا » أى رعيها وهو النبات .
 قال الشهاب : والمرعى ما يأكله الحيوان غير الإنسان . فأريد به هنا ، مجازاً ، مطلق
 المأكول للإنسان وغيره . فهو مجاز مرسل .

وقال الطيبي : يجوز أن يكون استعارة مصرحة . لأن الكلام مع منكرى الخشر
 بشهادة قوله (ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا) كأنه قيل : أيها الماعدون المزوزون في قرْن البهائم ،
 في التمتع بالدنيا والذهول عن الآخرة

(١) [٤٠ / غافر / ٥٧] . (٢) [٣٦ / يس / ٨١] .

(٣) انظر الصفحة رقم ٤٣ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

«وَالْجِبَالِ أَرْسَسَهَا» أى أوثقها فيها «مَتَعًا لَكُمْ وَلَا نَعْمًا لَكُمْ» أى انتفاعاً إلى حين .
قال أبو السعود : ونصبه إما على أنه مفعول له ، أى فعل ذلك تمتعاً لكم ولأنعامكم ، لأن
فائدة ما ذكر من البسط والتهديد وإخراج الماء والمرعى ، واصله إليهم وإلى أنعامهم . فإن المراد
بالمرعى ما يعم ما يأكله الإنسان وغيره - كما تقدم - وإمام مصدر مؤكد لفعله المضمّر . أى متعكم بذلك
متاعاً . أو مصدر من غير لفظه ، فإن قوله تعالى (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءً هَا وَمَرَْعَةً) فى معنى متع بذلك .
القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٤] (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ)

[٣٥] (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ)

[٣٦] (وَبُورَّتِ الْجَنَّةُ لِمَن يَرَىٰ)

[٣٧] (فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ)

[٣٨] (وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

[٣٩] (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)

[٤٠] (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ)

[٤١] (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)

« فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ » أى الداهية العظمى التى تطمّ على كل هائلة من
الأمور ، فتغمر ما سواها بمظلم هو لها . وهى القيامة للحساب والجزاء « يَوْمَ يَتَذَكَّرُ
الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ » أى ما عمل من خير أو شر . وذلك بعرضه عليه « وَبُورَّتِ الْجَنَّةُ لِمَن
يَرَىٰ » أى أظهرت نار الله لأبصار الناظرين « فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ » أى أفرط فى تعديه ومجاوزه
حد الشريعة والحق ، إلى ارتكاب العصيان والفساد والضلال « وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » أى
متاعها وشهواتها ، على كرامة الآخرة وما أعد فيها للأبرار « فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » أى

مأواه ومرجعه « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ » أى مقامه بين يديه للسؤال، أو جلاله وعظمته .
 أى انتقاء بأداء فرائضه واجتناب معاصيه « وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ » أى فيما يكرهه الله
 ولا يرضاه منها ، نخالفها إلى ما أمره به « فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » أى مصيره يوم القيامة .
 وجواب (إذا) محذوف لدلالة التقسيم عليه . تقديره : ظهرت الأعمال . أو انقسم الناس قسمين .
 القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٢] (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا)

[٤٣] (فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرُنَهَا)

[٤٤] (إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا)

[٤٥] (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يَّحْشَاهَا)

[٤٦] (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا)

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا » أى إقامتها . أى متى يقيمها الله ويكونها .
 قال الناصر : وفيه إشعار بثقل اليوم كقوله ^(١) (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا) ألا تراهم
 لا يستعملون الإرساء إلا فيما له ثقل ، كمرسى السفينة وإرساء الجبال « فِيمَ أَنْتَ مِنْ
 ذِكْرُنَهَا » أى فى أى شئ أنت من ذكر ساعتها لهم . أى ليس إليك ذكرها لأنها
 من الغيوب ، فلا معنى لسؤالهم إياك عنها . ولذا قال « إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا » أى منتهى علمها
 « إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يَّحْشَاهَا » أى ما بعثت إلا لإلذار من يخاف حسابها ، وعقاب الله
 على إجرامه . ولم تكلف علم وقت قيامها « كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً
 أَوْ ضُحَاهَا » أى كأن هؤلاء المكذبين بها ، وبما فيها من الجزاء والحساب ، يوم يشاهدون
 وقوعها ، من عظيم هولها ، لم يلبثوا فى الدنيا أو فى القبور إلا ساعة من نهار ، بمقدار عشية
 أو ضحاه . وإضافة الضحى إلى العشية ، لما بينهما من الملازمة ، لاجتماعهما فى يوم واحد .

(١) [٧٦ / الإنسان / ٢٧] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٠ - سُورَةُ عَبَسَ

وتسمى الصاخبة . مكية وآيها اثنتان وأربعون .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (عَبَسَ وَتَوَلَّى)

[٢] (أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى)

« عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى » .

روى ابن جرير ^(١) : وابن أبي حاتم : عن ابن عباس ، قال : بينا رسول الله ﷺ يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب ، وكان يتصدى لهم كثيراً ، ويحرص عليهم أن يؤمنوا ، فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم ، يمشى وهو يناجيه . فجعل عبد الله يستقرى النبي ﷺ آية من القرآن وقال : يا رسول الله ! علمنى مما علمك الله . فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه . وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه ، وأخذ ينقلب إلى أهله ، أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى (عَبَسَ وَتَوَلَّى) الآيات . فلما نزل فيه ما نزل ، أكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه ، وقال له رسول الله ﷺ : ما حاجتك ؟ هل تريد من شئ ؟ وإذا ذهب من عنده قال : هل لك حاجة فى شئ ؟ .

قال ابن كثير : وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة . والضحاك . وابن زيد . وغير واحد من السلف والخلف ؛ أنها نزلت فى ابن أم مكتوم . والمشهور أن اسمه عبد الله . ويقال عمرو . والله أعلم . انتهى .

وقال الرازى : أجمع المفسرون على أن الذى عبس وتولى هو الرسول صلوات الله عليه . وأجمعوا أن الأعمى هو ابن أم مكتوم . قال الشهاب : وهو مكى قرشى من المهاجرين الأولين .

(١) انظر الصفحة رقم ٥٩ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

وكان النبي ﷺ يستخلفه على المدينة في أكثر غزواته . وكان ابن خال خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها .

قيل : عمى رضى الله عنه بعد نور . وقيل : ولد أعمى . ولذا لقيت أمه أم مكتوم . والتعرض لعنوان عماء ، إما لتمهيد عذره في الإقدام على قطع كلامه ﷺ وتشاغله بالقوم : وإما لزيادة الإنكار . كأنه قيل : تولى لكونه أعمى . وكان يجب أن يزيد لهام ، تعطفاً وتروفاً وتقريباً وترحيباً .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣] (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ وَزَرًا كَرِيًّا)

[٤] (أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِّكْرَى)

[٥] (أَمَّا مَنْ أَسْتَفْنَى)

[٦] (فَأَن تَ لَهُ تَصَدَّى)

[٧] (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى)

[٨] (وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى)

[٩] (وَهُوَ يَخْشَى)

[١٠] (فَأَن تَ عَنْهُ تَلَهَّى)

« وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ وَزَرًا كَرِيًّا » أى يتطهر - بما يتلقن منك - من الجهل أو الإثم . وفي الالتفات إلى الخطاب إنكار للمواجهة بالعتب أولاً ، إذ في الغيبة إجلال له ﷺ ، لا يهينهم أن من صدر منه ذلك غيره ، لأنه لا يصدر عنه مثله . كما أن في الخطاب إيناساً بعد الإيحاء ، وإقبالاً بعد إعراض .

وقال أبو السعود : وكلمة (لعل) مع تحقق التزكى ، واردة على سنن الكبرياء أو على اعتبار معنى الترحى بالنسبة إليه عليه الصلاة والسلام . للتنبيه على أن الإعراض عنه ، عند كونه مرجو التزكى ، مما لا يجوز . فكيف إذا كان مقطوعاً بالتزكى ؟ كما في قولك (لعلك ستندم على ما فعلت) وفيه إشارة إلى أن إعراضه كان لتزكية غيره . وأن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر أصلاً « أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِّكْرَى » أى يعتبر ويتمتع فتنفعه موعظتك . وتقديم التزكية على التذكر ، من باب تقديم التخلية على التحلية .

« أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَى » أى بئاله وقوته عن سماع القرآن والهداية والموعظة « فَأَنْتَ لَهُ وَتَصَدَّى » أى تتعرض بالإقبال عليه ، رجاء أن يسلم ويهتدى « وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَرْكَبُ » أى وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالإسلام . إن عليك إلا البلاغ . قال الرازى : أى لا يبلغن بك الحرص على إسلامهم ، إلى أن تعرض عن أسلم ، للاشتغال بدعوتهم « وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى » أى يسرع فى طلب الخير « وَهُوَ يَخْشَى » أى يخاف الله ويتقيه « فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى » أى تعرض وتنشغل بغيره .

تنبيهات :

الأول : قال السيوطى فى (الإكليل) : فى هذه الآيات حث على الترحيب بالفقراء والإقبال عليهم فى مجالس العلم وقضاء حوائجهم ، وعدم إظهار الأغنياء عليهم . وقال الزمخشري : لقد تأدب الناس بأدب الله فى هذا تأدباً حسناً . فقد روى عن سفیان الثوري رحمه الله أن الفقراء كانوا فى مجلسه أمراء .

الثانى : فى هذه الآيات ونحوها ، دليل على عدم ضنه ﷺ بالغييب . قال ابن زيد : كان يقال : لو أن رسول الله ﷺ كتم من الوحي شيئاً ، كتم هذا عن نفسه .

الثالث : قال الرازى : القائلون بصدور الذنب عن الأنبياء عليهم السلام ، تمسكوا

بهذه الآية وقالوا : لما عاتبه الله في ذلك الفعل ، دل على أن ذلك الفعل كان معصية . وهذا بعيد . فإننا قد بينا أن ذلك كان هو الواجب المتمين ، إلا بحسب هذا الاعتبار الواحد . وهو أنه يوم تقديم الأغنياء على الفقراء . وذلك غير لائق بصلافة الرسول عليه السلام . وإذا كان كذلك ، كان ذلك جارياً مجرى ترك الاحتياط وترك الأفضل ، فلم يكن ذلك ذنباً البتة .

وأجاب الإمام ابن حزم في (الفِصَل) بقوله : وأما قوله (عَبَسَ وَتَوَلَّى) الآيات فإنه كان عليه السلام قد جلس إليه عظيم من عظماء قريش ، ورجا إسلامه . وعلم عليه السلام أنه لو أسلم لأسلم بإسلامه ناس كثير ، وأظهر الدين . وعلم أن هذا الأعمى الذي يسأله عن أشياء من أمور الدين لا يفوته ، وهو حاضر معه . فاشتغل عنه عليه السلام بما خاف فوته من عظيم الخير ، عما لا يخاف فوته . وهذا غاية النظر في الدين والاجتهاد في نصره القرآن في ظاهر الأمور ونهاية التقرب إلى الله ، الذي لو فعله اليوم منا فاعل ، لأُجِرَ . فعاتبه الله عز وجل على ذلك ، إذ كان الأولى عند الله تعالى أن يقبل على ذلك الأعمى الفاضل البر التقى ، وهذا نفس ما قلناه ! انتهى .

وقال القاشاني : كان عليه السلام في حجر تربية ربه ، لكونه حبيباً . فكلما ظهرت نفسه بصفة حجبته عنه نور الحق ، عوتب وأدب . كما قال (١) : (أدبني ربي فأحسن تأديبي) إلى أن تخلق بأخلاقه تعالى . انتهى . وقوله سبحانه :

القول في تأويل قوله تعالى :

[١١] (كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ)

[١٢] (فَمَنْ شَاءَ ذَكِّرْهُ)

[١٣] (فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ)

(١) في كشف الخفاء (١٦٤) : رواه العسكري عن علي رضي الله عنه .

[١٤] (مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ)

[١٥] (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ)

[١٦] (كِرَامٍ بَرَرَةٍ)

[١٧] (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)

« كَلَّا » ردع عن المعائب عليه وعن معاودة مثله . قال أنس رضى الله عنه : كان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه . رواه أبو يعلى . وقوله تعالى « إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ » أى إن المعاتبة المذكورة موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها .

قال الشهاب : وكون عتابه على ما ذكر عظة ، لأنه مع عظمة شأنه ومنزلته عند الله إذا عوتب على مثله . فما باله بغيره ؟ وجوز عود الضمير للآيات وللسورة ، وللوصية بالمساواة بين الناس ، ولدعوة الإسلام . وقوله تعالى « فَمَنْ شَاءَ ذَكِّرْهُ » أى حفظه . على أنه من (الذكر) خلاف النسيان : أو اتعظ به ، من (التذكير) .

قال الزمخشري : وذكر الضمير لأن التذكير فى معنى الذكر والوعظ . وقيل : الضمير للقرآن ، والكلام استطراد « فِي صُحُفٍ مُّسَكَّرَةٍ » يعنى صحف آيات التنزيل وسوره «مَرْفُوعَةٍ» أى عالية المقدار «مُطَهَّرَةٍ» من التغمير والنقص والضلالة «بِأَيْدِي سَفَرَةٍ» جمع سافر بمعنى سفير . أو هو الذى يسعى بين قومه بالصلح والسلام . يقال : سفر بين القوم ، إذا أصلح بينهم . ومنه قوله (١) .

وما أدعُ السفارةَ بين قوى وما أمشي يَفِشٍّ ، إن مَشَيْتُ

(١) قال فى حاشية ابن جرير (٣٠/٥٤) : البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (٣٥٨)

قال : وقوله بأيدى سفرة وهم الملائكة ، واحد هم سافر . يقال : سمرت بين القوم إذا أصلحت بينهم . فجعلت الملائكة ، إذ نزلت بوحي الله وتأديته ، كالسفير الذى يصلح بين القوم .

والسفرة ، إما الملائكة لأنهم يسفرون بالوحي بين الله تعالى ورسله ، كأنه محمول بأيديهم . وإما الأنبياء لأنهم وسائط في الوحي يبلغونه للناس « كِرَامِهِ » أى عنده تعالى ، لاصطفائهم للرسالة « بَرَرَةٍ » أى أخيار ، جمع (بَارٍ) وهو صانع البر والخير .

« قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » قال الرازى : اعلم أنه تعالى لما بدأ بذكر القصة المشتملة على ترفع صفات قريش على فقراء المسلمين ، عَجَبَ عباده المؤمنين من ذلك . فكأنه قيل : وأى سبب فى هذا العجب والترفع ؟ مع أن أوله نطفة قدرة وآخرة جيفة مذرة . وفيما بين الوقتين حال عذرة . فلا جرم ، ذكر تعالى ما يصلح أن يكون علاجاً لمعجبهم ، وما يصلح أن يكون علاجاً لكفرهم . فإن خلقة الإنسان تصلح لأن يستدل بها على وجود الصانع وعلى القول بالبعث والحشر والنشر . ومرجهه إلى أن المراد بالإنسان من استغنى عن القرآن الكريم الذى ذكرت نعمته الجليلة الموجبة للإقبال عليه والإيمان به . وجوز أن يراد بالإنسان الجنس المنتظم للمستغنى ، ولأمثاله من أفراد ، لا باعتبار جميع أفراد .

لطائف :

الأولى : قال الزمخشري : (قُتِلَ الْإِنْسَانُ) دعاء عليه وهى من أشنع دعواتهم . لأن القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائنها .

الثانية : قال ابن جرير ^(١) : فى قوله (مَا أَكْفَرَهُ) وجهان أحدهما التعجب من كفره مع إحسان الله إليه وأياديه عنده . والآخر ما الذى أكفره ؛ أى أى شيء أكفره . وعلى الثانية ، فالهمزة للتصيير كـ (أَغَدَّ البعيرُ) .

الثالثة : قال الزمخشري فى هذه الآية : ولا ترى أسلوباً أغلظ منه ولا أخشن متناً ولا أدل على سخط ولا أبعد شوطاً فى المذمة ، مع تقارب طرفيه ولا أجمع لِلَّامَةِ ، على قصر متنه . وسره ما أشار له الرازى من أن قوله (قُتِلَ الْإِنْسَانُ) تنبيه على أنهم استحقوا أعظم أنواع العقاب . وقوله (مَا أَكْفَرَهُ) تنبيه على أنهم اتصفوا بأعظم أنواع القبايح والمنكرات .

(١) انظر الصفحة رقم ٥٤ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

الرابعة : أفاد في (الكشف) أن الدعاء ليس على حقيقته ، لامتناعه منه تعالى . لأن منشأ العجز . فالمراد به إظهار السخط باعتبار جزئه الأول ، وشدة الظم بأعتبار جزئه الثاني . أى لاستحالة التعجب بمعناه المعروف أيضاً . وقوله تعالى :
القول في تأويل قوله تعالى :

[١٨] (مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ)

[١٩] (مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ)

[٢٠] (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ)

[٢١] (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ)

« مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ » شروع في بيان إفراطه في الكفر ، بتفصيل ما أفاض عليه من مبدأ فطرته إلى منتهى عمره ، من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة ، مع إخلاله بذلك . وفي الاستفهام عن مبدأ خلقه ، ثم بيانه بقوله تعالى « مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ » تحقير له . أى من أى شيء حقير مهين خلقه ؟ من نطفة مذرة خلقه « فَقَدَرَهُ » أى فهيأه لما يصلح له ويليق به من الأعضاء والأشكال . أو فقدره أطواراً إلى أن تم خلقه « ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ » أى سهله . وهو مخرجه من رحم أمه بعد اجتفائه وتعاصيه . أو سبيل الإسلام .

قال ابن زيد هدهد للإسلام الذي يسره له وأعلمه به . أى بما غرز في فطرته من الخير ، وأودع في غريزته من وجدان معرفة الخالق . وقال مجاهد : يعنى سبيل الشقاء والسعادة وهو كقوله ^(١) (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) واختاره أبو مسلم قال : المراد من هذه الآية هو المراد من قوله ^(٢) (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) فهو يتناول التمييز بين كل خير وشر يتعلق بالدنيا ، وبين كل خير وشر يتعلق بالدين . أى جعلناه متمكناً من سلوك سبيل الخير والشر . والتيسير يدخل

(١) [٧٦ / الإنسان / ٣] . (٢) [٩٠ / البلد / ١٠] .

فيه الإقدار والتعريف والعقل وبعثة الأنبياء وإزالة الكتب . نقله الرازي . « ثُمَّ أَمَاتَهُ وَفَأَقْبَرَهُ » أى جمعه ذا قبر يوارى فيه ، تسكرمة له ، ولم يجعله مطروحاً على وجه الأرض للطير والسباع ، كالحیوان .

قال الفراء : ولم يقل (فقبره) لأن القابر هو الدافن بيده ، والمقبر هو الله تعالى . يقال (قبر الميت) إذا دفنه . و (أقبر الميت) إذا أمر غيره بأن يجعله فى القبر . وقال ابن جرير (١) : القابر هو الدافن الميت بيده كما قال الأعشى :
لو أسندت ميتاً إلى نحرها عاش ولم ينقل إلى قابر

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٢] (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ)

[٢٣] (كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ)

[٢٤] (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)

[٢٥] (أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا)

[٢٦] (ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا)

[٢٧] (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا)

[٢٨] (وَعَيْنًا وَقَضْبًا)

[٢٩] (وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا)

[٣٠] (وَحَدَادٍ بَقِ غُلْبًا)

(٣) انظر الصفحة رقم ٥٦ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

[٣١] (وَفَكِهَةً وَأَبًّا)

[٣٢] (مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنعَمِكُمْ)

« ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ » أى بعثه بعد مماته وأحياه. وإنما قال (إِذَا شَاءَ) لأن وقت البعث غير معلوم لأحد. فهو موكول إلى مشيئة الله تعالى . متى شاء أن يحيي الخلق أحياءم . قال الشهاب : وتخصيص النشور به دون الإماتة والإقبار ، لأن وقتهما معين إجمالاً ، على ما هو المعمود فى الأعمار الطبيعية .

« كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمْرُهُ » قال ابن جرير^(١) : أى ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر ، من أنه قد أدى حق الله عليه ، فى نفسه وماله ، فإنه لما يؤد ما قرَضَ عليه من الفرائض ، رُبُّهُ .

وقال القاشانى : لما بين أن القرآن تذكرة للمتذكرين ، تعجب من كفران الإنسان واحتجابه حتى يحتاج إلى التذكير . وعدد النعم الظاهرة التى يمكن بها الاستدلال على المنعم بالحس ، من مبادئ خلقته ، وأحواله فى نفسه ، وما هو خارج عنه مما لا يمكن حياثه إلا به . وقرر أنه مع اجتماع الدليلين ، أى النظر فى هذه الأحوال الموجب لمعرفة الموجد المنعم والقيام بشكره ، وسماع الوعظ والتذكير بنزول القرآن ، لما يقضى فى الزمان المتناول ما أمره الله به من شكر نعمته ، باستعمالها فى إخراج كاله إلى الفعل ، والتوصل بها إلى المنعم . بل احتجب بها وبنفسه عنه . انتهى .

ولما فصل تعالى النعم المتعلقة بحدوثه ، تأثرها بتعداد النعم المتعلقة ببقائه . فقال سبحانه « فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ » أى فإن لم يشهد خلق ذاته ، وعى عن الآيات فى نفسه ، وأصر على جحوده توحيد ربه ، فليَظُر إلى طعامه وما كله الذى هو أقرب الأشياء لديه . ماذا صنعنا فى إحداثه وتربيته لأن يكون غذاء صالحاً . وقوله تعالى « أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ » أى من

(١) انظر الصفحة رقم ٥٦ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

الزن « صَبًا » أى شديداً ظاهراً . وقد قرئ بكسر همزة (إنا) على الاستئناف المبين لكيفية حدوث الطعام ، وبالفتح على البدلية ، بدل اشتغال . بمعنى سببية الأول للثانى .
أوتقوم الثانى بالأول . فهو من اشتغال الثانى عليه أو بدل كل ، ادعاء « ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا »
أى صدعناها بالنبات . أو شققنا أجزاءها بعد الرى ليتخلل الهواء والضياء فى جوفها « فَأَنْبَتْنَا
فِيهَا حَبًّا » يعنى حب الزرع . وهو كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما من الحبوب
« وَعَيْنًا وَقَضْبًا » وهو كل ما أكل من النبات رطباً ، كالقثاء والخيار ونحوها . سعى قصباً لأنه
يقضب ، أى يقطع مرة بعد أخرى « وَزَيَّنَّا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ » جمع حديقة وهى البساتين
ذوات الأشجار المثمرة ، عليها حوائط تحيط بها « غُلْبًا » جمع غلباء أى ضخمة عظيمة .
وعظمها إما لاتساعها البالغ حد البصر ، أو لغلظ أشجارها وتكاثرها والتفافها « وَفَلَكِهِمَّ »
أى مما يؤكل من ثمار الأشجار « وَأَبًّا » وهو المرعى الذى تأكله البهائم من العشب والنبات
« مَتَعًا لَّكُمْ وَلِأَنعَمِكُمْ » أى تمتيعاً . مفعول له ل (أنبتنا) أو مصدر حذف فعله وجُرد
من الزوائد . أى متعكم بذلك متاعاً ، وجعلكم تنتفعون به أنتم وأنعامكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٣] (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّخَاةُ)

[٣٤] (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ)

[٣٥] (وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ)

[٣٥] (وَصَحْبَتَيْهِ وَبَنِيهِ)

[٣٧] (لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)

[٣٧] (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ)

[٣٩] (ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ)

[٤٠] (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ)

[٤١] (تَرَهَقَهَا قَتَرَةٌ)

[٤٢] (أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ)

« فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ » بمعنى الداهية الشديدة ، وهي صيحة القيامة وصوت زلزالها الهائل المصم للآذان . يقال صخه يصخه ، ضرب أذنه فأصمها . وصاح بهم صيحة تصخ الآذان ، وقد صخ صخيخاً ، وهو صوته إذا قرع . وصخ لحديثه إذا أصاخ له ، بمعنى استمع كما في (الأساس) ويجوز على الأخير أن تجعل بمعنى المستمعة ، مجازاً في الإسناد . وجواب (إذا) محذوف يدل عليه ما بعده . كيشغل كل بنفسه ، أو افترق الناس « يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ * وَأَبِيهِ * وَصَحْبَتِهِ » أي زوجته « وَبَنِيهِ » أي لاشتغاله بنفسه ، وعلمه بأنهم لا ينفعون .

قال الشهاب : يعني أن الإقبال عليهم إما للنفع أو للانتفاع ، وكلاهما منتف لاشتغاله بنفسه عن نفس غيره ، وعلمه بعدم نفعه . وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة . فهو للترقي . كذا قيل .

قال الشهاب : والظاهر أنه لم يقصد ذلك لاختلاف الناس والطباع فيه « لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ » أي يكفيه في الاهتمام به . كأن ذلك الهم الذي نزل به ، قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع لهم آخر ، فصار شبيهاً بالفتى « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ » أي مضيئة « ضاحكة مُّسْتَبْشِرَةٌ » أي مسرورة بنيل كرامة الله والنعيم المتزايد ، وهي وجوه المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وقدموا من الخير والعمل الصالح ما ملأوا به صنفهم « وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ » أي غبار وكدورة « تَرَهَقَهَا قَتَرَةٌ » أي تغشاها ظلمة « أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ » أي الفسقة الذين لا يبالون ما أتوا به من معاصي الله ، وركبوا من محارمه ، فجوزوا بسوء أعمالهم وخبت نياتهم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨١ - سُورَةُ التَّكْوِيْرِ

وتسمى سورة (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) وهى مكية وآيها تسع وعشرون . روى الإمام أحمد^(١) عن ابن عمر : قال قال رسول الله ﷺ : من سره أن ينظر إلى يوم القيامة ، كأنه رأى عين فليقرأ (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ . وَإِذَا السَّمَاءُ

أَنشَقَّتْ) وهكذا رواه الترمذى^(٢) .

(١) أخرجه فى المسند بالصفحة رقم ٢٧ من الجزء الثانى (طبعة الحلبى) ، والحديث رقم ٤٨٠٦ (طبعة المعارف) .

(٢) أخرجه فى : ٤٤ - كتاب التفسير ، ٨١ - سورة إذا الشمس كورت .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)

[٢] (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ)

[٣] (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ)

[٤] (وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ)

[٥] (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ)

[٦] (وَإِذَا الْبِحَارُ سَجِرَتْ)

[٧] (وَإِذَا الْنفُوسُ زُوِّجَتْ)

[٨] (وَإِذَا الْمَوْدَّةُ سُيِّلَتْ)

[٩] (بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)

« إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » أى أزيلت من مكانها ، وألقيت عن فلسكها ، ومحي ضوؤها
« وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ » أى تفارقت وانتقضت « وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ » أى رفعت عن
وجه الأرض ، ونسفت . من أثر الرجفة والزلازل الذى قطع أوصالها « وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ »
أى تركت مهملة لا راعى لها ولا طالب . والعشار جمع عُشراء وهى الناقة التى أتى على حملها
عشرة أشهر . وخصها ، لأنها أنقس أمواهم . أى فإذا هذه الحوامل التى يتنافس فيها أهلها
أهملت ، فتركت من شدة الهول النازل بهم ، فكيف بغيرها ؟ « وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ »
أى جمعت من كل جانب واختلطت ، لما دهم أوكارها ومكانها من الزلازل والتخريب ، فتخرج

هائلة مذعورة من أثر زلزال الأرض وتقطع أوصالها «وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ» أى: ملئت بتفجير بعضها إلى بعض، حتى تعود بحرا واحداً. من (سبحر الثنور) إذا ملأه بالخطب. كقوله (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) وقيل: المعنى تأججت ناراً. قال القفال: يحتمل أن تكون جهنم في قعر البحار، فهي الآن غير مسجورة لقوام الدنيا. فإذا انتهت مدة الدنيا، أوصل الله تأثير تلك النيران إلى البحار، فصارت بالسكينة مسجورة بسبب ذلك. وأوضحه الإمام بقوله: وقد يكون تسجيرها إضرامها ناراً. فإن ما في بطن الأرض من النار يظهر إذ ذاك بتشققاتها وتمزق طبقاتها العليا، أما الماء فيذهب عند ذلك بخاراً ولا يبقى في البحار إلا الغار. أما كون باطن الأرض يحترق على نار فقد ورد به بعض الأخبار. ورد أن البحر غطاء جهنم، وإن لم يعرف في صحيحها. ولكن البحث العلمي أثبت ذلك. ويشهد عليه غليان البراكين وهي جبال النار. انتهى. قال الرازي: وأعلم أن هذه العلامات الستة يمكن وقوعها في أول زمان تخريب الدنيا. ويمكن وقوعها أيضاً بعد قيام القيامة. وليس في اللفظ ما يدل على أحد الاحتمالين. أما الستة الباقية فإنها مختصة بالقيامة. انتهى.

«وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ» أى: قرنت الأرواح بأجسادها. أوضحت إلى أشكالها في الخير والشر، وصُنِفَتْ أصنافاً ليحشر كل إلى من يجانسه من السعداء والأشقياء.

«وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» يعنى البنات التي كانت طوائف العرب يقتلونهن. قال السيد المرتضى في (أماليه): الموءدة هي المقتولة صغيرة. وكانت العرب في الجاهلية تشد البنات، بأن يدفنوهن أحياء، وهو قوله تعالى (١) «يُمْسِكُهُنَّ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُنَّ فِي الْأُتْرَاجِ» وقوله تعالى (٢) «قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ». ويقال إنهم كانوا يفعلون ذلك لأمرين: أحدهما أنهم كانوا يقولون إن الإناث بنات الله. فالحقوا البنات بالله فهو أحق بها منا. والأمر الآخر أنهم كانوا يقتلونهن خشية الإملاق. قال الله (٣) تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِلَيْكُمْ) الآية: قال المرتضى: وجدت أبا علي الجبائي (١) [١٦/ النحل/ ٥٩]. (٢) [٦/ الأنعام/ ١٤٠]. (٣) [٦/ الأنعام/ ١٥١].

وغيره يقول : إنما قيل لها موءودة لأنها ثقلت بالتراب الذى طرح عليها حتى ماتت . وفي هذا بعض النظر . لأنهم يقولون من الموءودة - وَأَدَّ (يَدُّ) (وَأَدَّا) والفاعل (وَائِد) والفاعلة (وَائِدَة) ومن الثقل يقولون آدنى الشيء يؤودنى ، إذا أثقلنى ، أودا . انتهى .

وإنما قال (بعض النظر) لأن القلب معهود فى اللغة ، فلا يبعد أن يكون (وأد) مقلوباً من (آد) . وقال المرتضى : فإن سأل سائل ، كيف يصح أن يسئل من لا ذنب له ولا عقل ، فأى فائدة فى سؤالها عن ذلك ، وما وجه الحكمة فيه ؟ والجواب من وجهين : أحدهما أن يكون المراد أن قاتلها طوب بالحجة فى قتلها ، وسئل عن قتله بأى ذنب كان ، على سبيل التوبيخ والتعنيف وإقامة الحجة . فالقتلة ههنا هم المسئولون على الحقيقة ، لا المقتولة ، وإنما المقتولة مسئول عنها . ويجرى هذا مجرى قولهم (سألت حق) أى طالبت به ومثله قوله تعالى (١)

(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) أى مطالباً به مسئولاً عنه . والوجه الآخر أن يكون السؤال توجه إليها على الحقيقة ، على سبيل التوبيخ له ، والتقريع له ، والتنبية له ، على أنه لا حجة له فى قتلها . ويجرى هذا مجرى قوله تعالى لعيسى عليه السلام (٢) (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) على طريق التوبيخ لقومه ، وإقامة الحجة عليهم . فإن قيل على هذا الوجه : كيف يخاطب ويسئل من لا عقل له ولا فهم ؟ فالجواب أن فى الناس من زعم أن الغرض بهذا القول ، إذا كان تبكيت الفاعل وتهجينه وإدخال الغم عليه فى ذلك الوقت على سبيل العقاب ، لم يمتنع أن يقع . وإن لم يكن من الموءودة فهم له . لأن الخطاب ، وإن علق عليها ، وتوجه إليها ، والغرض فى الحقيقة به غيرها . قالوا وهذا يجرى مجرى من ضرب ظالم طفلاً من ولده فأقبل على ولده يقول له : ضربت ما ذنبك وبأى شيء استحلت هذا منك ؟ فغرضه تبكيت الظالم لا خطاب الطفل . والأولى أن يقال فى هذا : إن الأطفال ، وإن كانوا من جهة العقول لا يجب فى وصولهم إلى الأغراض المستحقة ،

(١) [١٧ / الإسراء / ٣٤] . (٢) [٥ / المائدة / ١١٦] .

أن يكونوا كالملى العقول ، كما يجب مثل ذلك فى الوصول إلى الثواب . فإن كان الخير متظاهراً والأمة متفقهة على أنهم فى الآخرة ، وعند دخولهم الجنان يكونون على أكمل الهيئات وأفضل الأحوال ، وأن عقولهم تكون كاملة ، فعلى هذا يحسن توجه الخطاب إلى الموءودة ، لأنها تكون فى تلك الحال ممن تفهم الخطاب وتمقله . وإن كان الغرض منه التبكيت للقاتل وإقامة الحجة عليه . انتهى .

قال الشهاب : والتبكيت قرره الطيبيّ ، بأن المجنىّ عليه إذا سئل بمحض الجانى ونسبت له الجناية دون الجانى ، بحث ذلك الجانى على التفكّر فى حاله وحال المجنىّ عليه . فىرى براءة ساحته ، وأنه هو المستحق للعقاب والعذاب . وهذا استدراج على طريق التعريض ، وهو أبلغ من التصريح . والمراد بالاستدراج سلوك طريق توصّل إلى المطلوب بسؤال غير المذنب ونسبة الذنب له . حتى يبين من صدر عنه ذلك . كما سئل عيسى دون الكفرة ، وهو من البديع ، بديع . انتهى .

وقال الزمخشريّ : وإنما قيل (قُتِلَتْ) بناء على أن الكلام إخبار عنها .

تنبيه :

قال السيوطىّ فى (الإكليل) : فى الآية تعظيم شأن الوأد ، وهو دفن الأولاد أحياء . وأخرج مسلم^(١) أنه ﷺ سئل عن العزل فقال : الوأد الخفى . وهى : وإذا الموءودة سئلت . انتهى . وقد روى عبد الرزاق عن عمر بن الخطاب فى هذه الآية قال : جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! إبنى وأدت بنات لى فى الجاهلية . قال : أعتق عن كل واحدة منهن رقبة . قال : يا رسول الله ! إبنى صاحب إبل . قال : فأنحر عن كل واحدة منهن بدنة .

(١) الحديث أخرجه فى : ١٦ - كتاب الفكاح ، حديث رقم ١٤١ (طبعنا) عن جدّامة بنت وهب الأسدية .

وروى الدارمي^(١) في أوائل مسنده أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! إننا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان . فكنا نقتل الأولاد . وكانت عندى ابنة لى . فلما أجابت ، وكانت مسرورة بدعائى إذا دعوتها . فدعوتها يوماً فاتبعنى فررت حتى أتيت بئراً من أهلى غير بعيد فأخذت بيدها فرديتها فى البئر . وكان آخر عهدى بها أن تقول يا ابتاه يا ابتاه . فبكى رسول الله ﷺ حتى وكف دمع عينيه . فقال له رجل من جلساء رسول الله ﷺ : أحزنت رسول الله ﷺ . فقال له رسول الله ﷺ : كف . فإنه يسأل عما أهـه . ثم قال له : أعد على حديثك . فأعاده . فبكى رسول الله ﷺ حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته . ثم قال له : إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا ، فاستأنف عملك .

وكان للعرب تفنن فى الوأد . فمنهم من إذا صارت بنته سداسية يقول لأمها : طيبيها وزينها حتى أذهب بها إلى أمحائها . وقد حفر لها بئراً فى الصحراء . فيبلغها البئر فيقول لها : انظرى فيها . ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالأرض . ومنهم من كان إذا قربت امرأته من الوضع ، حفر حفرة لئتمخض على رأس الحفرة . فإذا ولدت بنتاً رمت بها فى الحفرة . وإن ولدت ابناً حبسته . وقد اشتهر صمصمة بن ناجية ابن عقال ، جد الفرزدق بن غالب ، بأنه كان ممن فدى الموءودات فى الجاهلية ، ونهى عن قتلهن . قيل إنه أحيا ألف موءودة ، وقيل دون ذلك . وقد افتخر الفرزدق بهذا فى قوله^(٢) :

ومنا الذى منع الوائِدَاتِ وأحيا الوئيدَ فلم يؤادِ

(١) أخرجه فى مقدمة مسنده فى : ١ - باب ما كان عليه الناس قبل مبـث النبي ﷺ من الجهل والضلالة .

(٢) من قصيدته التى مطلعها :

عرفت المنازلَ من مهْدٍ كوحى الزبور لدى الفرقِ

الوحى : الكتاب . والفرقد : ضرب من الشجر دائم الاخضرار .

(الديوان ٢٠٢/١) .

وفى قوله أيضاً^(١) :

أَنَا ابْنُ عِقَالٍ وابْنُ لَيْلٍ وَغَالِبٍ
وكان لنا شيخانِ ذُو القَبْرِ مِنْهُمَا^(٢)
على حَيْنٍ لَا تُحْيِي البَقَاتُ وَإِذْ هُمْ
أَنَا ابْنُ الذِّى رَدَّ النِّيَّةَ فَضْلُهُ
أَبَى أَحَدُ النِّعَمَيْنِ صَعْمَةَ الذِّى
أَجَارَ بَنَاتِ الوَائِدِينَ وَمَنْ يُجْزَى
وفارق لَيْلٍ^(٤) مِنْ نَسَاءِ أَنْتِ أَبَى
فَقَالَتْ أَجْر لى مَا وَلَدْتُ فَإِنِّى
رَأَى الأَرْضَ مِنْهَا رَاحَةً فَرَى بِهَا
فَقَالَ لَهَا نَاى فَأَنْتِ بَذَمْتِ
وَفَكَالُكَ أَغْلَالُ الأَسِيرِ المَكْفَرِ^(٢)
وَشَيْخٌ أَجَارَ النَّاسَ مِنْ كُلِّ مَقْبَرٍ
عُكُوفٌ عَلَى الأَصْنَامِ حَوْلَ المَدَوَّرِ
وَمَا حَسْبُ دَافَعَتُ عَنْهُ بِمُغْمُورٍ
مَتَى تُخْلَفِ الجُوزَاءُ والنَّجْمُ يُمَطِّرُ
على القَبْرِ ، يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْفَرٍ
تُعَالِجُ رِيحاً لَيْلَهَا غَيْرُ مُقْمَرٍ
أَتَيْتِكَ مِنْ هَزْلَى الحَوْلَةِ مُقْتَرٍ
إِلَى خُدَدٍ مِنْهَا وَفَى شَرِّ مَحْفَرٍ
لِبَنَتِكَ جَارٌ مِنْ أَبْيَها القَنُورِ^(٥)

وروى أبو عبيدة : أن صعممة - هذا - وفد على رسول الله ﷺ فى وفد بنى تميم .
قال : وكان صعممة منع الوأد فى الجاهلية ، فلم يدع تيمناً تدوهو يقدر على ذلك . فجاء الإسلام
وقد فدى فى بعض الروايات أربعائة مؤودة ، وفى أخرى ثلاثائة ، فقال للنبي ﷺ : بأبى

(١) من قصيدته التى مطلعها :

بنى نهشل أبقوا عليكم ولم تروا سوابقَ حامٍ للذمار مُشَهَّرٍ
(الديوان ٤٧٤/٢) .

(٢) المكفر : هو الذى كفر وكبل بالحديد .

(٣) ذو القبر : غالب كان يستجار بقبره . والذى أجار الناس من القبر وأحيا الوئيدة صعممة .

(٤) فارق - معنى امرأة ماخضاً . شبهها بالفارق من الإبل وهى الناقة التى يضربها المخاض

فتفارق الإبل وتمضى على وجهها حتى تضع .

(٥) القنور : السبيء الخلق .

أنت وأهى ! أوصنى . فقال : أوصيك بأملك وأبيك وأختك وأخيك وأدانيك أدانيك . فقال : زدنى . فقال عليه الصلاة والسلام : احفظ ما بين لحييك ورجليك . ثم قال عليه الصلاة والسلام : ما شئ بلغنى عنك فعلته ؟ فقال : يا رسول الله ! رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين الصواب . غير أنى علمت أنهم ليسوا عليه . فرأيتهم يثدّون بناتهم ، فعرفت أن ربهم عز وجل لم يأمرهم بذلك . فلم أتركهم . فقديت ما قدرت عليه . ويقال إنه اجتمع جرير والفرزدق يوماً عند سليمان بن عبد الملك فافتخرا . فقال الفرزدق : أنا ابن محي الموتى . فقال له سليمان : أنت ابن محي الموتى ؟ فقال : إن جدى أحيا الموءودة ، وقد قال الله تعالى (١) (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) وقد أحيا جدى اثنتين وتسعين موءودة ، فتبسم سليمان . وقال : إنك مع شعرك لفقير . نقله المرتضى فى (أماليه) . وبالجملة ، فكان الواد عادة من أشنع العوائد فى الجاهلية ، مما يدل على نهاية القسوة وتام الجفاء والغلظة .

قال الإمام : انظر إلى هذه القسوة وغلظ القلب وقتل البنات البريئات بغير ذنب سوى خوف الفقر والعار ، كيف استبدلت بالرحمة والرأفة بعد أن خالط الإسلام قلوب العرب ؟ فما أعظم نعمة الإسلام على الإنسانية بأسرها بحجوه هذه العادة القبيحة . انتهى .

ومن أثر نعمته أن صار أدياء الصدر الأول يصوغون فى مدحهن ما هو أبهى من عقود الجمان ؛ فمن ذلك قول معن بن أوس (٢) :

رأيت رجالاً يكرهون بناتِهِمْ وفيهن ، لَنُكْدَبُ ، نساء صواحُ
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى خوادِمُ لا يَمْلَنَّهُ ونواحُ
وقال العلوى الجمانى ، فى صديق له ولدت له بنت فسخطها ، شعراً .
قالوا له ماذا رُزِقْتَا فأصاخ ثُمَّتَ قال : بنتا

(١) [٥ / المائدة / ٣٢] .

(٢) انظر أمالى القالى ، الصفحة رقم ١٩٠ من الجزء الثانى (طبعة الدار) .

وَأَجَلَ مِنْ وَلَدِ النِّسَاءِ أَبُو الْبَنَاتِ . فَلَمْ جَزَعْتَا
إِنَّ الَّذِينَ تَوَدَّ مِنْ بَيْنَ الْخَلَائِقِ مَا اسْتَطَعْتَا
نَالُوا بِفَضْلِ الْبَيْتِ مَا كَبَبْتُمَا بِهِ الْأَعْدَاءِ كَبَبْتَا

وحكى أن عمرو بن العاص دخل على معاوية وعنده ابنته . فقال : من هذه يا معاوية؟ فقال :
هذه تفاحة القلب وريحانة العين وشمامة الأنف . فقال . أَمِطْهَا عَنْكَ . قال : وَلِمَ ؟ قال :
لأنهن يلدن الأعداء ، ويقربن البعداء ، ويورثن الشجعاء ، ويُثَرِّنَ البغضاء . قال : لا تقل
ذلك يا عمرو ! فوالله ما مريض المرضى ، ولا نذب الموتى ، ولا أغان على الزمان ، ولا أذهب
جيش الأحزان مثلهن ، وإنك لو أجدتُ خالاً قد نفعه بنو أخته ، وأبا قد رفعه نسل بنيته . فقال :
يا معاوية ! دخلت عليك وما على الأرض شيء أبغض إليّ منهن . وإنى لأخرج من عندك وما عليها
شيء أحب إليّ منهن . وفي رقعة للصاحب بالتهنئة بالبيت : أهلاً ومسهلاً بعميلة النساء وأم الأبناء
وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ، ونجباء يتلاحقون^(١)

فَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ وَجَدْنَا لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
وَمَا الْقَانِثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَمِيْبٌ وَمَا التَّذَكُّيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ
والله تعالى يعرفك البركة في مطلعها ، والسعادة بموقعها ، فادّرع اغتباطاً ، واستأنف
نشاطاً . فالدنيا مؤنثة . والرجال يخدومونها ، والذكور يعبدونها . والأرض مؤنثة ومنها خلقت
البرية . وفيها كثرت الذرية . والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب .
والنفس مؤنثة وهى قوام الأبدان وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف
الأجسام ولا عرف الأنام . والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون . فهنيئاً لك
هنيئاً بما أوتيت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيت .

(١) قائله المتنبي ، من قصيدته التى مطلعها :

نَعْدُ الْمَشْرِفِيَةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونُ بِلَا قِتَالِ

انظر الصفحة رقم ٢٥٣ من الديوان (طبعة لجنة التأليف) .

ونسخت رقة لأبى الفرج الببغاء : اتصل بى خبر المولودة المسودة كرم الله عرقها ، وأنتها نبأنا حسناً . وما كان من تغيرك عند اتصال الخبر وإنسارك ما اختاره الله لك فى سابق القدر . وقد علمت أنهم أقرب من القلوب ، وأن الله بدأ بهم فى الترتيب فقال عز من قائل^(١) : (يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) وما سماه الله تعالى هبة ، فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أحرى . فهناك الله بورود الكريمة عليك . وثمرتها إعداد النسل الطيب لديك .

والنوادير فى هذا لا تحصى . وكلها من بركة الإسلام وفضله ، وقوله تعالى :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٠] (وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ)

[١١] (وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ)

[١٢] (وَإِذَا الْجَبَبِمْ سُمِعَتْ)

[١٣] (وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ)

[١٤] (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ)

« وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ » قال ابن جرير^(٢) : أى صحف أعمال العباد نشرت لهم ، بعد أن كانت مطوية على ما فيها مكتوب من الحسنات والسيئات « وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ » أى قلعت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة ، كقوله تعالى^(٣) (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمُوتُ) « وَإِذَا الْجَبَبِمْ سُمِعَتْ » أى أوقد عليها فأحيت .

(١) [٤٢ / الشورى / ٤٩] .

(٢) انظر الصفحة رقم ٧٣ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٣) [١٤ / إبراهيم / ٤٨] .

قال قتادة : سمرها غضب الله وخطايا بني آدم . « وَإِذَا النُّجُومُ أُزْلِفَتْ » أى قربت للمتقين « عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ » أى علمت كل نفس عند ذلك ، ما قدمت من خير فتصير به إلى الجنة ، أو شر فتصير به إلى النار . أى تبين لها عند ذلك ما كانت جاهلة به ، وما الذى كان فيه صلاحها من غيره . و (عَلِمَتْ) جواب لجميع ما سبق من الشروط .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٥] (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ)

[١٦] (الْجَوَارِ الْكُنُوسِ)

[١٧] (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ)

[١٨] (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)

[١٩] (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)

[٢٠] (ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ)

[٢١] (مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ)

« فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ » أى الرواجع من النجوم . من (خنس) إذا رجع وتأخر . قال الزمخشري : بينا ترى النجم فى آخر البرج ، إذ كرّ راجعاً إلى أوله « الْجَوَارِ » جمع جارية ، من الجرى « الْكُنُوسِ » أى الغيب التى تدخل فى بروجها ، فى رأى العين . من (كنس) الوحش) إذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر . فهو فى الأصل مجاز بطريق التشبيه ، ثم صار بالغلبة فى الاستعمال ، حقيقة « وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ » أى أدبر ولم يبق إلا اليسير ، وذلك وقت السحر « وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ » أى أقبل وتبين . أو هب نسيمه اللطيف أو أنجابت عنه غمة الليل وكرهته . تشبيها بمن نفس عنه كرهه . قال الإمام : أقسم الله تعالى

بهذه الدراري يُنَوِّه بشأنها من جهة ما في حركاتها من الدلائل على قدرة مصرّفها ومقدّرها، وإرشاد تلك الحركات إلى ما في كونها من بديع الصنع وإحكام النظام ، مع نعمتها ، في القسم ، بما يبعدها عن مراتب الألوهية ، من الخنوس والكنوس ، تقريباً لمن خصها بالعبادة وتأخذها من دونه أرباباً . وفي الليل إذا أدبر زوال تلك النعمة التي تغمر الأحياء بانسدال الظلمة بعدما استعادت الأبدان نشاطها وانتعشت من فتورها . وفي الصبح إذا تنفس بشري الأنفس بالحياة الجديدة في النهار الجديد ، تطلق فيه الإرادات إلى تحصيل الرغبات وسد الحاجات والاستدراك والاستعداد لما هو آت . انتهى .

وجواب القسم قوله تعالى « إِنَّهُ وَلَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ » يعنى روح القدس الذى ينفث في روعه ﷺ وهو جبريل عليه السلام . والضمير إما للبعث والجزاء ، المفهوم من قوله تعالى (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضَرَتْ) أو للمذكور وهو هذا أو للقرآن « ذِي قُوَّةٍ » أى على تحمل أعباء الرسالة ، وعلى كل ما يؤمر به ، كما تقدم في قوله (١) تعالى (شَدِيدُ الْقُوَى) « عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ » أى صاحب مكانة وشرف ومنزلة لديه تعالى « مُطَاعٌ ثَمَّ » أى في الملأ الأعلى « آمِينَ » أى على وحيه تعالى ورسالته .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٢] (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ)

[٢٣] (وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ)

[٢٤] (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ)

[٢٥] (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ)

« وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ » أى ليس ممن يتكلم عن جَنَّةٍ ويهذى هذيان المجانين .

(١) [٥٣ / النجم / ٥] .

(١) (بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ) وهذا نفي لما كان يهيم به أعداؤه، صلى الله عليه وسلم ، حسداً ولؤماً .

قال الشهاب : وفي قوله (صَاحِبُكُمْ) تكذيب لهم بالطف وجه . إذ هو إيماء إلى أنه نشأ بين أظهركم من ابتداء أمره إلى الآن، فأنتم أعرف به وبأنه أتم الخلق عقلاً وأرجحهم نبلاً وأكملهم وأصفاهم ذهنًا. فلا يسند له الجنون إلا من هو مركب من الحمق والجنون . ولله در البحترى (٢) في قوله :

إِذَا مَحَاسِنِي اللَّاتِي أُدِلُّ بِهَا كَانَتْ ذُنُوبِي، فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ
« وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ » أى ولقد رأى محمد ﷺ جبريل بالأفق الأعلى، المظهر لما يرى فيه .

قال ابن كثير : والظاهر ، والله أعلم ، أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولى . وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى (٣) (وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَ حَاجَةِ الْمَأْوَى) فتلك إنما ذكرت في سورة النجم ، وقد نزلت بعد سورة الإسراء .

والقصد من بيان رؤيته لجبريل عليهما السلام، متمثلاً له، هو التحقيق الموحى به، وأن أمره مبنى على مشاهدة وعيان، لأعلى ظن وحسبان . وما سييله كذلك فلا مدخل للريب فيه « وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ » أى يبخيل .

قال مجاهد : ما يضمن عليكم بما يعلم . أى لا يبخل بالتعليم والتبليغ . وقال الفراء :

(١) [٣٧ / الصافات / ٣٧] .

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

فِي الشَّيْبِ زَجْرُهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجُرُ وَبَالِغٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرُ

انظر الصفحة رقم ٦٧٣ من الديوان (طبعة بيروت) .

(٣) [٥٣ / النجم / ١٣ - ١٥] .

يأتيه غيب السماء، وهو شئ نقيس، فلا ييخل به عليكم. وقال أبو علي الفارسي: المعنى أنه يخبر بالغيب فيبينه ولا يكتمه، كما يكتّم الكاهن ذلك ويمتنع من إعلامه حتى يأخذ عليه حلواناً .
وقرى (بظنين) بالطاء : أى ما هو بمتهم على ما يخبر به من الغيب .

قال القاشاني : لامتناع استيلاء شيطان الوهم وجنّ التخيل عليه ، فيخلط كلامه ويمتزج المعنى القدسي بالوهمي والخيالي ، لأن عقله صفى عن شوب الوهم . والمعنى أنه صادق فيما يخبر به من الوحي واليوم الآخر والجزاء، ليس من شأنه أن يتهم فيه . كما قال هرقل^(١) لأبي سفيان : وسألتك هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فزعمت أن لا . فمرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله .

تنبيه :

قال ابن جرير^(٢) : وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب، ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة وإن اختلفت قراءتهم به ، وذلك (بـِظَنَيْنِ) بالضاد . لأن ذلك كله كذلك في خطوطها . فأولى المتأويلين بالصواب في ذلك ، تأويل من تأوله (وما محمد، على ما علمه الله من وحيه ونزله، ببخيل بتعليمكموه أيها الناس . بل هو حريص على أن تؤمنوا به وتعلموه) انتهى . واختار أبو عبيدة القراءة بالطاء لوجهين :

أحدهما أن الكفار لم ييخلوه ، وإنما اتهموه ، فنفي التهمة أولى من نفي البخل .
وثانيهما قوله (عَلَى الْغَيْبِ) ولو كان المراد البخل لقال (بالغيب) لأنه يقال فلان ضنين بكذا قلما يقال على كذا .

وقال الشهاب : قال في (النشر) : هو بالضاد في جميع المصاحف ، ولا ينافي هذا قول أبي عبيدة . إن الضاد والطاء في الخط القديم لا يختلفان إلا بزيادة رأس إحداها على الأخرى ،
(١) من حديث طويل أخرجه البخاري عن أبي سفيان بن حرب ، في : ١ - كتاب بدء الوحي ، ٦ - حدثنا أبو اليمان حديث رقم ٧ .

(٢) انظر الصفحة رقم ٨٣ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

زيادة يسيرة ، قد تشبهه . وهو كما قال . ويعرفه من قرأ الخط المسند . وليس فيه اتهام لنقله المصاحف كما توهم ، لأن ما نقلوه موافق للقراءة المتواترة . ولا بد مما ذكره أبو عبيدة ، لأنهم اشترطوا في القراءات موافقة الرسم العثماني ، ولولاه كانت قراءة الطاء مخالفة له . انتهى . قال ابن كثير : وكنتا القراءتين متواترة ومعناها صحيح كما تقدم « وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ » أى من إلقاء الشيطان المطرود عن بلوغ هذا المقام . وهو نفي لقولهم إنه كهانة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٦] (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ)

[٢٧] (إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)

[٢٨] (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ)

[٢٩] (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

« فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ » أى أى مسلك تسلكون ، وقد قامت عليكم الحجة ؟ لا جرم أنكم تنفحون الضلال بعد هذه المزاعم فى الوحي ومبلغه . فمن سلك طرقها فقد بعد عن الصواب ، بما لا يضبط ولم يقترب إليه بوجه . كمن سلك طريقاً يبعده عن سمت مقصده ، فيقال : أين تذهب .

قال الزمخشري : استضلال لهم ، كما يقال لتارك الجادة اعتسافاً أو ذهاباً فى بنّيات الطريق : أين تذهب ؟ مثلت حالهم بحاله ، فى تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل « إِنَّ هُوَ » أى القرآن المتلو عليكم « إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ » أى تذكرة وعظة لهم .

قال الإمام : موعظة يتذكرون بها ما غرز الله فى طباعهم من الميل إلى الخير . وإنما أنساهم ذكره ما طرأ على طباعهم من ملكات السوء التى تحدثها أمراض الاجتماع . وقوله تعالى « لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ » بدل من (العالمين) . أى إنه ذكرى لمن أراد الاستقامة على الطريق الحق ، بصرف إرادته وميله إليه والثبات عليه . أما من أعرض ونأى ،

فن أن تنفعه الذ كرى ، وقد زاده الران عى ؟ وقوله تعالى « وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » أى وما تشاءون شيئاً من فعالكم ، إلا أن يشاء الله تمكينكم
من مشيئتكم ، وإقداركم عليها ، والتخلية بينكم وبينها . وفائدة هذا الإخبار ، هو الإعلام
بالافتقار إلى الله تعالى ، وأنه لا قدرة للعبد على ما لم يقدره الله عز وجل . فهو خاضع لسلطان
مشيئته ، مقهور تحت تدبيره وإرادته .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٢ - سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

وهي مكية . وآيها تسعة عشر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ)

[٢] (وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ)

[٣] (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ)

[٤] (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ)

[٥] (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ)

« إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ » أى انشقت كما فى آية^(١) (وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّحَابِ) ،
« وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ » أى تساقطت . والانتثار استمارة لإزالة الكواكب ،
حيث شبهت بجواهر قُطِعَ سلكها . وهى مصرحة أو مكنية « وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ »
أى فتح بعضها إلى بعض ، لزوال الحاجز بزلزلة الأرض وارتجاجها « وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ »
أى بحثت وأخرج موتاهها .

قال الشهاب : يعنى أزيل التراب التى ملئت به ، وكان حتى على موتاهها فانفتحت وخرج
من دفن فيها . وهذا معنى البعث . وحقيقتها تبديد التراب أو نحوه . وهو إنما يكون لإخراج
شئ تحتة فقد يذكر ويراد معناه ولازمه معاً ، كما هنا . وقد يتجاوز به عن البعث والإخراج
كما فى سورة العاديات . والفارق بينهما أنه أسند هنا للقبور فكان على حقيقته . ونتم ، لما فيها ،
فكانت مجازاً عما ذكر . ثم قال : وذهب بعض الأئمة كالزحشرى والسهيل إلى أنه مركب
من كلمتين اختصاراً . ومثله كثير فى لغة العرب ويسمى نحتاً . وأصله (بعث) و(أنثر) أى حرك
وأخرج . وله نظائر كبسمل ، وحوقل ، ودمعز . أى قال بسم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) [٢٥ / الفرقان / ٢٥] .

وأدام الله عزه. فعلى هذا يكون معناه النبش والإخراج معاً. ولا يرد عليه أن الراء ليست من أحرف الزيادة، كما توهمه أبو حيان، فإنه فرق بين التركيب والنحت من كلمتين، والزيادة على بعض الحروف الأصول من كلمة واحدة، كما فصله في (الزهر) نقلاً عن أئمة اللغة.

« عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمْتُ » أى لذلك اليوم من عمل صالح أو سيئ « وَأَخَّرْتُ » أى تركت من خير أو شر. أو المعنى: ما قدمت من عمل طيب لم تقصر فيه، وما أخرت أى قصرت فيه. والمراد بالعلم بالتقديم والتأخير، وجدان الجزاء عليهما، وتحقيق مصداق الوعد عليهما.

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦] (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)

[٧] (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)

[٨] (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ)

« يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » أى: أى شيء خدعك وجرأك على عصيانك والانحراف عن فطرته. وذكر (الكَرِيمِ) للمبالغة في المنع عن الاعتذار. لأنه بمعنى العظيم الجليل الكامل في نعوته. ومن كان كذلك فنجدير بأن يرهب عقابه ويخشى انتقامه وعذابه. لاسيما وله من النعم العظيمة والقدرة الكاملة ما يزيد في الرهبة، كما قال « الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ » أى جعلك سويًا متساوي الأعضاء والقوى. وأصل التسوية جعل الأشياء على سواء. فتكون على وفق الحكمة ومقتضاها، بإعطائها ما تتم به « فَعَدَلَكَ » أى جعلك معتدلاً متناسب الخلق، معتدل القامة. لا كالبهايم. وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الشدة، أو بمعنى صرفك عن خلقه غيرك إلى خلقه حسنة، مزت بها على سائر الحيوان « فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ » أى: فى أى صورة شاءها ركبك عليها. يعنى أنه ركبك فى صورة هى أبداع الصور وأعجبها. فـ (أَيِّ) استفهامية. والمجرور متعلق بـ (رَكَّبَكَ) و (ما) زائدة،

وجملة (شاء) صفة (صورة) . والقصد أن من خلق هذا الخلق البديع وسوّاه وعدله بقدرته وتقديره، حتى أحكم صورته في ذلك التركيب، لَجَدِرٌ بِأَن يُتَقَى بِأَسِه وَيُحَذَرُ بِطُشِه وَيُرْهَبُ أَشَدَّ التَّرْهيبِ .

تنبيه :

قال الإمام ابن القيم في (الجواب الكافي) في بحث كون القرآن من أوله إلى آخره صريحاً في ترتيب الجزاء بالخير والشر، والأحكام الكونية، على الأسباب، ما تمتته: فليحذر مغالطة نفسه على هذه الأسباب - وهذا من أهم الأمور - فإن العبد يعرف أن المعصية والغفلة من الأسباب المضرة له في دنياه وآخرته، ولا بدّ . ولكن تغالطه نفسه .

ثم ذكر من أنواع المغترّين من يغترّ بفهمٍ فاسدٍ ، فَهْمُهُ هُوَ وَأُضْرَابُهُ مِنْ نصوص القرآن والسُّنَّةِ فَانْكَلُوا عَلَيْهِ . قال : كإغترار بعض الجهال بقوله تعالى (يَسْأَلُهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) فيقول : كرمه . وقد يقول بعضهم إنه لقن المغتر حجته . وهذا جهل قبيح . وإعما غرّه بربه الغرور ، وهو الشيطان، ونفسه الأمارة بالسوء ، وجهله وهواه . وأتى سبحانه بلفظ (الْكَرِيمِ) ، وهو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الإغترار به ولا إهمال حقه . فوضع هذا المغتر (الغرور) في غير موضعه، واغترّ بمن لا ينبغي الإغترار به . انتهى .

وفي مثل هذا الغرور يجب - كما قال الغزالي - على العبد أن يستعمل الخوف . فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه، ويقول: إنه ، مع أنه غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب . وإنه ، مع أنه كريم ، خلد الكفار في النار أبد الآباد . مع أنه لم يضرّه كفرهم . بل سلط المذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا . وهو قادر على إزالتها . فَمَنْ هذه سنته في عباده ، وقد خوّفني عقابه، فكيف لأخافه؟ وكيف أغترّ به؟ فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل . فبالبيعث على العمل فهو تَمَنُّ وغرور .

ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم، وسبب إقبالهم على الدنيا، وسبب إغراضهم عن الله تعالى، وإهمالهم السعى للآخرة، فذلك غرور. وقد روى أن الغرور سيفعل على قلوب آخر هذه الأمة. وقد كان ذلك. فقد كان الناس في الأعصار الأول يواظبون على العبادات، ويؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون، يخافون على أنفسهم، وهم طول الليل والنهار في طاعة الله، يبالغون في التقوى والحذر من الشهوات، والشهوات، ويكون على أنفسهم في الخلوات. وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين. مع إكبابهم على المعاصي وانهمما بهم في الدنيا وإغراضهم عن الله تعالى. زاعمين أنهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله، راجون لعفوه ومغفرته. كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون. فإن كان هذا الأمر يدرك بالني، وينال بالهويناء، فعلى ماذا كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم؟

ثم قال : والقرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف . لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه ، إن كان مؤمناً بما فيه . وترى الناس يهدّونه هذا . يخرجون الحروف من خارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها ، وكأنهم يقرأون شعراً من أشعار العرب . لا يهتمهم الالتفات إلى معانيه ، والعمل بما فيه . وهل في العالم غرور يزيد على هذا ؟ انتهى .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٩] (كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالْدِّينِ)

[١٠] (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ)

[١١] (كِرَامًا كَتِيبِينَ)

[١٢] (يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)

« كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالْدِّينِ » قال الإمام : أى لا شئ يغرك ويخدعك . بل إن

سعة عطاء ربك وحكمته في كرمه، تدلك وتوحى إلى نفسك أنك مبعوث في يوم آخر، لثواب أو عقاب . وإنما الذى يقع منك، أيها الإنسان، هو العناد والتكذيب بالدين . أى الجزاء، أى الانصراف عمدا وعنادا عما يدعو إليه الشعور الأول، وعن الدليل الذى تقيمه الرسل، والحجة التى يأتى بها الأنبياء . مع أن الله تعالى لم يترك عملا من أعمالك إلا حفظه وأحصاه عليك حتى يوفيك جزاءه ، كما قال « وَإِنَّ عَلَيْنَا لَلْأَحْفَظِينَ » أى رقباء يحفظون أعمالكم ويحصونها عليكم « كَرَامًا كَتَبِينَ » أى يكتبون ما تقولون .

« يَمْلِكُونَ مَا تَلْمِزُونَ » أى من خير أو شر . أى يحصونه عليكم ، فلا يغفلون ولا ينسون قال الرازى : إن الله تعالى أجرى أموره مع عباده على ما يتعاملون به فيما بينهم . لأن ذلك أبلغ فى تقرير المعنى عندهم . ولما كان الأبلغ عندهم فى المحاسبة إخراج كتاب بشهود ، خوطبوا بمثل هذا فيما يحاسبون به يوم القيامة . فيخرج لهم كتب منشورة ، ويحضر هناك ملائكة يشهدون عليهم ، كما يشهد عدول السلطان على من يعصيه ويخالف أمره . فيقولون له : أعطاك الملك كذا وكذا ، وفعل بك كذا وكذا ، ثم قد خالفته وفعلت كذا وكذا . فكذا ها هنا . والله أعلم بحقيقة ذلك . انتهى .

ولا يخفى أن الحفظة الكرام وعلمهم ، من الغيب الذى لا يمكن اكتناهاه . فيجب الإيمان به ، كما ورد . مع تفويض كنهه إلى بارئه تعالى . ومن الفضول فى العلم التوسع فيما لا يدرك بالنظر وتسويد وجوه الصحف بها . وبالله سبحانه التوفيق .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٣] (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ)

[١٤] (وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ)

[١٥] (يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ)

[١٦] (وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ)

[١٧] (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ)

[١٨] (ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ)

[١٩] (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ، وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ)

« إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ » قال ابن جرير^(١) : أى إن الذين برّوا بأداء فرائض الله ،

واجتناب معاصيه ، لى نعيم الجنان ينعمون فيها .

والأبرار جمع (برّ) بفتح الباء وهو المتصف بالبرّ (بكسرها) أى الطاعة . قال الأصمهانى : وقد اشتمل عليه قوله تعالى^(٢) (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِ الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) . وقوله تعالى : « وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ » أى الذين نجروا عن أمر الله .

أى انشقوا عنه وخالفوه . وهم من لم توجد فيهم نعوت الأبرار المذكورة فى الآية قبل
« يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ » أى يوم يدان العباد بالأعمال ، فيجازون بها « وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ » أى بخارجين ، لأنهم مخلصون فى صلاتها . وقوله تعالى « وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ » تفخيم لأمر ذلك اليوم وتعظيم لشأنه .
أى أى شىء أعلمك به ؟ أى أنت لا تدريه مع أنه من أوجب ماتهم درايتة والبحث عنه .

(١) انظر الصفحة رقم ٨٨ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٢ / البقرة / ١٧٧] .

والخطاب للإنسان المتقدم أول السورة . ثم فسّر تعالى بعض شأنه بقوله « يَوْمَ لَا تَمْلِكُ
نَفْسٌ أَنْ تُنْفَسَ شَيْئًا » أى من دفع ضرّ أو كشف همّ « وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ » أى
أمر الملك الظاهر ، ونفوذ القضاء القاهر ، يومئذ لله وحده . لاضمحلال الممالك وذهاب
الرياسات .

قال الرازى : وهو وعيد عظيم ، من حيث إنه عرفهم أنه لا يغنى عنهم إلا البر والطاعة
يومئذ ، دون سائر ما كان قد يغنى عنهم فى الدنيا ، من مال وولد وأعوان وشفعاء .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٣ - سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

قال المهايمى : سميت به دلالة على أن من أخلّ بأدنى حقوق الخلق ، استحق أعظم ويل من الحق . فكيف من أخل بأعظم حقوق الحق ، من الإيمان به وبآياته ورسوله ؟ وهى مكية على الأظهر . فإن سياقها يؤيد أنها كأخواتها اللاتى نزلن بمكة ، لاسيما خاتمها . فإنها صفات المستهزئين الذين كانوا بمكة . وحملها على المنافقين بالمدينة بعيد ، إذ لم يبلغ بهم الحال ذلك . وأما ما رواه النسائى وابن ماجه^(١) - كما فى ابن كثير عن ابن عباس ، لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً ، فأنزل الله (وَيَلْلَهُ الْمُطَفِّفِينَ) فأحسنوا الكيل - فقد ذكرنا مراراً أن معنى الإزال ، فى إطلاق السلف ، لا يكون مقصوراً على أن كذا سبب النزول . بل إن كذا مما نزل فيه ذلك . كأن أهل المدينة تلى عليهم ما سبق إنزاله فى مكة . وقيل لهم : أنزل الله حظه ما أنتم عليه والوعيد فيه . فأقلعوا . وهذا ظاهر لمن له أنس بعلم الآثار وملسكة فيه . ومنه يعلم أن قول بعضهم : نزلت بمكة إلا قصة التطفيف . وقول آخر : إن كل نوع من المسكى والمدنى منه آيات مستثناة - منشؤه الحيرة فى المطابقة بين ظاهر ما يتبادر من المأثور فى سبب النزول ، وبين ما يدل عليه السياق من خلافه . وبالوقوف على عرف السلف يزول الإشكال ويتضح الحال .

(١) أخرجه ابن ماجه فى : ١٢ - كغاب التجارات ، ٣٥ - باب التوقى فى الكيل والوزن ، حديث ٢٢٢٣ (طبعمتنا) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ)

[٢] (الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ)

[٣] (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)

« وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ » أى هلاك لهم . قال الأصمهانى : ومن قال : (وَيْلٌ) وإد فى جهنم ، فإنه لم يرد أن (ويلاً) فى اللغة هو موضوع لهذا . وإنما أراد : من قال الله تعالى ذلك فيه ، فقد استحق مقراً من النار .

ثم بين تعالى المطففين بقوله « الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ » أى إذا أخذوا السكيل من الناس يأخذونه وافيّاً وزائداً . على إيهام أن بذلك تمام السكيل . وإذا فعلوا ذلك فى السكيل الذى هو أجلّ مقداراً ، فى الوزن بطريق الأولى . وإيثار (على) (من) للإشارة إلى ما فى عملهم المنكر من الاستعلاء والقهر . شأن المتغلب المتحامل المتسلط ، الذى لا يستبرى لدينه وذمته « وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » أى كالوا للناس أو وزنوا لهم ، ينقصونهم حقهم الواجب لهم ، وهو الوفاء والتام . ففيمها حذف وإيصال . قال ابن جرير^(١) : من لغة أهل الحجاز أن يقولوا : وزنتك حقك ، وكلتك طعامك ، بمعنى وزنك لك وكلتك لك .

تنبيه :

فى (الإكليل) : فى الآية ذم التطفيف والخيانة فى السكيل والوزن . أى لأنه من المنكر

(١) انظر الصفحة رقم ٩١ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

فهو من المحظورات أشد الحظر ، لما فيه من أكل أموال الناس بالباطل في الأخذ والدفع ، ولو في القليل . لأن من دَنُوَتْ نفسه إلى القليل دل على فساد طويته وخبث ملكته ، وأنه لا يقعه عن التوثب إلى الكثير إلا عجز أو رقابة . قال ابن جرير (١) : وأصل التطفيف من الشيء الطفيف ، وهو القليل النزر . والمطفف : القليل حق صاحب الحق عماله من الوفاء والتمام في كيل أو وزن . ومنه قيل للقوم الذين يكونون سواء في حسبة أو عدد : هم سواء كطف الصاع . يعنى بذلك كقرب المتلى منه ناقص عن الملاء . وقد أمر تعالى بالوفاء في الكيل والميزان . فقال تعالى في عدة آيات : (٢) « وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » . وقال تعالى (٣) « وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ » وقص تعالى علينا أنه أهلك قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يخسون الناس في الميزان والمكيال . ثم قال سبحانه متوعداً لهم :

القول في تأويل قوله تعالى :

[٤] (أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ)

[٥] (لِيَوْمٍ عَظِيمٍ)

[٦] (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)

« أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ » أى من قبورهم بعد مماتهم « لِيَوْمٍ عَظِيمٍ » أى عظيم الهول جليل الخطب كثير الفزع ، من خسر فيه أدخل نارا حامية « يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » أى لأمره وقضائه فيهم بما يستحقون ، في موقف يغشى المجرم فيه من الهول ، ما يود الافتداء بكل مستطاع . وفي تأثر الويل للمطففين بما ذكر في هاتين الآيتين ،

(١) انظر الصفحة رقم ٩٠ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [١٧ / الإسراء / ٣٥] . (٣) [٥٥ / الرحمن / ٩] .

مبالغات في النعم عن التطفيف وتعظيم إثمه . ووجه ذلك ، كما لخصه الشهاب ، أن في ذكر الظن من التجهيل مع اسم الإشارة الدال على التبعيد ، تحقيراً - ووصف يوم قيامهم بالعظمة - وإبدال (يَوْمَ يَقُومُ) منه ، فإنه يدل على استعظام ما استحقره . والحكمة اقتضت أن لا تهمل مثقال ذرة من خير وشر .

وعنوان (رب العالمين) للمالكية والتربية الدالة على أنه لا يفوته ظالم قوى ، ولا يترك حق مظلوم ضعيف - وفي تعظيم أمر التطفيف إيماء إلى العدل وميزانه ، وأن من لا يهمل مثل هذا ، كيف يهمل تعطيل قانون عدله في عبادته ؟ وناهيك بأنه وصفهم بصفات الكفرة . فتأمل هذا المقام ، ففيه ما تتحير فيه الأوهام .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٧] (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ)

[٨] (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ)

[٩] (كِتَابٌ مَرْقُومٌ)

[١٠] (وَيَلْوِيهِ يَوْمَئِذٍ اللَّامُكِّذِينَ)

[١١] (الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ)

« كَلَّا » ردع عن التطفيف الذي يقترفونه لغفلتهم عن يوم الحساب وضعف اعتقادهم به « إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ » أى ما كتب فيه من عملهم السيئ وأحصى عليهم . وإيثار المظهر للإشعار بوصف لهم ثانياً ، وهو الفجور ، بخروجهم عن حد العدالة المتفق عليها الشرع والعقل « لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ » أى مسطور بين الكتابة . أو معلم برقم ينبيء عن قبجه . سمي سججينا - فمميلا من السجن وهو الحبس والتضييق - لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم . فهو بمعنى (فاعل) فى الأصل . أو لأنه مطروح فى أسفل

مكان مظلم . فهو بمعنى (مفعول) كأنه مسجون لما ذكر . وقيل : هو اسم مكان ، فيقدر مضاف فيه أو فيما بعده . والتقدير : ما كتاب سجين أو محل كتاب مرقوم؟ تخذف المضاف . وقيل إنه مشترك بين المسكان والكتاب . وقال الأصفهاني : السجين اسم لجنهم بإزاء عليين . وزيد لفظه تنبيهاً على زيادة معناه . وقيل : هو اسم للأرض السابعة .

ثم قال : وقد قيل إن كل شيء ذكره الله تعالى بقوله (وَمَا أَدْرَاكَ) فسر . وكل ما ذكره بقوله (وَمَا يُدْرِيكَ) تركه مبهماً . وفي هذا الموضع ذكر (وَمَا أَدْرَاكَ) وكذا في قوله (وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْهِمْ) ثم فسر الكتاب ، لا السجين والعليون . وفي هذه الطبقة موضعها الكتب التي يتبع هذا الكتاب ، لا هذا . انتهى .

وقال القاشاني : (لَفِي سِجِّينٍ) في مرتبة من الوجود مسجون أهلها في حبوس ضيقة مظلمة أذلاء أخساء في أسفل مراتب الطبيعة ودركاتها . وهو ديوان أعمال أهل الشر . ولذلك فسر بقوله (كَتَبَ مَرْقُومٌ) أي ذلك المحل المكتوب فيه أعمالهم ، كتاب مرقوم برقوم هيئات رذائلهم وشرورهم « وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ » أي بيوم الحساب والمجازاة . وفيه إشعار بأن المطففين ممن يتناولهم هذا الوصف . لأن إصرارهم على التمدي والاجترام يدل على عدم الظن بالبعث . كما قال تعالى :

القول في تاويل قوله تعالى :

[١٢] (وَمَا يُكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ)

[١٣] (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)

« وَمَا يُكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ » أي مجاوز طور الفطرة الإنسانية ، بتجاوزه حد العدالة ، إلى الإفراط في أفعاله بالبغي والعدوان « أَثِيمٍ » أي مبالغ في ارتكاب أفانين الإثم وأنواع المعاصي « إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ » أي ماسطوره من الأحاديث والأخبار . يريد أنه ليس بوحى رباني ، ولا تنزيل إلهي . مع نصوص بيانه وشواهد برهانه .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٤] (كَلَّا بَلْ سَرَّانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

« كَلَّا » أى ليست هذه الآيات بأساطير الأولين . بل هى الحق المبين ، والشفاء لما فى الصدور « بَلْ سَرَّانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » أى غطى على مداركهم ما اكتسبوه من الآثام حتى كدر جوهرها وصار صدا عليها بالرسوخ فيها . و (الرين) أصل معناه الصدا والوسخ القار ، شبه به حب المعاصى الراسخ فى النفس . وذلك أنه يحصل من تكرار الفعل ملكة راسخة لاتقبل الزوال ، وصفة للنفس قارة فيها . فبكثرة المعاصى يرسخ حبها فى القلب بحيث لا يزول ، كالصدا الذى لا يزول بسهولة . قال فى (الأساس) : الران ما غطى على القلب وركبه من القسوة للذنوب بعد الذنب . من قولهم (ران عليه الشراب والنعاس) و (ران به) إذا غلب على عقله . و (رين بفلان) ونظيره الغين .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٥] (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)

« كَلَّا » ردع لهم عن الكسب الرائن على قلوبهم . أو بمعنى حقاً « إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ » قال ابن جرير^(١) : أى فلا يرونه ولا يرون شيئاً من كرامته يصل إليهم ، فهم محجوبون عن رؤيته وعن كرامته . وتخصيص الحجب بهؤلاء يقتضى أن غيرهم غير محجوب فيراه الله تعالى ويرى كرامته . قال الشهاب : لما كان الحجاب هو السار من ستارة بز وغيرها ، استعير تارة لعدم الرؤية ، لأن المحجوب لا يرى ما حجب . وتارة للإهانة ، لأن الحقير يحجب ويمنع من الدخول على الرؤساء . ولذا قالت العرب : الناس ما بين مرحوب ومحجوب ، أى معظم ومهان . وهو بمعانيه محال أن يتصف به الله . فلا يصح إطلاقه عليه تعالى ، كما صرحوا به . وإنما يوصف به الخلق ، كما فى هذه الآية . فإذا أجرى على اسم من أسمائه تعالى ، فهو وصف سبى لا حقيقى . بل التشبيه للخلق .

(١) انظر الصفحة رقم ١٠٠ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٦] (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ)

[١٧] (ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ)

« ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ » أى عتقون بها . وقد أشار القاشانى إلى سر ترادف هذه الجمل الكريمة ، بأن ما اكتسبوه من الذنوب لما صار كالصدا على قلوبهم بالرسوخ فيها ، كدّر جوهرها وغيّرها عن طباعها . فعندها تحقق الحجاب وانغلق باب الغفرة ، ولذلك قال : (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ) لامتناع قبول قلوبهم للنور ، وامتناع عودها إلى الصفاء الأول الفطرى . كالماء الكبريتى مثلا ، إذ لو روق أو صعد لما رجع إلى الطبيعة المائية المبردة ، لاستحالة جوهرها . بخلاف الماء المسخن الذى استحالت كيميته دون طبيعته . ولهذا استحقوا الخلود فى العذاب ، وحكم عليهم بقوله (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ) انتهى . قال ابن القيم فى (بدائع الفوائد) فى هذه الآية ما مثاله : جمع لهم سبحانه بين العذابين عذاب الحجاب وعذاب النار . فألم الحجاب يفعل فى قلوبهم وأرواحهم ، نظير ما تفعله النار فى أجسامهم . كحال من حيل بينه وبين أحب الأشياء إليه فى الدنيا ، وأخذ بأشد العذاب . فإن أخص عذاب الروح أن تتعلق بمحجوب لاغنى لها عنه ، وهى ممنوعة من الوصول إليه . فكيف إن حصل لها ، مع توارى المحجوب عنها وطول احتجابه ، بنفضه لها ومقتته وطرده وغضبه الشديد عليها ؟ فأى نسبة لألم البدن إلى هذا الألم الذى لا يتصوره إلا من بلى به أو بشىء منه ؟ فلو توهمت النفوس ما فى احتجاب الله سبحانه عنها يوم لقائه من الألم والحسرة ، لما تعرضت لأسباب ذلك الاحتجاب . وأنت ترى المحبين فى الدنيا لصورة ، منتهى حسننها إلى ما يعلم ، كيف يضجّون من ألم احتجاب محبوبهم عنهم وإعراضه وهجره ؟ ويرى أحدهم كالوت أو أشد منه من بين ساعة ، كما ^(١) قال :

وَكُنْتُ أَرَى كَالْوَتِ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ فَكَيْفَ بَيْنِ كَانَ مِيعَادَهُ الْحَشْرِ

(١) من الحماسية رقم ٣٨٥ لسكّمة الجعفى يرى أخاه لأمه . وأولها :

وإنما يتبين الحال في هذا بمعرفة ما خلقت له الروح وما هيئت له وما فطرت عليه ، وما لاسمادة لها ولا نعيم ولا حياة إلا بإدراكه .

فاعلم أن الله سبحانه خلق كل عضو من الأعضاء لغاية ومنفعة ، فكماله ولذته في أن يحصل فيه ما خلق له ، فخلق العين للإبصار والأذن للسمع والأنف للشم واللسان للنفق واليد للبطش والرجل للمشي والروح لمعرفة ومحبة والابتهاج بقربه والتنعم بذكركه . وجعل هذا كلها وغايتها . فإذا تعطلت من ذلك كانت أسوأ حالاً من العين والأذن واللسان واليد والرجل ، التي تعطلت عما خلقت له ، وحيل بينها وبينه . بل لانسبة لألم هذه الروح إلى ألم تلك الأعضاء المعطلة البتة . بل ألمها أشد الألم . وهو من جنس ألمها إذا فقدت أحب الأشياء إليها وأعزها عليها ، وحيل بينها وبينه ، وشاهدت غيرها قد ظفر بوصله وقاز بقربه ورضاه . والروح لإحياة لها ولا نعيم ولا سرور ولا لذة إلا بأن يكون الله وحده هو معبودها وإلهها ومرادها ، الذي لا تقرّ عينيها إلا بقربه والأنس به والعكوف بكائمتها على محبته والشوق إلى لقائه . فهذا غاية كلها وأعظم نعيمها وجنتها العاجلة في الدنيا . فإذا كان يوم لقائه كان أعظم نعيمها رفع الحجاب

= أقول لنفسي في الخلاء ألومها : لك الويل ! ما هذا التجلّد والصبرُ
قال الشارح المرزوق :

قوله (كالموت) جعل الكاف وحده اسماً . وسيبويه لا يرى ذلك إلا في الضرورة . كأنه قال : أرى مثل الموت . ولا يتمتع أن يكون (كالموت) صفة لموصوف محذوف . كأنه قال : وكنت أرى شيئاً أو أمراً مثل الموت .

وقوله (من بين ليلة) من ، دخل للتبيين . والمعنى : كنت أعدّ مفارقتي له في ليلة كالموت ، أو أقاسى مثل الموت من أجل مفارقة ليلة منه ، فكيف يكون حال وقد فرّق بيني وبينه بين ، موعد الالتقاء بعده يوم القيامة .

الذى كان يحجبها في الدنيا عن رؤية وجهه وسماع كلامه . وفي حديث الرؤية^(١) : فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجهه .

ثم قال : وكما جمع سبحانه لأعدائه بين هذين العذابين ، وهما ألم الحجاب وألم العذاب ، جمع لمحبيه بين نوعي النعيم نعيم القرب والنظر ، ونعيم الأكل والشرب والنسكاح والتمتع بما في الجنة ، في قوله^(٢) (وَلَقَسْتَهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) الآيات اهـ .

« ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ » أى في الدنيا . قال الإمام: تبيكيتاً لهم وزيادة في التنكيل بهم . فإن أشد شيء على الإنسان ، إذا أصابه مكروه ، أن يذكر وهو يتألم له ، بأن وسائل النجاة من مصابه كانت بين يديه فأهملها . وأسباب التفصّي عنه كانت في مكنته فأغفلها .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٨] (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ)

[١٩] (وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ)

[٢٠] (كِتَابٌ مَرْقُومٌ)

[٢١] (يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ)

« كَلَّا » ردع عن التكذيب ، أو بمعنى حقاً « إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ » قال القاشاني : أى ما كتب من صور أعمال السعداء وهيآت نفوسهم النورانية وملكاتهم الفاضلة ، في علمين . وهو مقابل للسجين ، في علوه وارتفاع درجته ، وكونه ديوان أعمال أهل الخير . كما قال « وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ » أى محل شريف

(١) أخرجه الترمذى في : ٣٦ - كتاب الجنة ، ١٦ - باب ما جاء في رؤية الرب

تبارك وتعالى . (٢) [٧٦ / الإنسان / ١١] .

رقم بصور أعمالهم « يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ » أى يحضره المقربون من حضرة ذى الجلال ، كما فى آية (١) (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ) .

والمقربون هم الأبرار . أعاد ذكرهم ، بوصف ثان ، تنويعاً بهم وتعدد لصفاتهم .
أو هم الملائكة إجلالاً لهم وتعظيماً لشأنهم .

ولما عظم تعالى كتابهم ، تأثره بتعظيم منزلتهم ، بقوله سبحانه :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٢] (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ)

[٢٣] (عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ)

[٢٤] (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ)

[٢٥] (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ)

[٢٦] (خِتْمُهُ مِسْكَ ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)

« إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ » أى عظيم دائم ، وذلك نعيمهم فى الجنان « عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ » أى على الأسرة والمتكات ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة وأفانين النعيم « تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ » أى بهجته وروثقه ، كما يرى على وجوه المترفين ماؤه وحسنه « يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ » أى خمر ، لأنه خص بالخالص الذى لا غش فيه ، كما قال حسان (١) :
يُسْقَوْنَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ (٢) عليهم بَرْدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

(١) [٥٤ / القمر / ٥٥] . (٢) البريص : نهر بدمشق . وَبَرْدَى : نهر آخر بدمشق .

وقوله (بَرْدَى) أى ماء بردى . ويصفق أى يمزج . والرحيق الخمر البيضاء . والسلسل اللينة السهلة الدخول فى الحلق . وذلك من قصيدته التى مطلعها :

أَسَأَلْتُ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلْ ؟
بَيْنَ الْجَوَابِ فَالْبُضَيْعِ فَحَوَّلَ

(شرح البرقوق ص ٣٠٧) .

ومنه قولهم . مسك رحيق لاغش فيه ، وحسب رحيق لاشوب فيه .
وقوله تعالى : « مَخْتُومٌ » أى ختم على أوانيه تكريماً له لصيانتة عن أن تمسه الأيدي
على ما جرت به العادة من ختم ما يكرم ويصان « خَتَمُهُ وَمِسْكٌ » . قال القفال : أى الذى
يختم به رأس قارورة ذلك الرحيق ، هو المسك ، كالطين الذى يختم به رؤوس القوارير فـسكان
ذلك المسك رطب ينطبع فيه الخاتم .

وعن بعض السلف واللغويين : المختوم الذى له ختام أى عاقبة ، وقد فسرت بالمسك . أى
من شربه كان ختم شربه على ربح المسك . والقصد لذة المقطع بذكاء الرائحة وأرجها ، على
خلاف خمر الدنيا الخبيثة الطعم والرائحة « وَفِي ذَلِكَ » أى النعيم المغوى به وما تلاه « فَلْيَتَنَافَسِ
الْمُقْتَنِفُونَ » أى فليرغب الراغبون بالاستباق إلى طاعة الله تعالى .

قال ابن جرير : التنافس أن ينافس الرجل على الرجل بالشئ يكون له ، ويتمنى أن يكون
له دونه . وهو مأخوذ من الشئ النفيس ، وهو الذى تحرص عليه نفوس الناس وتطلبه
وتستهميه . وكأن معناه فى ذلك : فليجدد الناس فيه وإليه ، فليستبقوا فى طلبه ولتحرص عليه
نفوسهم . وقال الرازى : إن مبالغته تعالى فى الترغيب فيه تدل على علو شأنه . وفيه إشارة
إلى أن التنافس يجب أن يكون فى مثل ذلك النعيم العظيم الدائم ، لافى النعيم الذى هو مكدر
سريع الفناء . وقوله تعالى :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٧] (وَمِزَاجُهُ مِّن تَسْنِيمٍ)

[٢٨] (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ)

« وَمِزَاجُهُ مِّن تَسْنِيمٍ » عطف على (ختامه) صفة أخرى (لرحيق) وما بينهما اعتراض
مقرر لنفاسته . أى ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم . والتسنيم فى الأصل مصدر سنىمه بمعنى

(١) انظر الصفحة رقم ١٠٨ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

رفعه ، ومنه السفام . سعى الماء به لارتفاعه وانصبابه من علوّ . وقد بينه بقوله « عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُعْرِضُونَ » أى يشربون بها الرحيق ، والكلام فى الباء ، كما فى آية (١) (يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ) من كونها زائدة ، أو بمعنى (من) أو صلة الامتزاج أو الالتذاذ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٩] (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ)

[٣٠] (وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ)

[٣١] (وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ)

« إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا » يعنى كفار قريش « كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ » أى استهزاء بهم لإيمانهم بالله وحده وبما أوحاه إلى رسوله صلوات الله عليه ، وببذم ما ألفوا عليه آباءهم .

قال الإمام : الذين أجروا هم المعتدون الأئمة الذين شرّبت نفوسهم فى الشر ، وصمّت آذانهم عن سماع دعوة الحق . هؤلاء كانوا يضحكون من الذين آمنوا . ذلك لأنه حين رآهم الله هذا العالم ببعثة النبي ﷺ ، كان كبار القوم وعرفاؤهم على رأى الدهاء وفى ضلال العامة . وكانت دعوة الحق خافتة لا يرتفع بها إلا صوته عليه السلام ، ثم يهمس بها بعض من يليه . ويجيب دعوته من الضعفاء الذين لم تطمس أهواؤهم سبيل الحق إلى قلوبهم فيُسِرُّ بها إلى من يرجوه ، ولا يستطيع الجهر بها لمن يخافه . ومن شأن القوى المستعز بالقدره والكثرة أن يضحك ممن يخالفه فى المنزع ويدعوه إلى غير ما يعرفه ، وهو أضعف منه قوة وأقل عدداً . كذلك كان شأن جماعة من قريش ، كأبى جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياهم . وهكذا يكون شأن أمثالهم فى كل زمان متى عمت البدع ، وتفرقت الشيع وخفى طريق الحق بين طرق الباطل ، وجهل معنى الدين ، وأزهقت روحه من عباراته وأساليبه ، ولم يبق إلا ظواهر

(١) [٧٦ / الإنسان / ٦] .

لاتطابقها البواطن، وحركات أركان لاتشايعها السرائر. وتحكمت الشهوات فلم تبق رغبة تحدو بالناس إلى العمل، إلاماتعلق بالطعام والشراب والزينة والرياش والمناصب والألقاب. وتشبثت الهمم بالجد الكاذب. وأحب كل واحد أن يحمد بما لم يفعل. وذهب الناقص يستكمل ما نقص منه بتفقيص السكامل. واستوى في ذلك الكبير والصغير، والأمير والمأمور، والجاهل والملقب بلقب العالم. إذا صار الناس إلى هذه الحال، ضعف صوت الحق وازدرى السامعون منهم بالداعي إليه. وانطبق عليهم نص الآية الكريمة. انتهى.

« وَإِذَا مَرُّوا » أى الذين آمنوا « بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ » أى يغمز بعضهم بعضاً استهزاء وسخرية. والغمز : الإشارة بالظفر والحاجب.

قال السيوطى : وفى هذا دلالة على تحريم السخرية بالمؤمنين، والضحك منهم، والغماز عليهم « وَإِذَا انْقَلَبُوا » أى هؤلاء المجرمون من مجالسهم « إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ » أى متلذذين بالسخرية وحكاية ما يعميرون به أهل الإيمان. أو بما هم فيه من الشرك والطغيان والتمتع بالدنيا.

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٢] (وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءَ لَضَّاوُونَ)

[٣٣] (وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ)

[٣٤] (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ)

[٣٥] (عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ)

[٣٦] (هَلْ تُؤِيبَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)

« وَإِذَا رَأَوْهُمْ » أى رأوا المؤمنين « قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءَ لَضَّاوُونَ » أى لتركهم ما عليه

العامة، والاعتصام بغيره. وقوله تعالى « وَمَا أَرْسَلُوا » أى هؤلاء المجرمون القائلون ماذا

« عَلَيْهِمْ » أى على المسلمين « حَافِظِينَ » أى لأعمالهم . جملة حالية من (واو قالوا) أى قالوا ذلك ، والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم ، يحفظون عليهم أحوالهم ، ويهيمون على أعمالهم ، ويشهدون برشدكم وضلالهم . وهذا تهكم بهم وإشعار بأن ما اجترأوا عليه من القول ، من وظائف من أرسل من جهته تعالى .

وقد جوز أن يكون ذلك من جملة قول المجرمين . كأنهم قالوا : إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظين . إنكاراً لصددهم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام . وإنما قيل (عَلَيْهِمْ) نقلاً له بالمعنى كما فى قولك (حلف ليفعلن) لا بالعبارة ، كما فى قولك (حلف لأفعلن) أفاده أبو السعود « فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ » تفریع على ما قبله ، للدلالة على أنه جزاء سخریتهم فى الدنيا . و (اليوم) يوم الدين والجزاء . وضحكهم من الكفار ضحك السرور بما نزل بعدوه من الهوان والصغار ، بعد العزة والكبر . « عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ » إلى ما أوتوا من النعيم ، وما حل بالمجرمين من عذاب الجحيم « هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » أى جوزوا ثواب ما كانوا يفعلون فى الدنيا .

والجملة متعلقة بـ (يَنْظُرُونَ) فى محل نصب بعد إسقاط الجار . أو مستأنفة . والاستفهام للتقرير كأنه خطاب للمؤمنين ، تعظيماً لهم وتكريماً وزيادة فى مسرتهم . أى هل رأيت كيف جازى الله الكافرين بأعمالهم ، أى أنه فعل . و (ما) مصدرية أو موصولة .

وثوبه وأثابه بمعنى جزاه . وهو من (ثاب) بمعنى رجع . فالثواب ما يرجع على العبد فى مقابلة عمله . ويستعمل فى الخير والشر .

ونظير هذه الآيات قوله تعالى ^(١) (اُخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذَتْهُمْ سَخِرِبًا حَتَّىٰ آتَسَوْهُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآزُونَ) .

(١) [٢٣ / المؤمنون / ١٠٨-١١١] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٤ - سُورَةُ الْإِنْشِقَاقِ

وتسمى سورة إذا السماء انشقت . وهي مكية . وهي خمس وعشرون آية . قيل ترتيب هذه السور الثلاث ظاهر . لأن في (انقطرت) تعريف الحفظة السكاتين وفي (المطففين) مقرر كتبهم . وفي هذه عرضها للقيامة . روى الإمام مالك^(١) عن أبي سلمة أن أبا هريرة قرأ بهم: إذا السماء انشقت . فسجد فيها . فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها . ورواه مسلم^(٢) والنسائي^(٣) . وأخرج البخاري^(٤) عن أبي رافع قال : صليت مع أبي هريرة العتمة . فقرأ (إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ) فسجد . فقلت : ما هذه ؟ قال : سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ . فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه . وفي رواية للنسائي^(٥) عن أبي هريرة قال : سجدنا مع رسول الله ﷺ في (إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ) و (أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) .

(١) أخرجه في الموطأ في : ١٥ - كتاب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن ، حديث رقم ١٢ (طبعنا) .

(٢) أخرجه في : ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم ١٠٧ (طبعنا) .

(٣) أخرجه في : ١١ - كتاب الافتتاح ، ٥١ - باب السجود في إذا السماء انشقت .

(٤) أخرجه في : ١٧ - كتاب سجود القرآن ، ١١ - باب من قرأ السجدة في الصلاة

فسجد بها . حديث رقم ٤٦٦ .

(٥) أخرجه في : ١١ - كتاب الافتتاح ، ٥١ - باب السجود في إذا السماء انشقت .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ)

[٢] (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ)

[٣] (وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ)

[٤] (وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ)

[٥] (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ)

« إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ » أى انصدعت وتقطعت كما تقدم في قوله ^(١) (إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ) « وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ » أى سمعت له فى تصدعها وتشققها . وهو مجاز عن الانقياد والطاعة . والمعنى أنها انقادت لتأثير قدرته ، حين أراد انشقاقها ، انقياد المطواع الذى يستمع للأمر ويذعن له . قال ابن جرير ^(٢) : العرب تقول (أذن لك فى هذا إذا) بمعنى استمع لك . ومنه الخبر الذى روى ^(٣) عن النبي ﷺ : ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن . يعنى ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن . ومنه قول الشاعر ^(٤) :
صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذَكَرْتُ بِهِ وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

(١) [٨٢ / الانقطار / ١] .

(٢) انظر الصفحة رقم ١١٢ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٣) أخرجه البخاري في : ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٣٢ - باب قول الله تعالى : وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ، حديث رقم ٢٠٨٨ ، عن أبي هريرة .

(٤) الحاسية رقم ٦٠٦ لقعن بن أم صاحب . وأولها :

إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مَنِ ، وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

أذنوا : استمعوا ، يقال : أذن لكذا وكذا ، يأذن إذا .

ويجوز أن يكون اشتقاقه من الأذن ، الحاسة .

ومعنى قوله تعالى (وَحَقَّتْ) أى : حق لها ووجب أن تمقاد لأمر القادر ولا تتمنع .
وهى حقيقة بالانقياد لأنها مخلوقة له فى قبضة تصرفه . قال العرب : الأصل حق الله طاعتها .
ولما كان الإسناد فى الآية إلى السماء نفسها ، والتقدير : وحقت هى ، كان أصل الكلام
على تقدير مضاف فى الضمير المستكن فى الفعل . أى وحق سماعها وطاعتها . فحذف المضاف ،
ثم أسند الفعل إلى ضميره ، ثم استتر فيه « وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ » أى بسطت وجعات مستوية .
وذلك بنفس جبالها وآكامها كما قال ^(١) (فَأَعَا صَفْصَفًا * لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا)
ولذا قال ابن عباس : مدت مد الأديم العكاظى . لأن الأديم إذا مدّ ، زال كل انثناء فيه
واستوى « وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا » أى ما فى جوفها من السكنوز والأموات « وَتَخَلَّتْ » أى :
وخلت غاية الخلوّ ، حتى لم يبق شىء فى باطنها ، كأنها تكلفت أقصى جهدها فى الخلوّ
« وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ » أى انقادت له فى التخلية ، وحق لها ذلك ، وإعادة الآية للتنبيه
على أن ذلك تحت سلطان الجلال الإلهى وقهره ومشيتته . وجواب (إِذَا) محذوف للتحويل
بالإيهام . أى : كان ما كان مما لا ينفى به البيان . أو لاقى الإنسان كدحه ، كما قال .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦] (يٰأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ)

[٧] (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَيَمِينِهِ)

[٨] (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)

[٩] (وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا)

« يٰأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ » قال ابن جرير ^(٢) : أى

(١) [٢٠ / طه / ١٠٦ و ١٠٧] .

(٢) انظر الصفحة رقم ١١٥ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

إنك عامل إلى ربك عملاً فلاقه به ، خيراً كان أو شراً . والمعنى : فليكن عملك مما ينجيك من سخطه ، ويوجب لك رضاه ، ولا يكن مما يسخطه عليك فتهلك . وقال القاشاني : أى إنك ساع مجتهد في الذهاب إليه بالموت . أى تسير مع أنفاسك سريعاً . كما قيل : أنفاسك خطأك إلى أهلك ؛ أو مجتهد مجدّد في العمل ، خيراً أو شراً ، ذاهب إلى ربك فلاقه ضرورة . قال : والضمير إما للرب وإما للكدر . وأصل الكدر جهد النفس في العمل والكدر فيه ، حتى يؤثر فيها . من (كدر جلد) إذا خدشه . فاستعير للجهد في العمل وللتعب ، بجامع التأثير في ظاهر البشرة « فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَبَيَمِينِهِ » وهم من آمن وعمل صالحاً واتصف بما وصف به الأبرار ، في غير ما آية « فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا » قال ابن جرير (١) : بأن ينظر في أعماله فيغفر له سيئها ويجازى على حسنها . وقال القاشاني : بأن تمحي سيئاته ويعفى عنه ويثاب بحسناته دفعة واحدة ، لبقاء فطرته على صفائها ونوريتها الأصلية « وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ » أى : زوجته وأقاربه . أو قومه ممن يحانسهم ويقارنهم من أصحاب اليمين « مَسْرُورًا » أى بنجائه من العذاب ، أو بصحبته ومرافقتهم ، وبما أوتى من حظوظه .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٠] (وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ)

[١١] (فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا)

[١٢] (وَيَصْلَى سَعِيرًا)

[١٣] (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا)

[١٤] (إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحْجُورَ)

[١٥] (بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا)

(١) انظر الصفحة رقم ١١٥ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

« وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ » أى أعطى كتاب عمله بشماله من وراء ظهره ، وهو على هيئة المنضوب عليه ، أمام الملك المنصرف به عن ذاك المقام إلى دار الهوان ^(١) (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) « فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا » أى ينادى بالهلاك وهو أن يقول : وايبورا ! وواويلاه ! وهو من قولهم دعا فلان لهفه ، إذا قال والهفاه « وَيَصْلَى سَعِيرًا » أى يدخل ناراً يحترق بها « إِنَّهُوَ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا » أى منعماً مستريحاً من التفكير فى الحق والدعاء إليه والصبر عليه . لايهمه إلا أجوفاه ، بطراً بالنعم ، ناسياً المولاه « إِنَّهُوَ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ » أى لن يرجع إلى ربه ، أو إلى الحياة بالبعث . لاعتقاده أنه يحيى ويموت ولا يهلكه إلا الدهر . فلم يك يرجو ثابأولا يخشى عقابأولا يبالى ماركب من المآثم ، على خلاف ما قيل عن المؤمنين ^(٢) (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ) ^(٣) (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ) « بَلَى » أى ليحورن ويرجعن إلى ربه حياً كما كان قبل مماته « إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا » أى بما أسلف فى أيامه الخالية ، فيجازيه عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٦] (فَلَا أُقْسِمُ بِالسَّفَقِ)

[١٧] (وَالْيَلِّيلِ وَمَا وَسَقِ)

[١٨] (وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ)

[١٩] (لَتَرَكَبْنَ طَبَقًا عَن طَبَقٍ)

[٢٠] (فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)

[٢١] (وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ)

(١) [١٦ / النحل / ٦٠] . (٢) [٥٢ / الطور / ٢٦] . (٣) [٦٩ / الحاقة / ٢٠] .

« فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ » وهى الحمرة فى الأفق من ناحية مغرب الشمس « وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ » أى جمع وضمّ مما سكن وهذا فيه من ذى روح كان يطير أو يدب نهراً كذا قاله ابن جرير^(١)، والأظهر أن يكون إشارة إلى الأشياء كلها ، لاشتغال الليل عليها. فكأنه تعالى أقسم بجميع المخلوقات كما قال^(٢) (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ) « وَالْقَمَرَ إِذَا اتَّسَقَ » أى اجتمع وتم نوره وصار كاملاً « لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ » أى حالاً بعد حال. والمعنى بالحال الأولى البعث للجزاء على الأعمال. وبالثانية الحياة الأولى. وفيه تنبيه على مطابقة كل واحدة لأختها. فإن الحياة الثانية تماثل الأولى وتطابقها من حيث الحس والإدراك والألم واللذة ، وإن خفى اكتناهاها. وجوز أن يكون (طَبَقًا) جمع طبقة وهى المرتبة. أى لتركن مراتب شديدة مجاوزة عن مراتب وطبقات ، وأطواراً مرتبة بالموت وما بعده من مواطن البعث والنشور .

قال الشهاب : الطباق معناه ما يطابق غيره مطلقاً فى الأصل، ثم إنه خص بما ذكر، وهو الحال المطابقة أو مراتب الشدة المتعاقبة .

و (عن) للمجازة أو بمعنى (بعد). والبعدية والمجازة متقاربان، لكنه ظاهر فى الثانى « فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » أى بهذا الحديث. وقد أقام لهم الحجة على التوحيد والبعث « وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ » أى لا يخضعون ولا يستكمنون ولا ينقادون . قال فى (الإكليل) : وقد استدل به على مشروعية سجدة التلاوة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٢] (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ)

[٢٣] (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ)

(١) انظر الصفحة رقم ١١٩ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٦٩ / الحاقة / ٣٨ و ٣٩] .

[٢٤] (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)

[٢٥] (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)

« بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ » أى بآيات الله وتنزيله ، المبين لما ذكر من أحوال القيامة وأهوالها ، مع تحقيق موجبات تصديقه ، والإضراب عن محذوف تقديره كما قال الإمام ، لا تظن أن قرع القرآن لم يكسر أغلاق قلوبهم ، ولم يبلغ صوته أعماق ضمائرهم . بلى ، قد بلغ وأفنع فيما بلغ . ولكن العناد هو الذى يمنهم عن الإيمان ، ويصدّهم عن الإذعان ، فليس منشأ التكذيب قصور الدليل . وإنما هو تقصير المستدل وإعراضه عن هدايته ، فالإضراب يرمى إلى محذوف من القول يدل عليه السابق واللاحق « وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ » أى بما يسرون فى صدورهم من حقبة التنزيل ، وإن أخفوه عناداً . أو بما يضمرون من البغى والمكر ، فسيجزىهم عليه . ولذا قال « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » أى جزاء على تكذيبهم وإعراضهم وبغيهم « إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ » أى غير مقطوع أو غير ممنون به عليهم . والاستثناء منقطع أو متصل ، على أن المراد بمن آمن من أسلم منهم فأمنوا باعتبار ما مضى أو بمعنى (يؤمنون) وكونه مفقوعاً أظهر ليجيء (لهم أجر) بغير فاء . والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٥ - سُورَةُ الْبُرُوجِ

مكية . وآيها اثنتان وعشرون . روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

- [١] (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ)
 - [٢] (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ)
 - [٣] (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ)
 - [٤] (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ)
 - [٥] (النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ)
 - [٦] (إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ)
 - [٧] (وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ)
 - [٨] (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)
 - [٩] (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)
- « وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ » أى الكواكب والنجوم. شبهت بالبروج ، وهى القصور، لعلوها . أو البروج منازل عالية فى السماء .

قال ابن جرير^(١) : وهى اثنا عشر برجاً . فمسير القمر فى كل برج منها يومان وثلاث فذلك ثمانية وعشرون منزلاً . ثم يستمر ليلتين . ومسير الشمس فى كل برج منها شهر . وأصل معنى البروج - كما قال الشهاب - الأمر الظاهر من التبرج . ثم صار حقيقة فى العرف للقصور العالية . لأنها ظاهرة للناظرين . ويقال لما ارتفع من سور المدينة (برج) أيضا .

(١) انظر الصفحة رقم ١٢٨ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

فشبهه - على هذا - الفلك بسور المدينة وأثبت له البروج « وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ » أى الذى وعد فيه العباد لفصل القضاء بينهم ، وذلك يوم القيامة « وَشَاهِدٍ » وهو كل ماله حس يشهد به « وَمَشْهُودٍ » وهو كل مُحَسَّن يشهد بالحس . فيدخل فيه العوالم المشهودة كلها . وتخصيص بعض المفسرين بعضاً مما يتناوله لفظهما ، لعله لأنه الأهم . أو الأولى أو الأعراف والأظهر ، لقريئة عنده . وإلا فاللفظ على عمومه ، حتى يقوم برهان على تخصيصه .

« قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ » أى : قتلهم الله وأهلكهم وانتقم منهم . على أن الجملة خبرية هى جواب القسم . أو دليل جوابه إن كانت دعائية . والتقدير : لتبلون كما ابتلى من قبلكم ، ولينتقم من فتنكم كما انتقم من الذين ألقوا المؤمنين فى الأخدود .

قال الزخشرى : وذلك أن السورة وردت فى تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة ، وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان ، وإلحاق أنواع الأذى وصبرهم وثباتهم ، حتى يأنسوا بهم وبصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ، ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرقين بالنار ، ملمعون أحقاء بأن يقال فيهم (قتل قريش) كما قيل (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) والأخدود : الحفرة فى الأرض مستطيلة . وقوله تعالى « النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ » بدل من (الأخدود) و (الوقود) بالفتح الحطب الجزل الموقد به وأما (الوقود) بالضم فهو الإيقاد « إِذْ هُمْ عَلَيْهَا » أى على حافات أخدودها « قُعُودٌ » أى قاعدون يتشفون من المؤمنين « وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ » أى حضور يشاهدون احتراق الأجساد الحية ، وما تفعل بها النيران . لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم « وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ » أى : وما أنكروا منهم ، ولا كان لهم ذنب ، إلا الإيمان بالله وحده .

قال الراغب : نكمت من الشيء ونكمته إذا أنكرته ؛ إما باللسان وإما بالعقوبة ، ومنه الانتقام « الْمُرِيزِ » أى الغالب على أعدائه بالقهر والانتقام « الْحَمِيدِ » أى الحمود على إنعامه

وإحسانه « الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » أى على كل شيء من أفاعيل هؤلاء الفجرة ، أصحاب الأخدود وغيرهم ، شاهدٌ شهوداً لا يخفى عليه منه مثقال ذرة ، وهو مجازيهم عليه . وفي توصيفه تعالى بما ذكر من النعمت الحسنی ، إشعار بمناط إيمانهم . فإن كونه تعالى قاهراً ومنعماً ، له ذلك الملك الباهر . وهو عليم بأفعال عبیده ، مما يوجب أن يخشاه من عرف المصائر ، وفي الآية نوع من البديع يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم . وهو معروف في كتب المعاني .

تنبيه :

روى ابن جرير^(١) عن ابن عباس في أصحاب الأخدود قال : هم ناس من بنى إسرائيل خدّوا أخدوداً في الأرض ، ثم أوقدوا فيه ناراً ، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء ، فمرضوا عليها . وهكذا قال الضحاك : هم من بنى إسرائيل أخذوا رجالاً ونساء فخدّوا لهم أخدوداً ، ثم أوقدوا فيه النيران ، فأقاموا المؤمنين عليها . فقالوا : تكفرون أو نقذفكم في النار .

وقال مجاهد : كان الأخدود شقوقاً بنجران . كانوا يعذبون فيها الناس - وتفصيل النبأ - على ما في كتاب (الكنز الثمين) - إن دعوة المسيح عليه السلام الأولى العربيّة عن شوائب الإلحاد ، لما دخلت بلاد اليمن وآمن كثير من أهلها ، كان في مقدمة تلك البلاد بلدة نجران . وكان أقام عليها ملك الحبشة أميراً من قبله نصرانياً مثله . وكان بها راهب كبير له الكلمة النافذة والأمر المطاع . ثم إن اليهود الذين كانوا في تلك البلاد تآمروا على طرح نير السلطة المسيحية من اليمن ، والإيقاع بمن تقصر ، بغضاً في المسيحية وكرهه لسلطانٍ مسيحيٍّ يملكهم . فأقاموا رجالاً يهودياً منهم عند موت ذلك السلطان أوقته . فأشهر ذلك اليهودي نفسه ملكاً على بلاد سبأ . وجاء لمحاربة مدينة نجران ، واستولى عليها بالتغلب والقوة

(١) انظر الصفحة رقم ١٣٢ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

والخيانة . ولما دخلها قتل عدداً عظيماً من سكانها رجالاً ونساء . كانت عدتهم - فيما يقال - ثلاثمائة وأربعين شهيداً . وأتى بذلك الراهب محمولا يحف به الجنود . وكان هراً لا يقوى على المشي . فستل عن عقيدته فأقر بالإيمان بالله تعالى وبما جاء به رسوله عيسى عليه السلام . فأمر بسفك دمه فقتل . وكذلك بقية الشهداء اعترفوا بما اعترف به دون جبن ولا تهيب ، بل بشجاعة وصبر على ما يشاهدونه من أفانين العذاب وأخاديد النيران . ثم ألقت امرأة بنفسها في النار وتبعها طفل لها في الخامسة من عمره . وكل هؤلاء الشهداء أظهروا من السرور بالتألم من أجله تعالى ، والفرح بالشهادة ، ما أضحووا مثلاً وعبرة لكل مفتون من أجل إيمانه ومدافعته عن يقينه . سواء افتتن بماله أو نفسه أو بسلب حق له . لا جرم أن من تلا ما ورد في الوعد الصادق لكل مفتون في الدين ، استبشر بما أعد للمخلصين الصابرين . وتسمى هذه القصة عند النصارى شهادة الحبر أرائنا ورفقته . ويؤرخونها بعام (٥٢٤) من التاريخ المسيحي ، وقد علمت أن في كلام مجاهد ومن قبله إشارة إليها . والله أعلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٠] (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ)

« إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ » أى بلوهم بالأذى ليرجموا عن إيمانهم . قال أبو السعود : والمراد بهم ، إما أصحاب الأخدود خاصة ، وبالمفتونين المطروحون في الأخدود ، وإما الذين بلوهم في ذلك بالأذية والتعذيب على الإطلاق . وهم داخلون في جلتهم دخولاً أولياً « ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا » أى عن كفرهم وفتنتهم « فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ » أى عذابان منوعان على الكفر وعلى الفتنة . أوهما واحد . أو من عطف الخاص على العام للمبالغة فيه . لأن عذاب جهنم بالمزهرير والإحراق وغيرها . والأظهر أنهما واحد ، وإنه من عطف التفسير والتوضيح .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١١] (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ)

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » أى من هؤلاء المفتونين وغيرهم « لَهُمْ » أى فى شأنهم الأخرى « جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ « أى التام الذى لا فوز مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٢] (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ)

[١٣] (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ)

[١٤] (وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ)

[١٥] (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ)

[١٦] (فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ)

« إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ » قال أبو السعود : استئناف خطب به النبى ﷺ ، إيذانا بأن لكفار قومه نصيباً موفوراً من مضمونه ، كما ينبى عنه التعرض لعنوان الربوبية ، مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام . و (البطش) الأخذ بعنف . وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتقام . وهو بطشه بالجسارة والظلمة ، وأخذه إياهم بالعذاب والانتقام . كقوله تعالى ^(١) (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذْ أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) « إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ » أى يبدى الخلق ثم يعيده . قال الإمام : وهو فى كل يوم

(١) [١١ / هود / ١٠٢] .

يبدى خلقاً من نبات وحيوان وغيرها . ثم إذا هلك أعاد الله خلقه مرة أخرى . ثم هو يعيد الناس في اليوم الآخر على النحو الذى يعلمه « وَهُوَ الْغَفُورُ » أى لمن يرجع إليه بالتوبة « أَلْوَدُودُ » أى المحب لمن أطاعه وأخلص له « ذُو الْعَرْشِ » أى الملك والسلطان أو السماء « أَلْمَجِيدُ » أى العظيم فى ذاته وصفاته . وقرئ بالجر صفة للعرش . ومجده : علوه وعظمته « فَعَالٌ لِّمَآ يُرِيدُ » أى لا يريد شيئاً إلا فعله . فلا يحول بينه وبين مراده شيء . ففتى أراد إهلاك الجاحدين ونصر المخلصين ، فعل ، لأن له ملك السموات والأرض . ولذا تأثره بقوله سبحانه :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٧] (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ)

[١٨] (فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ)

[١٩] (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ)

[٢٠] (وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ)

[٢١] (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ)

[٢٢] (فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ)

« هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ » أى الذين تجندوا على الرسل بأذاهم .

قال ابن جرير^(١) : أى قد أتاك ذلك ، وعلمته ، فاصبر لأذى قومك إياك ، لما نالوك به من مكروه ، كما صبر الذين تجند هؤلاء الجنود عليهم من رسل . ولا يثنيتك عن تبليغهم رسالتى . كما لم يثن الذين أرسلوا إلى هؤلاء . فإن عاقبة من لم يصدقك ويؤمن بك منهم ، إلى عطب وهلاك . كالذى كان من هؤلاء الجنود ، فالجمله - كما قال أبو السموذ - استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى

(١) انظر الصفحة رقم ١٣٩ من الجزء الثلاثين (طبعة الحامى الثانية) .

بالظلمة العصاة ، والكفرة العتاة . وكونه (فعالا لما يريد) متضمن لتسليمته عليه الصلاة والسلام بالإشعار بأنه سيمصّب قومه ما أصاب الجنود .

وقوله تعالى « فِرْعَوْنٌ وَثَمُودٌ » بدل من (الجنود) لأن المراد بفرعون هو وقومه ، واكتفى بذكره عنهم لأنهم أتباعه . والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادى في الكفر والضلال ، وما حل بهم من العذاب والنكال .

« بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ » أى للحق والوحى ، مع وضوح آياته وظهور بيناته ، عناداً وبغياً . والإضراب انتقالي للأشد ، كأنه قيل ليس حال فرعون وثمود بأعجب من حال قومك . فإنهم ، مع علمهم بما حل بهم ، لم ينزجروا . وفى جماعهم (فى تَكْذِيبٍ) إشارة إلى تمكّنه من أنفسهم ، وأنه لشدة إحاطتهم بإحاطة الظرف بمظروفه أو البحر بالفريق فيه ، مع ما فى تنكيره من الدلالة على تعظيمه وتهويله .

« وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ » أى محص عليهم أعمالهم . لا يخفى عليه منها شيء وهو مجازيهم على جميعها . فاللفظ كناية عما ذكر . أو المراد وصف اقتداره عليهم ، وأنهم فى قبضته وحوزته ، كالحاط إذا أحيط به من ورائه ، فسدّ عليه مسلكه فلا يجد مهرباً . ففيه استعارة تمثيلية .

قال الشهاب : وفيه تعريض توبيخى لهم بأنهم نبذوا الله وراء ظهورهم ، وأقبلوا على الهوى والشهوات بوجوه انهما كهم ، وقوله تعالى « بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ » أى سام شريف لا يماثل فى أسلوبه وهدايته « فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ » قرئ بالرفع صفة (لقرآن) والجر صفة للوح . قال ابن جرير (١) : والمعنى على الأولى محفوظ من التغيير والتبديل فى لوح . وعلى الثانية محفوظ من الزيادة فيه والنقصان منه ، عما أثبتته الله فيه . و (بل) إضراب عن شدة تكذيبهم وعدم كفهم عنه ، إلى وصف القرآن بما ذكر ، للإشارة إلى أنه لا ريب فيه ولا يضره تكذيب هؤلاء . فإنه تعالى تولى حفظه وظهوره أبد الآبدين .

(١) انظر الصفحة رقم ١٤٠ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٦ - سورة الطارق

هي مكية . وآياتها سبع عشرة . -

روى الإمام أحمد^(١) : عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل العدواني عن أبيه ؛ أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصا ، حين أتاهم يبتغى عندهم النصر . فسمعته يقرأ (وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ) حتى ختمها : قال فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك . ثم قرأتها في الإسلام . قال فدعنتي ثقيف فقالوا : ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم . فقال من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا . لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه . وروى النسائي^(٢) عن جابر ، قال : صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء ، فقال النبي ﷺ : أفأتان أنت يامعاذ ؟ ما كان يكفيك أن تقرأ بالسما والطارق والشمس وضحاها ونحو هذا ؟

(١) أخرجه في المسند بالصفحة رقم ٣٣٥ من الجزء الرابع (طبعة الحلبي) .

(٢) أخرجه في : ١١ - كتاب الافتتاح ، ٦٣ - باب القراءة في المغرب بسبع اسم

ربك الأعلى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ)

[٢] (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ)

[٣] (النَّجْمُ الثَّاقِبُ)

[٤] (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)

« وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ » أى الماضى .
كأنه ينقب ظلمة الليل وينفذ فيه ، فيبصر بنوره ويهتدى به . وسمى طارقاً لأنه يطرق ليلاً .
أى يبدو فيه .

قال الشهاب : الطارق من (الطرق) وأصل معناه الضرب بوقع وشدة يسمع لها صوت .
ومنه المطرقة والطريق ، لأن السابلة تطرقها . ثم صار فى عرف اللغة اسماً لسالك الطريق ،
لتصور أنه يطرقها بقدمه . واشتهر فيه حتى صار حقيقة . وتسمية الآتى ليلاً (طارقاً) لأنه
فى الأكثر يجد الأبواب مغلقة فيطرقها .

والتعريف فى (النجم) للجنس . وأصل معنى (الثقب) الحرق . فالثاقب الحارق .
ثم صار بمعنى الماضى ، لتصور أنه ثقب الظلام أو الفلك . وفى إبهامه ثم تفسيره ، تفخيم لشأنه
وتنبية على الاعتبار والاستدلال به .

« إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ » أى مهمين عليها رقيب . وهو الله تعالى ،
كما فى آية (١) (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا) فيحصى عليها ما تكسب من خير أو شر ،

(١) [٣٣ / الأحزاب / ٥٢] .

وقد قرئ (لَمَّا) بالتخفيف فـ (إن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن - و (كُلُّ نَفْسٍ) مبتدأ و (عَلَيْهَا حَافِظٌ) خبره . و (ما) صلة واللام هي الفارقة . و قرئ (لَمَّا) بالتشديد على أنها بمعنى (إِلَّا) الاستثنائية و (إن) نافية والخبر محذوف . أى ما كل نفس كائنة في حال من الأحوال، إلا في حال أن يكون عليها حافظ ورقيب . و (كل) على هذا مؤكدة^(٢) لأن (نفس) حينئذ نكرة في سياق النفي ، فتعم .

قال ابن جرير^(١) : والقراءة الى لا اختار غيرها في ذلك ، التخفيف . لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب ، وقد أنكر التشديد جماعة من أهل المعرفة بكلام العرب . غير أن الفراء كان يرى أنها لغة في هذيل . يجعلون (إلا) مع (إن) المخففة لَمَّا . فإن كان صحيحاً ما ذكر الفراء فالقراءة بها جائزة صحيحة . وإن كان الاختيار مع ذلك قراءة التخفيف . لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب . ولا ينبغي أن يترك الأعراف إلى الأنكر . انتهى . وقد صحح غير واحد ثبوتها . وبها قرأ ابن عامر وعاصم وحمة . واستشهد ابن هشام لها في (الغنى) فراجعه .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٥] (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ)

[٦] (خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ)

[٧] (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)

[٨] (إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ)

[٩] (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ)

[١٠] (فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ)

(١) انظر الصفحة رقم ١٤٢ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

« فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ » جواب لمقدر . والفاء فصيحة .

أى : إن ارتاب مرتاب فى كل نفس من الأنفس عليها رقيب ، فلينظر الخ .

قال الإمام : قوله (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ) بمنزلة الدليل على الدعوى المقسم عليها ، زيادة فى التأكيد . ووجه ذلك أن الماء الدافق من المائع الذى لاتصوير فيه ولا تقدير للآلات التى يظهر فيها عمل الحياة كالأعضاء ونحوها . ثم إن هذا السائل ينشأ خلقاً كاملاً كالإنسان ، مملوءاً بالحياة والعقل والإدراك ، قادراً على القيام بخلافته فى الأرض . فهذا التصوير والتقدير وإنشاء الأعضاء والآلات البدنية ، وإبداع كل عضو من القوة ما به يتمكن من تأدية عمله فى البدن ، ثم منح قوة الإدراك والعقل ، كل هذا لا يمكن أن يكون بدون حافظ يراقب ذلك كله ويدبره ، وهو الله جل شأنه . ويجوز أن يكون قوله (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ) من قبيل التفريع على ما ثبت فى القضية الأولى . كأنه يقول : فإذا عرفت أن كل نفس عليها رقيب ، فمن الواجب على الإنسان أن لا يهمل نفسه ، وأن يتفكر فى خلقه . وكيف كان ابتداء نشئه ليصل بذلك إلى أن الذى أنشأه أول مرة ، قادر على أن يعيده . فيأخذ نفسه بصالح الأعمال والأخلاق . ويعدل بها عن سبيل الشر . فإن عين الرقيب لا تغفل عنها فى حال من الأحوال . انتهى .

و (دَافِقٍ) من الدفق . وهو صب فيه دفع . وقد قيل إنه بمعنى مدفوق ، وإن اسم الفاعل بمعنى المفعول . كما أن المفعول يكون بمعنى الفاعل ^(١) كـ (حِجَابًا مَسْتُورًا) .

والصحيح أنه بمعنى النسبة كـ (لابن وتامر) أى ذى دفق ، وهو صادق على الفاعل والمفعول . أو هو مجاز فى الإسناد . فأسند إلى الماء ما لصاحبه مبالغة . أو هو استعارة مكنية أو مصرحة بجعله دافقاً . لأنه لتتابع قطراته كأنه يدفق بعضها بعضاً أى يدفعه . أو دافق بمعنى منصب من غير تأويل ، كما نقل عن الليث . أقوال .

وقوله تعالى « يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ » أى من بين صلب الرجل ونحر المرأة .

(١) [١٧ / الإسراء / ٤٥] .

قال الإمام : الصلب هو كل عظم من الظهر فيه فقر . ويعبر عنه في كلام العامة بسلسلة الظهر . وقد يطلق بمعنى الظهر نفسه إطلاقاً لاسم الجزء على الكل و (الترائب) موضع القلادة من الصدر ، وكفى بالصلب عن الرجل والترائب عن المرأة . أى أن ذلك الماء الدافق ، إنما يكون مادة لخلق الإنسان ، إذا خرج من بين الرجل والمرأة ووقع في المحل الذى جرت عادة الله أن يخلقه فيه ، وهو رحم المرأة . فقوله (يخرج) الخ وصف لا بد من ذكره لبيان أن الإنسان إنما خلق من الماء الدافق المستوفى شرائط صحة الخلق منه .

وقال بعض علماء الطب : الترائب جمع تريبة وهى عظام الصدر فى الذكر والأنثى . ويفلب استعمالها فى موضع القلادة من الأنثى ، ومنها قول امرئ القيس ^(١) :

* ترائبها مصقولة كالسجّنجل *

قال : ومعنى الآية أن المنى باعتبار أصله وهو الدم ، يخرج من شئ ممتد بين الصلب - أى فقرات الظهر فى الرجل - والترائب أى عظام صدره . وذلك الشئ الممتد بينهما هو الأهر (الأورطى) وهو أكبر شريان فى الجسم يخرج من القلب خلف الترائب ويعتد إلى آخر الصلب تقريباً . ومنه تخرج عدة شرايين عظيمة . ومنها شريانان طويلان يخرجان منه

(١) صدر البيت : * مهفهفةٌ بيضاء غير مُفَاضَةٍ *

وقائله امرؤ القيس من معلقته التى مطلعها :

فَقَدْ نَبَيْكَ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ يَسْقُطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْملِ

المهفهفة : اللطيفة الخصر ، الضامرة البطن .

المفاضة : المرأة العظيمة البطن المسترخية اللحم .

الترائب : جمع التريبة ، وهى مواضع القلادة من الصدر .

السقل والصقل (بالسین والصاد) : إزالة الصدأ والداس وغيرهما .

السجّنجل : المرأة . لغة رومية عربتها العرب ، وقيل بل هو قطع الذهب والفضة .

بعد شرياني السكيتين ، وينزلان إلى أسفل البطن حتى يصلا إلى الحصيتين ، فيغذيانهما . ومن دمهما يتكون المني في الحصيتين ويسميان شرياني الحصيتين ، أو الشرياني المنويين فلذا قال تعالى عن المني (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) لأنه يخرج من مكان بينهما وهو الأورطى أو الأبهري . وهذه الآية ، على هذا التفسير ، تعتبر من معجزات القرآن العلمية . وهذا القول أوجه وأدق من التفسير الأول . انتهى .

وقوله تعالى : « إِنَّهُوَ » أى الحافظ سبحانه ، المتقدم فى قوله (لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) أو الخالق المفهوم من خلق « عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ » أى رجع الإنسان وإعادته فى النشأة الثانية ، لقادر . كما قدر على إبدائه فى النشأة الأولى « يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ » أى تظهر وتعرف خفيات الضمائر .

قال الزمخشري : السرائر ما أسرّ فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها ، وما أخفى من الأعمال . وبلاؤها تعرفها وتصفّحها ، والتميز بين ما طاب منها وما خبت « فَمَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ » أى من قوة يمتنع بها من عذاب الله وأليم نكاله . ولا ناصر ينصره فيستنفذه ممن ناله بمكره . يعنى أنه فقد ما كان يعمهده فى الدنيا إذ يرجع إلى قوة بنفسه أو بعشيرته ، يمتنع منهم ممن أراد به بسوء . وناصر حليف ينصره على من ظلمه واضطهده . ولم يبق له إلا انتظار الجزاء على ما قدم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١١] (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)

[١٢] (وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ)

[١٣] (إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ)

[١٤] (وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ)

[١٥] (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا)

[١٦] (وَأَكِيدُ كَيْدًا)

[١٧] (فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُؤْيَدًا)

« وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ » أى المطر . يسمى رجماً لأنه تعالى يرجعه وقتاً فوقتاً إلى العباد ، ولولاه لهلكوا وهلكت مواشيهم « وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ » أى النبات ، لأنه يصدع الأرض أى يشقها . أو الانشقاق بالنبات . فهو علم أو مصدر « إِنَّهُ » أى القرآن الكريم « لَقَوْلٍ فَصْلٌ » أى حق فارق بين الحق والباطل « وَمَا هُوَ بِأَلْهَزَلٍ » أى بالكلام الذى ليس له أصل فى الفطرة ولا معنى فى القلب ، بل هو جدّ الجدّ « إِنَّهُمْ » أى المكذبين به ، الجاحدين لحقه « يَكِيدُونَ كَيْدًا » أى يعمدون مكرراً لإبطال أمر الله وإطفاء نوره « وَأَكِيدُ كَيْدًا » قال ابن جرير^(١) أى وأمكر مكرراً . ومكره جل ثناؤه بهم إملاؤه إياهم على معصيتهم وكفرهم به . يعنى أن الكيد هنا استعمارة تبعية أو تمثيلية . بتشبيه إمهال الله لهم ليستدرجهم ، بالكيد . وبهذا يظهر تفريع أمره بإمهالهم فى قوله « فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ » أى لاتستعجل عقابهم . وقوله « أَمْهَلُهُمْ » بمعنى (مهلمهم) فهو بدل منه للتأكييد . أو تكرير بلفظ آخر للتأكييد . وقوله « رُؤْيَدًا » أى قليلاً .

قال الإمام : وفى ذلك وعيد شديد لهم بأن ما يصيبهم قريب ، سواء كان فى الحياة الدنيا أو فيما بعد الموت . ثم فيه الوعد للنبي ﷺ بل لكل داع إلى الحق الذى جاء به ، أنه سيلغ من النجاح ما يستحقه عمله ، وأن المناوئين له هم الخاسرون .

(١) انظر الصفحة رقم ١٥٠ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٧ - سُورَةُ الْأَعْلَى

مكية وآيها تسع عشرة: قال ابن كثير: والدليل على أنها مكية ما رواه البخاري^(١) عن البراء بن عازب قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم. فجعلنا يُقرئنا القرآن. ثم جاء عمار وبلال وسعد. ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين. ثم جاء النبي ﷺ. فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به. حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ. قد جاء. فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى، في سور مثلها. وعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» تفرد به الإمام أحمد^(٢)، وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى. وعن النعمان ابن بشير^(٣) أن النبي ﷺ كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أذاك حديث الغاشية. وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأها. رواه مسلم وأهل السنن. وعن عائشة أن النبي ﷺ كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والمعوذتين.

- (١) أخرجه في: ٦٥ - كتاب التفسير، ٨٧ - سورة الأعلى، ١ - حدثنا عبدان، حديث رقم ١٨٣١. (٢) أخرجه في مسنده بالصفحة رقم ٩٦ من الجزء الأول (طبعة الحلبي) والحديث رقم ٧٤٢ (طبعة المعارف). (٣) أخرجه مسلم في: ٧ - كتاب الجمعة، حديث رقم ٦٢ (طبعنا).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)

[٢] (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ)

[٣] (وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ)

[٤] (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ)

[٥] (فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ)

« سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى » أى نزه ربك عما يصفه به المشركون من الولد والشريك ونحوها، كقوله ^(١) (سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) فالاسم صلة . وسرُّ إرادته أن المنزه به إذا كان في غاية العظمة ، كثيراً ما تضاف ألفاظ التفضيم إلى اسمه ، فيقال : سبح اسمه ومجد ذكره . كما يقال سلام على المجلس العالى . هذا ما ذكروه . وثمة وجه آخر وهو أن الحق تعالى إنما يعرف بأسمائه الحسنى ، لاستحالة اكتفائه ذاته العلية ، فأقبح تنبيهها على ذلك . ومما يؤيده ما ذكر من الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة أنهم كانوا إذا قرأوا ذلك قالوا : سبحان ربى الأعلى ، كما رواه ابن جرير ^(٢) وغيره .

وذهب بعضهم إلى أن المراد تنزيه اسم الله وتقديسه أن يسمى به شيء سواه ، كما كان يفعل المشركون من تسميتهم آلهتهم ، بعضها اللات وبعضها العزى ، حكاه ابن جرير ^(٢) فالإسناد على ظاهره ، وهذا ما اعتمدته الإمام ابن حزم في (الفصل) حيث رد على من استدلل بهذه الآية

(١) [٣٧ / الصافات / ١٨٠] .

(٢) انظر الصفحة رقم ١٥١ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

في أن الاسم عين المسمى ، ذهاباً إلى أن من الممتنع أن يأمر الله عز وجل بأن يسبح غيره . فقال ابن حزم رحمه الله :

وأما قوله تعالى (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) فهو على ظاهره دون تأويل . لأن التسبيح في اللغة التي بها نزل القرآن وبها خاطبنا الله عز وجل ، هو تنزيه الشيء عن السوء . وبلاشك أن الله تعالى أمرنا أن ننزه اسمه ، الذي هو كلمة مجموعة من حروف الهجاء ، عن كل سوء حيث كان من كتاب أو منطوقاً به ، ووجه آخر وهو أن معنى قوله تعالى (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) ومعنى قوله تعالى ^(١) (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) معنى واحد . وهو أن يسبح الله تعالى باسمه . ولا سبيل إلى تسبيحه تعالى ، ولا إلى دعائه ولا إلى ذكره إلا بتوسط اسمه . فكل الوجهين صحيح . وتسبيح الله تعالى وتسبيح اسمه كل ذلك واجب بالنص . ولا فرق بين قوله تعالى (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) وبين قوله ^(٢) (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) . والحمد بلاشك هو غير الله . وهو تعالى يسبح بحمده كما يسبح باسمه ، ولا فرق . فبطل تعليقهم بهذه الآية . انتهى كلامه .

وقد يقال فرق بين الآيتين . فإن الباء في (بحمد ربك) للملابسة ، ولا كذلك هي في (باسم ربك) ومع اتساع اللفظ الكريم للأوجه كلها ، فالأظهر هو الأول لما أيده من الأخبار ، والآية (فَسَبِّحْهُ) وآية (سُبْحَنَ رَبِّكَ) والله أعلم . و (الأعلى) هو الأرفع من كل شيء ، قدرة وملكاً وسلطاناً . واستدل السلف بظاهره في إثبات علو بلا تكليف . والمسألة معروفة .

« الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى » قال الزمخشري : أي خالق كل شيء فسوى خلقه تسوية ، ولم يأت به متفاوتاً غير ملتئم ، ولكن على إحكام وانساق ، ودلالة على أنه صادر عن عالم ، وإنه

(١) [٥٦ / الواقعة / ٩٥ و ٩٦] . (٢) [٥٢ / الطور / ٤٨ و ٤٩] .

صفة حكيم . « وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ » أى قدر لكل حيوان ما يصلحه ، فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به « وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ » أى أخرج من الأرض مرعى الأنعام من صنوف النبات « فَجَعَلَهُ وَ » أى بعد خضرته ونضرتة « غُشَاءً » أى جافاً يابساً تطير به الريح « أَحْوَىٰ » أى أسود ، صفة مؤكدة (لغناء) لأن النبات إذا يبس تغير إلى (الحوّة) وهى السواد . قال ابن جرير^(١) : وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم ، وأن معنى الكلام : والذى أخرج المرعى أحوى أى أخضر إلى السواد فجعله غشاء بعد ذلك . وهذا القول وإن كان غير مدفوع ، أن يكون ما اشتدت خضرته من النبات ، قد تسميه العرب أسود ، غير صواب عندى بخلاف تأويل أهل التأويل فى أن الحرف إنما يحتال لمعناه المخرج بالتقديم والتأخير إذا لم يكن له وجه مفهوم إلا بتقديمه عن موضعه أو تأخيره . فأما وله فى موضعه وجه صحيح ، فلا وجه لطلب الاحتيال لمعناه بالتقديم والتأخير . انتهى . والقول المذكور هو للفراء وأبى عبيدة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦] (سَنُقَرِّثُكَ فَلَا تَنْسَى)

[٧] (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى)

[٨] (وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى)

[٩] (فَذَكَرْكَ إِن نَّفَعْتَ الذِّكْرَى)

[١٠] (سَيَذَكِّرُكَ مَنْ يُخَشَى)

[١١] (وَيَتَجَبَّبُهَا الْأَشْقَى)

(١) انظر الصفحة رقم ١٥٣ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

[١٢] (الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ)

[١٣] (ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ)

« سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى » أى سنجعلك قارئاً ، بأن نلهمك القراءة فلا تنسى ماتقروه .
والمعنى نجعلك قارئاً للقرآن فلا تنساه .

قال الزمخشريّ : بشره الله بإعطاء آية بينة ، وهى أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي ، وهو أى لا يكتب ولا يقرأ ، فيحفظه ولا ينساه .

تنبيهات :

الأول : قال الرازىّ : هذه آية تدل على المعجزة من وجهين :
أحدهما - إنه كان رجلاً أُمياً حفظه لهذا الكتاب المطول عن غير دراسة ولا تكرار
ولا كتابة ، خارق للعادة ، فيكون معجزاً .

وثانيهما - إن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة . فهذا إخبار عن أمر عجيب غريب يخالف
للعادة سيقع في المستقبل ، وقد وقع ، فكان هذا إخباراً عن الغيب ، فيكون معجزاً .
الثانى - قيل (لا تنسى) نهى والألف للإطلاق فى الفاصلة وهو جائز مثل ^(١) (السَّبِيلَا)
والمعنى لا تنفل قراءته وتكريره فتنساه . فالنهى عنه مجاز عن ترك أسبابه الاختيارية .

قال الرازىّ : والقول المشهور إن هذا خبر . والمعنى سنقرئك إلى أن تصير بحيث لا تنسى
وتأمن النسيان . كقولك (سأكسوك فلا تمرى) أى فتأمن العرى ، قال : واحتج أصحاب هذا القول
على ضعف القول الأول بأن ذلك القول لا يتم إلا عند التزام مجازات فى هذه الآية . منها أن
النسيان لا يقدر عليه إلا الله تعالى فلا يصح ورود الأمر والنهى به . فلا بد وأن يحمل ذلك
على المواظبة على الأشياء التى تنافى النسيان . مثل الدراسة وكثرة التذكر . وكل ذلك عدول
عن ظاهر اللفظ .

(١) [٣٣ / الأحزاب / ٦٧] .

ومنها أن نجعل الألف مزيدة للفاصلة وهو أيضا خلاف الأصل .

ومنها أنا إذا جعلناه خبرا كان معنى الآية بشارة الله إياه بأنني أجعلك بحيث لا تنساه .
وإذا جعلناه نهياً كان معناه أن الله أمره بأن يواظب على الأسباب المانعة من النسيان وهي
الدراسة والقراءة . وهذا ليس في البشارة وتعميم حاله مثل الأول . ولأنه على خلاف قوله ^(١)
(لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمْجَلَ بِهِ) انتهى .

الثالث : قال البرهان الشافعي في كتاب (تفضيل السلف على الخلف) .

إن بعضهم ذكر أن هذه الآية ناسخة لآية (وَلَا تَمْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ
إِلَيْكَ وَحْيُهُ) وتحقيق معنى النسخ هنا في غاية الإشكال ، لأن قوله (وَلَا تَمْجَلْ) نهى عن
العجلة ، وقوله (سَتَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى) ليس بأمر بها ليسكون ناسخاً للذي نهى عنها . بل هو خبر
عن بقاء الحفظ بعد إقرائه .

وفخواه مؤكداً لمعنى الخطاب الآخر . لأن تأويله إنا نحفظك تحفيظاً لا تخاف معه
النسيان . فلا حاجة لك إلى أن تعجل بالقرآن وتحرك به لسانك . ولكنهم سموه نسخاً ، لغة
لاحقيقة ، على معنى تبديل الحال عنده . فإنه ظهر له الأمن عن النسيان بعد خوفه أن ينساه لما
كان يحرك به لسانه . انتهى .

وقوله تعالى « إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ » استثناء مفرغ من أعم المفاعيل . أى لا تنسى مما تقرؤه
شيئاً من الأشياء ، إلا ما شاء الله أن تنساه ، مما تقتضيه الجملة البشرية أحياناً .

قال الزجاج : إلا ما شاء الله أن ينسى فإنه ينسى . ثم يتذكر بعد ذلك ولا ينسى نسياناً
كلياً دائماً . وذلك لأن ما بالجملة لا يتغير . وإلا لكان الإنسان عالماً آخر .

وقد روى البخاري ^(٢) عن عائشة أن النبي ﷺ قال : رحم الله فلاناً . لقد أذكركني كذا
وكذا آية ، كنت أسقطهن . وروى أنسبن .

(١) [٧٥ / القيامة / ١٦] . (٢) أخرجه في : ٥٢ - كتاب الشهادات ،

١١ - باب شهادة الأعمى ، حديث رقم ١٢٩٢

وقال عليه السلام : إنا أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني . رواه الشيخان ^(١) عن ابن مسعود .

وقيل : الاستثناء مجازي بمعنى القلة المراد بها النفي ، وذلك أن المخرج في الاستثناء أقل من الباقي . ولأن (ماشاء الله) في العرف يستعمل للمجهول . فكأنه قيل : إلا أمراً نادراً لا يعلم . فإذا دل مثله على القلة عرفاً ، والقلة قد يراد بها النفي في نحو (قل من يقول كذا مجازاً) أريد بالاستثناء هنا ذلك . وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله : (أو قال إلا ماشاء الله) والغرض نفي النسيان رأساً ، كما يقول الرجل لصاحبه (أنت سهمى فيما أملك إلا فيما شاء الله) ولا يقصد استثناء شيء . وهو من استعمال القلة في معنى النفي .

وقال القراء - فيما نقله الرازي - : إنه تعالى ماشاء أن ينسى محمدًا عليه السلام شيئاً ، إلا أن المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان أنه تعالى لو أراد أن يصير ناسياً لقدر عليه ، كما قال ^(٢) (وَلَيْنَ شَيْئًا لَّنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) ثم إنا نقطع بأنه تعالى ماشاء ذلك . وبالجمله ففائدة هذا الاستثناء أن الله تعالى يعرفه قدرته ربه حتى يعلم أن عدم النسيان من فضل الله وإحسانه ، لا من قوته . انتهى .

« إِنَّهُ وَيَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى » أى ما يجهر به عباده وما يخفونه من الأقوال والأفعال . وهو تعليل لقوله (سَنُقَرِّئُكَ) مبين لحكمته ، وهو سبق علمه تعالى بحاجة البشر إلى إقرائه الوحي وإخراجهم به من الظلمات إلى النور .

ثم أشار إلى أن هذا المقرأ الموحى به للعمل . ليس فيه حرج وعسر ، بقوله تعالى « وَنُنَزِّلُكَ لِلبَشَرَى » أى نوفقك للطريقة اليسرى ، أى الشريعة السمحة السهلة ، التى هى أيسر

(١) أخرجه البخارى فى : ٨ - كتاب الصلاة ، ٣١ - باب التوجه نحو القبلة حيث كان

حديث رقم ٢٦٦

وأخرجه مسلم فى : ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم ٨٩ (طبعنا)
(٣) [١٧ / الإسرائ / ٨٦] .

الشرائع وأوفقها بحاجة البشر مدى الدهر «فَذَكَّرْ» أى عباد الله عظمته، وعظمتهم وحذرهم عقوبته «إِنْ نَفَعْتَ الَّذِينَ كَرَىٰ» أى الموعظة. و(إِنْ) إما بمعنى (إِذْ) كقوله تعالى (١) «وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أو بمعنى (قَدْ) على ما قاله ابن خالويه . ويؤيده قوله تعالى (٢) «وَذَكَّرْ فَإِنَّ الَّذِينَ كَرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» وقيل: (إِنْ) شرطية. والمعنى ذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم، تسجيلاً بالطبع على قلوبهم كالتقول للواعظ: (عظ المسكسين إن سمعوا منك) قاصداً بهذا الشرط استبعاد ذلك، وأنه لن يكون «سَيِّئًا كَرُ» أى يقبل التذكرة وينتفع بها «مَنْ يَخْشَى» أى يخاف العقاب على الجحود والعناد، بعد ظهور الدليل «وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى* الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى» أى العظمى ألماً وعذاباً «ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَخْشَى» أى لا يهلك فيستريح، ولا يحيى حياة تنفعه. قيل: إن العرب كانت إذا وصفت الرجل بوقوع في شدة شديدة قالوا (لا هو حى ولا ميت) فجاء على مألوفهم في كلامهم . و (ثم) هنا للتفاوت الربنى ، إشارة إلى أن خلوده أفضح من دخوله النار ، وصلية .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٤] (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى)

[١٥] (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى)

[١٦] (بَلْ تُوْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)

[١٧] (وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)

[١٨] (إِنَّ هَذَا لَنِ الصُّحُفِ الْأُولَى)

[١٩] (صُفِّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى)

«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» أى فاز وظفر من تطهر من دنس الشرك والمعاصي ، وعمل

(١) [٣ / آل عمران / ١٣٩] . (٢) [٥١ / الذاريات / ٥٥] .

بما أمره الله به «وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى» أى تذكر كجلال ربه وعظمته، نخشع وأشفق وقام بحاله وعليه ، كقوله تعالى (١) «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» وجوز أن يحمل (تَزَكَّى) على إيتاء الزكاة (وصلى) على إقامة الصلاة، كآية (٢) «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» لما عهد فى كلامه تعالى من الجمع بينهما فى عدة آيات، لأنهما مبدأ كل خير وعنوان السعادة . لكن قيل عليه، بأن المعبود فى التنزيل الكريم تقديم الصلاة. وأجيب بأنه لا ضير فى مخالفة العادة، مع أن الجارى تقديمها إذا ذكرت باسمها. أما إذا ذكرت بفعل مأخوذ منها، فلا . كقوله (٣) «فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى» والأول أظهر، لأنه أشمل وأعم . وهو أكثر فائدة. «بَلْ تَوَثَّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» قال أبو السعود : إضراب عن مقدر ينساق إليه الكلام . كأنه قيل، إثر بيان ما يؤدى إلى الفلاح : لانفعلون ذلك بل توثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها . والخطاب إما للكفرة ، فالمراد بإيثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها ، والإعراض عن الآخرة بالسكينة، كفى قوله تعالى (٤) «إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا فِيهَا» الآية . أو للكل ، فالمراد بإيثارها ما هو أهم مما ذكر ، وما لا يخلو عنه الإنسان غالباً من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة ، فى السعى وترتيب المبادئ . والالتفات على الأول لشديد التوبيخ . وعلى الثانى كذلك فى حق الكفرة ، وتشديد العتاب فى حق المسلمين . وقرئ (يوثرون) بالياء «وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى» أى أفضل ، لخلوصها عما يكدر . وأدوم لعدم انصرام نعيمها . والجملة حال من فاعل (توثرون) مؤكدة للتوبيخ والعتاب «إِنَّ هَذَا» أى ما ذكر فى قوله (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) أو ما فى السورة كلها «لَقِيَ الصُّحُفَ الْأُولَى» أى ثابت فيها معناه «صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى» بدل من (الصحف الأولى) وفى إيهامها ووصفها بالقدم ، ثم بيانها وتفسيرها ، من تفخيم شأنها ، ما لا يخفى .

(١) [٨ / الأنفال / ٢] . (٢) [٢٠ / طه / ١٤] .

(٣) [٧٥ / القيامة / ٣١] . (٤) [١٠ / يونس / ٧] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٨ - سورة الفاشية

مكية . وآياتها ست وعشرون . وقد تقدم حديث النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ كان يقرأ (سبح اسم ربك الأعلى والفاشية) في صلاة العيد ويوم الجمعة . وروى الإمام مالك^(١) أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير : بم كان رسول الله ﷺ يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة ؟ قال : هل أذاك حديث الفاشية (رواه مسلم^(٢) وأبو داود وغيرهما) .

(١) أخرجه في الوطأ في : ٥ - كتاب العمل في غسل يوم الجمعة ، حديث رقم ١٩ (طبعنا) .

(٢) أخرجه مسلم في : ٧ - كتاب الجمعة ، حديث رقم ٦٢ (طبعنا) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَاشِيَةِ)

[٢] (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ)

[٣] (عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ)

[٤] (تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً)

[٥] (تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ إِيَّةٍ)

[٦] (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ)

[٧] (لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ)

[٨] (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ)

[٩] (لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ)

« هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَاشِيَةِ » أى خبرها وقصتها ، وهى القيامة . وأصل الفاشية الداهية التى تغشى الناس بشدائدها . والاستفهام للتعظيم والتعجب مما فى حيزه ، مع تقريره « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ » أى ذليلة . وهى وجوه أهل الكفر بالحق والجهود له . والمراد بالوجوه الذوات « عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ » قال القاشانى : أى تعمل دائباً أعمالاً صعبة تتعب فيها ، كالمهوى فى دركات النار ، والارتقاء فى عقباتها ، وحمل مشاق الصور والهيئات المتعبة المثقلة ، من آثار أعمالها . أو عاملة من استعمال الزبانية إياها فى أعمال شاقة فادحة من جنس أعمالها التى ضربت بها فى الدنيا ، وأتعبها فيها من غير مفعلة لهم منها إلا التعب والعذاب .

وجوز أن يكون (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ) إشارة إلى عملهم في الدنيا . أى عملت ونصبت في أعمال لا تجدى عليها في الآخرة . فيكون بمنزلة حابطة أعمالها . أو جعلت أعمالها هباءً منثوراً كما يدل عليه آيات أخر، وبؤيده مقابلة هذه الآية ، لقوله في أهل الجنة (لَسَعِيْهَا رَاضِيَةٌ) وذلك السعى هو الذى كان في الدنيا . والله أعلم . «تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً» أى تدخل ناراً متناهية في الحرارة . قال القاشانى : أى مؤذية مؤلمة بحسب ما تراولها في الدنيا من الأعمال «تُسَقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ» أى بلغت غايتهما في شدة الحر «لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ» وهو من جنس الشوك ، ترعاه الإبل ما دام رطباً . فإذا يبس تحامته ، وهو سم قاتل . قال ابن جرير (٢): الضريع عند العرب نبت يقال له الشبرق ، وتسميه أهل الحجاز الضريع ، إذا يبس . ولا منافاة بين هذه الآية وآية (٣) «وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ» لأن العذاب ألوان ، والمعذوبون طبقات ، فمنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة الغسلين، ومنهم أكلة الضريع . وقيل الضريع مجاز أو كناية ، أريد به طعام مكروه حتى للإبل التى تلتذ برعى الشوك ، فلا ينافى كونه زقوماً أو غسليناً «لَا يُسْعِنُ» أى لا يخلص البدن «وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ» أى لا يسكن داعية النفس ولا نهما من أجله «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ» أى ذات حسن ، على أنه من النعومة ، كناية عن حسن النظر . أو ناعمة بمعنى متنعمة ، على أنه من النعيم «لَسَعِيْهَا رَاضِيَةٌ» أى لعملها الذى عملته في الدنيا ، وجدّها في طريق البر واكتساب الفضائل ، شاكراً لا تعدم ولا تنحسر .

(١) [٨٨ / الفاشية / ٩] .

(٢) انظر الصفحة رقم ١٦١ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٣) [٦٩ / الحاقة / ٣٦] .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٠] (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ)

[١١] (لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً)

[١٢] (فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ)

[١٣] (فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ)

[١٤] (وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ)

[١٥] (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ)

[١٦] (وَزَرَارِيُّ مَبْثُوثَةٌ)

« فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ » أى مرتفعة المحل . أو رفيعة القدر ، من علو المسكنة .
 « لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً » أى لغواً ، أو كلمة ذات لغو ، أو نفساً تلغو . لأن كلامهم
 الحكمة والعلوم والتسبيح والتحميد « فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ » أى لا انقطاع لها « فِيهَا سُرُرٌ
 مَّرْفُوعَةٌ » أى مرتفعة ليروا ، إذا جلسوا عليها ، جميع ما خولوه من النعيم والملك
 « وَأَكْوَابٌ » جمع كوب ، وهو إناء لا أذن له « مَوْضُوعَةٌ » أى بين أيديهم لا يعوزهم تفقدها
 « وَنَمَارِقُ » أى وسائد « مَصْفُوفَةٌ » أى فوق الأسرة أو فى جوانب المساكن للاستناد إليها
 « وَزَرَارِيُّ » أى بسط « مَبْثُوثَةٌ » أى مفروشة . وقوله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٧] (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)

[١٨] (وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ)

[١٩] (وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ)

[٢٠] (وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)

« أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ » قال أبو السعود : استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الفاشية ، وما هو مبنى عليه من البعث الذى هم فيه مختلفون ، بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون إنكاره . والهمزة للإنكار والتوبيخ . والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام . وكلمة (كيف) منصوبة بما بعدها ، معلقة لفعل النظر . والجملة فى حيز الجر على أنها بدل احتمال من (الإبل) أى أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ، ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل ، فلا ينظرون إلى الإبل التى هى نصب أعينهم يستعملونها كل حين ، إلى أنها كيف خلقت خلقاً بديعاً معدولاً به عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات ، فى عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئتها اللاتفة بتأتى ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة ، كانوا بالأوقار الثقيلة وجر الأثقال الفادحة إلى الأقطار النازحة . وفى صبرها على الجوع والعطش ، حتى أن أظماءها لتبلغ العشر فصاعداً . واكتفائها باليسير ، ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك ، مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم . وفى انقيادها مع ذلك للإنسان فى الحركة والسكون والبروك والنهوض ، حيث يستعملها فى ذلك كيف يشاء ، ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير « وَإِلَى السَّمَاءِ » التى يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار « كَيْفَ رُفِعَتْ » أى رفعت كواكبها رفعاً سحيق المدى ، وأمسك كل منها فى مداره إمساكاً لا يختل سيره ولا يفسد نظامه « وَإِلَى الْأَجْبَالِ » أى التى ينزلون فى أقطارها « كَيْفَ نُصِبَتْ » أى أقيمت منتصبه لا تبرح مكانها ، حفظاً للأرض من الميدان « وَإِلَى الْأَرْضِ » أى التى يضررون فيها ويتقلبون عليها « كَيْفَ سُطِحَتْ » أى بسطت ومهدت ، حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق .

قال الزمخشري : والمعنى أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق ، حتى لا ينكروا اقتداره على البعث ، فيسمعوا إنذار الرسول ﷺ ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه .
لطيفة :

ذكر السكاكي فى (المفتاح) فى بحث الجامع الخيالى : أن جمعه على مجرى الإلف والعادة

بحسب ما تنعقد الأسباب في استبعاد الصور خزانة الخيال . وأنه إذا لم يوفه حقه من التيقظ وأنه من أهل المدر ، أنى يستحلى كلام رب العزة مع أهل الوبر ، حيث يبصرهم الدلائل ناسقاً ذلك النسق (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) الآيات ، لبعده البعير عن خياله في مقام النظر ، ثم لبعده في خياله عن السماء ، وبعده خلقه عن رفعها . وكذا البواقي . لكن إذا وفاه حقه بتيقظه لما عليه قلبهم في حاجتهم ، جاء الاستحلاء . وذلك إذا نظر أن أهل الوبر ، إذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشى ، كانت عنايتهم مصروفة لاهماله إلى أكثرها نفعا ، وهى الإبل . ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب ، كان جل مرمى غرضهم زول المطر ، وأهم مسارح النظر عندهم السماء ، ثم إذا كانوا مضطرين إلى مأوى يؤويهم وإلى حصن يتحصنون فيه ولا مأوى ولا حصن إلا الجبال .

(١) لنا جبلٌ يحمله من نجيره منيعٌ يردُّ الطرفَ وهو كاليلٌ

فما ظنك بالتفات خاطرهم إليها ؟ ثم إذا تعذر طول مكثهم في منزل - ومن لأصحاب مواش بذاك - كان عقد الهمة عندهم بالتنقل من أرض إلى سواها من عزم الأمور . فعند نظره هذا ، أرى البدوى إذا أخذ يفتش عما في خزانة الصور له ، لا يجد صورة الإبل حاضرة هناك ، أو لا يجد صورة السماء لها مقارنة ، أو تعوزه صورة الجبال بعدها ، أو لا تنص إليه صورة الأرض تليها بعدهن ؟ لا . وإنما الحضرى ، حيث لم تتأخذ عنده تلك الأمور ، وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه وإذا تلا الآية قبل أن يقف على ما ذكرت ، ظن النسق بجهله معيبا ، للعيب فيه . انتهى .

(١) فائله السموءل من قصيدته التى مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكلُّ رداء يرتديه جميلٌ
نجيره : نجميه . منيع : حصين . الطرف : البصر . كاليل : تعب قاصر النظر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢١] (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ)

[٢٢] (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ)

[٢٣] (إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ)

[٢٤] (فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ)

[٢٥] (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ)

[٢٦] (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ)

« فَذَكِّرْ » أى من أرسلت إليه بآياته تعالى ، التى تسوق إلى الإيمان بخالقها الفطرة
 « إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ » أى مبلغ ما نسى من أمره تعالى « لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ » أى
 بمقتضى تقهرهم على الإيمان . وقرئ بالصاد على إبدالها من السين « إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ *
 فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ » وهو عذاب جهنم . والاستثناء منقطع . أى لكن
 من تولى وكفر ، فإن لله الولاية والقهر ، فهو يعذبه العذاب الأكبر على جحده الحق
 « إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ » أى رجوعهم ومعادهم بالموت والبعث . والجملة تعليل لتعذيبه تعالى
 بالعذاب الأكبر . وجمع الضمير فيه وفيما بعده ، باعتبار معنى (مَنْ) كما أن إفراده قبل
 باعتبار لفظها « ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ » أى فنجازيهم بالعذاب الأكبر . فإن القهر والغلبة
 له تعالى وحده .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٩ - سُورَةُ الْفَجْرِ

مكية . وآيها تسع عشرة روى النسائي^(١) عن جابر قال : صلى معاذ صلاة . فجاء رجل فصلى معه ، فطول . فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف . فبلغ ذلك معاذاً ، فقال : منافق . فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى فقال : يا رسول الله ! حيث أصلى معه يطول على . فانصرفت وصليت في ناحية المسجد فعلقت ناقة ، فقال رسول الله ﷺ : أفتانا يا معاذ ؟ أين أنت من سبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والفجر والليل إذا يغشى ؟

(١) أخرجه في : ١١ - كتاب الافتتاح ، ٦٣ - باب القراءة في المغرب بسبح اسم ربك

الأعلى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (وَالْفَجْرِ)

[٢] (وَلَيَالٍ عَشْرٍ)

[٣] (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ)

[٤] (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ)

[٥] (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ)

« وَالْفَجْرِ » أى الصبح كقوله تعالى^(١) (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) أقسم تعالى بآيته ، لما يحصل به من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات ، لطلب الأرزاق . وذلك مشاكل لنشور الموتى من قبورهم . وفيه عبرة لمن تأمل « وَلَيَالٍ عَشْرٍ » هى ، على قول ابن عباس ومجاهد ، عشر ذى الحجة ، لأنها أيام الاهتمام بنسك الحج . وفى البخارى^(٢) عن ابن عباس مرفوعاً : ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام . يعنى عشر ذى الحجة .

وحكى ابن جرير^(٣) أنه قيل عنى بها عشر المحرم . والرازى ، قولاً أنها العشر الأواخر من رمضان ، لما فيه من ليلة القدر ، ولما صح^(٤) أنه صلوات الله عليه كان إذا دخل العشر الأخير

(١) [٨١ / التكوير / ١٨] . (٢) أخرجه الترمذى فى : ٦ - كتاب الصوم ،

٥٢ - باب ما جاء فى العمل فى أيام العشر ، حديث رقم ٧٥٧ .

(٣) انظر الصفحة رقم ١٦٨ من الجزء الثلاثين ، (طبعة الحلبي الثانية) .

(٤) أخرجه البخارى فى : ٣٢ - كتاب فضل ليلة القدر ، ٥ باب العمل فى العشر

الأواخر من رمضان ، حديث رقم ١٠٢٧ ، عن عائشة .

من رمضان شدّ مئزره وأحيى ليله وأيقظ أهله . وثمة وجه آخر في العشر . وهو أنها الليالي التي يحلو لك فيها الليل ويشتد ظلامه ويفشى الأفق سواده . وتلك خمس من أوائله وخمس من أواخره . وإن لفظة (عَشْرٍ) بمثابة قوله في السور الآتية (إِذَا يَفْشَى) (إِذَا سَجَى) مما يبين وجه العبرة ويجليها أتم الجلاء ، ولا بعد في هذا المعنى . بل فيه توافق لبقية الآيات . وبالجملّة فأوضح المخصصات ما عضده دليل أو أيده قرينة أو حاكي نظائره . والله أعلم .

« وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ » يعنى الخلق والخالق . فالشفع بمعنى جميع الخلق ، للازدواج فيه كما في قوله تعالى ^(١) (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) . قال مجاهد : كل خلق الله شفيع . السماء والأرض . البر والبحر . الجن والإنس . والشمس والقمر . والكفر والإيمان . والسعادة والشقاوة . والهدى والضلالة . والليل والنهار . (وَالْوَتْرِ) هو الله تعالى لأنه من أسمائه . وهو بمعنى الواحد الأحد . فأقسم الله بذاته وخلقه . وقيل : المعنى بالشفع والوتر ، جميع الموجودات من الذوات والمعاني . لأنها لا تخلو من شفيع ووتر .

قال القاضي : ومن فسرهما بالبروج والسيارات أو شفيع الصلوات ووترها أو بيومى النحر وعرفة ، فعمله أفرد بالذكر من أنواع المدلول ، مارآه أظهر دلالة على التوحيد ، أو مدخلًا في الدين ، أو مناسبة لما قبلهما .

قال ابن جرير ^(٢) : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفيع والوتر ، ولم يخص نوعاً من الشفع ولا من الوتر ، دون نوع ، بخبر ولا عقل ، وكل شفيع ووتر ، فهو مما أقسم به . مما قال أهل التأويل أنه داخل في قسمه هذا ، لعموم قسمه بذلك .

وقد قرئ (الوتر) بفتح الواو وكسرهما . وهما لغتان .

(١) [٥١ / الذاريات / ٤٩] .

(٢) انظر الصفحة رقم ١٧٢ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

« وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ » أى إذا يَمْضَى ، كقوله^(١) (وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ) والتقيد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة . فى الليل الراحة التى هى من أعظم النعم . وفى النهار المكاسب وغيرها . وحذف الياء للتخفيف وللتوافق رؤوس الآى . ومن القراء من حذفها وصلا ووقفا . ومنهم من خصه بأحدهما ، كما فصل فى كتب الأداء . « هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ » قال ابن جرير^(٢) : أى هل فيها أقسمت به من هذه الأمور مقنع لذي حِجْر . وإنما غنى بذلك : أن فى هذا القسم مكنتى لمن عقل عن ربه ، مما هو أغلظ منه فى الأقسام .

وقال الرازى : المراد من الاستفهام التأكيد . كمن ذكر حجة باهرة ثم قال : هل فيها ذكرته حجة ؟ والمعنى أن من كان ذا لب علم أن ما أقسم الله تعالى به من هذه الأشياء فيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية . فهو حقيق بأن يقسم به لدلالته على خالفه . أى على طريقة قوله تعالى^(٣) (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) وإنما أوثرت هذه الطريقة هضمًا للخلق ، وإيدانًا بظهور الأمر . و (الحجر) العقل . لأنه يحجر صاحبه ، أى يمنعه من ارتكاب ما لا ينبغى . والمقسم عليه محذوف . وهو (ليعذبن) كما ينبىء عنه قوله تعالى :
القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦] (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ)

[٧] (إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ)

[٨] (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ » أى ألم تعلم علما يقينياً كيف عذب ربك عاداً ،

(١) [٧٤ / المدثر / ٣٣] .

(٢) انظر الصفحة رقم ١٧٣ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٣) [٥٦ / الواقعة / ٧٦] .

فيمذب هؤلاء أيضا ، لا اشتراكهم فيما يوجب من جحود الحق والمعاصي . و (عَادٍ) قبيلة من العرب البائدة . وتلقب بإرم أيضا . وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هودًا عليه السلام . فكذبوه فأهلكهم بريح صرصر عاتية . فقوله تعالى « إِرَمَ » عطف ببيان لعاد « ذَاتِ الْعِمَادِ » أى ذات الخيام المعمدة ؛ لأنهم كانوا أهل عمد ينتجعون الغيوث وينتقلون إلى السكلا حيث كان . ثم يرجعون إلى منازلهم في الأحقاف في حضرموت . وقيل : كنى بالعماد عن العلو والشرف والقوة . إلا أن الأشبه - كما قال ابن جرير^(١) - بظاهر التنزيل هو الأول . وهو أنهم كانوا أهل عمد سيارة . لأن المعروف في كلام العرب من العماد ، ما عمد به الخيام من الخشب والسوارى التى يحمل عليها البناء . ثم قال : وتأويل القرآن إنما يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه ، ما وجد إلى ذلك سبيل ، دون الأنسك . « أَلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِنْهَا فِي الْبَلَدِ » أى فى العظم والبطش والأيدى .

قال ابن كثير : كانوا أشد الناس فى زمانهم خلقة وأقوام بطشاً . ولهذا ذكّرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها فى طاعة ربهم الذى خلقهم . فقال^(٢) (وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ، فَأَذْكُرُوا لِلَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ) وقال تعالى^(٣) (فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ، أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) .

تنبيه :

قال الإمام الدراكه ابن خلدون فى (مقدمة) تاريخه فى سياق الأخبار الواهية للمؤرخين مامثاله : وأبعد من ذلك وأغرق فى الوهم ما يتناقله المفسرون فى تفسير سورة (والفجر) فى

(١) انظر الصفحة رقم ١٧٧ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٧ / الأعراف / ٦٩] . (٣) [٤١ / فصلت / ١٥] .

قوله تعالى (إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) فيجعلون لفظه (إِرَمَ) اسماً لمدينة وصفت بأنها ذات عماد أى أساطين، وينقلون أنه كان لماد بن عوص بن إرم ابنان . هما شديد وشداد . ملكا من بعده . وهلك شديد فخلص الملك لشداد . ودانت له ملوكهم وسمع وصف الجنة فقال لأبنين مثلها . فبنى مدينة (إرم) في صحارى عدن في مدة ثمانمائة سنة . وكان عمره تسعمائة سنة . وأنها مدينة عظيمة قصورها من الذهب وأساطينها من الزبرجد والياقوت . وفيها أصناف الشجر والأنهار المطردة . ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته . حتى إذا كان منها على مسيرة يوم وليلة ، بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم . ذكر ذلك الطبري والثعالبي والزحشرى وغيرهم من المفسرين . وينقلون عن عبدالله بن قلابه ، من الصحابة ، أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه . وبلغ خبره إلى معاوية فأحضره وقص عليه . فبحث عن كعب الأخبار وسأله عن ذلك فقال : هي (إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب إبل له . ثم التفت فأبصر ابن قلابه فقال : هذا ، والله ، ذاك الرجل .

قال ابن خلدون : وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الأرض . وصحارى عدن التي زعموا أنها بنيت فيها هي في وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقباً . والأدلاء تقص طرقه من كل وجه . ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد من الأخباريين ولا من الأمم ، ولو قالوا إنها درست فيما درس من الآثار لكان أشبه . إلا أن ظاهر كلامهم أنها موجودة . وبعضهم يقول إنها دمشق ، بناء على أن قوم عاد ملكوها . وقد انتهى الهذيان ببعضهم إلى أنها غائبة ، وإنما يعثر عليها أهل الرياضة والسحر . مزاعم كلها أشبه بالخرافات . والذي حمل المفسرين على ذلك ما اقتضته صناعة الإعراب في لفظة (ذات العماد) أنها صفة (إرم) وحاولوا العماد على الأساطين . فتمين أن يكون بناء . وشرح لهم ذلك قراءة ابن الزبير (عاد إرم) على الإضافة من غير تنوين . ثم وقفوا على تلك الحكايات التي هي أشبه

بالأفانصيص الموضوعة التي هي أقرب إلى الكذب المنقولة في عداد المضحكات . وإلا فالعماد هي عماد الأخبية بل الخيام . وإن أريد بها الأساطين ، فلا بدع في وصفهم بأنهم أهل بناء وأساطين على العموم . بما اشتهر من قوتهم . لأنه بناء خاص في مدينة معينة أو غيرها . وإن أضيفت ، كما في قراءة ابن الزبير ، على إضافة الفصيصة إلى القبيلة ، كما تقول : قريش كنانة . وإلياس مضر ، وربيعه نزار . وأي ضرورة إلى هذا المحمل البعيد الذي تمحلت لتوجيهه لأمثال هذه الحكايات الواهية التي ينزه كتاب الله عن مثلها لبعدها عن الصحة ؟ انتهى . وسبقه الحافظ ابن كثير في تفسيره حيث قال : ومن زعم أن المراد بقوله (إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) مدينة إما دمشق أو إسكندرية ، ففيه نظر . فإنه كيف ياتئم الكلام على هذا ، إن جعل (إرم) بدلا أو عطف بيان ؟ فإنه لا يتسق الكلام حينئذ . ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعماد ، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد ، لأن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم قال : وإنما نهت على ذلك لثلاث يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية ، من ذكر مدينة يقال لها (إرم ذات العماد) ، مبنية بلبن الذهب والفضة الخ . فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس ؛ إن صدقهم في جميع ذلك . وحكاية عبد الله بن قلابة الأعرابي ليس يصح إسنادها . ولو صح إلى ذلك الأعرابي ، فقد يكون اختلق ذلك ، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال ، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج ، وليس كذلك . وهذا مما يقطع بعدم صحته . وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتخيلين ، من وجود مطالب تحت الأرض ، فيها قناطير الذهب والفضة واللوان الجواهر والياواقيت والآلئ والإكسير الكبير . لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها . فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء . غفياً كالونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقر ، ونحو ذلك من الهدانيات . ويطنزون بهم . والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب . انتهى .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٩] (وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ)

[١٠] (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ)

[١١] (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ)

[١٢] (فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ)

[١٣] (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ)

[١٤] (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)

« وَثَمُودَ » وهم قوم صالح عليه السلام « الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ » أى قطعوا صخر الجبال ، واتخذوا فيها بيوتاً . كما في قوله ^(١) (وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ) والباء ظرفية . والمجرور متعلق بـ (جابوا) أو هو حال من الفاعل أو المفعول . وقرئ بالياء وباسقاطها . كما في (يَسِيرُ) والوادي هو وادي القرى . كانت منازلهم فيه . كما قاله ابن إسحق « وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ » أى الحمود الذين يشدون له أمره . أو هى أوتاد يشدها من يعبذه . أو القوى والعدد والعدد التى تم له بها ملكه ، ورسخ بطشه وسلطانه ، ومنه قولهم ، لمن تمكن فى أرض ما : ضرب بها أوتاداً « الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ » صفة للمذكورين : عاد وثمود وفرعون . أى تجاوزوا ماوجب عليهم إلى ماخطر من الكفر بالحق والعتو والتمرد والبغى فى بلادهم ، اغتراراً بالقوة وعظم السلطان « فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ » أى الضرر والإيذاء وهضم الحقوق « فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ » أى أنزل بهم عذابه ، وأحل بهم نقمته ، بما طغوا فى البلاد وأفسدوا فيها . وقد بين تعالى إهلاكهم مفصلاً

(١) [١٥ / الحجر / ٨٢] .

في غير ما سورة وآية . و (السوط) إما مصدر (ساطه) أى خلطه كما في قول كعب (١) :
لكنها خلَّةٌ قد سيطَ من دَمِها فَجَجُ وَوَلَعُ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ
أريد به المفعول هنا . أى أنزل عليهم ما خلط لهم من أنواع العذاب . قيل : وبما ذكر
سميت الآلة المعروفة ، وهى الجلد المضفور الذى يضرب به ، لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض .
وإما أن يكون السوط الآلة المعروفة . استعيرت لعذاب أدون من غيره . وهو ما اختاره
المخشع حيث قال : وذكر السوط إشارة إلى أن ما أحله بهم فى الدنيا من العذاب العظيم ،
بالقياس إلى ما أعد لهم فى الآخرة ، كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يعذب به .
وقيل : هو من قبيل (لجين الماء) أى عذاباً كالسوط فى شدته ، وهو ما يقتضيه كلام
الطبرى ، حيث زعم أن السوط ممثّل لشدة العذاب .

قال الشهاب : وأما استعارة الصبّ للعذاب فشائعة ، كالإذافة . يقال : صبّ عليه السوط ،
وقنّعه به وغشاه . وهو تمثيل وتصوير لحلوله أو تقابعه عليه وتكرره . « إِنَّ رَبَّكَ
لَبِاٌّ لِّمُرْصَادٍ » أى لهؤلاء الذين قصّ نبأ هلاكهم ، ولضربائهم من الكفرة بالحق والعائين
بالفساد . و (المرصاد) اسم مكان للذى يترقب فيه الرصد - جمع راصد - أو صيغة مبالغة .
كطعام ومطعمان . فالباء تجريدية وفيه استعارة تمثيلية . شبه كونه تعالى حافظاً لأعمال العباد ،
مترقباً لها ومجازياً على تقيرها وقطميرها . بحيث لا ينجو منه أحد - بحال من قعد على الطريق
مترصداً لمن يسلكها ، ليأخذه فيوقع به ما يريد . ثم أطلق لفظ أحدهما على الآخر .
ثم أشار إلى غفلة الإنسان فى حالى غفاه وفقره . ونعى عليه شأنه فيهما ، بما يقرر ما تقدم
من استحقاقه صبّ العذاب ، بقوله تعالى :

(١) من قصيدته التى مطلعها :

بَانَتْ سَعَادُ فُلْبِى الْيَوْمَ مَتَبُولٌ مَّتَمِّمٌ إِثْرَهَا ، لَمْ يُفَدْ ، مَسْكَبُولٌ

سيط : خلط . الفجع : المصيبة . الولع : الكذب ، والإخلاف فى الموعد ، وتبديل
خليل بآخر .

انظر شرح السكرى ص ٨

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٥] (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ)

[١٦] (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ)

« فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ » أى بالنفى واليسار « فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ » أى فضلى ، لما لى عنده من الكرامة « وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ » أى ضيقه عليه وقتره ، فلم يكثر ماله ولم يوسع عليه « فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ » أى أذلنى بالفقر . وذلك لسوء فكره وقصور نظره فى الحالين . فإنه إنما ابتلاه بالنفى ليقوم بواجبه ويعرف حق الله فيه . وبالفقر ليظهر بمظهر العفاف ويتخلق بخلق الصبر على الكفاف . فى كل ابتلاء وامتحان ليميز الله الخبيث من الطيب . ونظير الآية ، آية (١) (وَنَبِّئُوهُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) وآية (٢) (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ، بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) وآية (٣) (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ) . وقوله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٧] (كَذَلَا بَلَّ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ)

[١٨] (وَلَا تَحْضُونَهُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ)

[١٩] (وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاتِ أَكْلًا لَّمًّا)

[٢٠] (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)

« كَذَلَا » ردع عن قوليه فى حاله . أعنى اعتقاد الإكرام فى الإعطاء ، والإيهانة فى المنع ،

(١) [٢١ / الأنبياء / ٣٥] . (٢) [٢٣ / المؤمنون / ٥٦ و ٥٥] .

(٣) [٧٠ / الماعز / ١٩ - ٢٢] .

بل لطلب الشكر . وهو صرف النعم إلى ما خلقت له ، وإعطاء المال لذويه ، وأحقهم الأيتام وهم لا يفعلونه ، كما قال « بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ » وهو من فقد كافلة ومربيه . فإن من آكد الواجبات القيام على تأديبه وكفالاته ، صونا له إذا أھل من فساد طبيعته وعيته بالضرر في أهل جبلته . ومثله التحاض على مواساة البؤساء . وهؤلاء النعمى عليهم ضلالهم في غفلة عنه ، كما قال « وَلَا تَحْضُونْ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ » أى لا يحض بعضهم بعضاً عليه ولا يتواصى به . قال الإمام : وإنما ذكر التحاض على الطعام ، ولم يكتف بالأطعام فيقول (ولم تطعموا المسكين) ليصرح لك بالبيان الجلى أن أفراد الأمة متكافلون . وإنه يجب أن يكون لبعضهم على بعض عطف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع التزام كلٍّ لما يأمر به ، وابتعاده عما ينهى عنه .

لطيفة :

قال القاشانى ، فى دلالة قوله تعالى (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ) الخ : أى الإنسان يجب أن يكون فى مقام الشكر أو الصبر بحكم الإيمان ، لحديث (الإيمان نصفان . نصف : صبر ، ونصف شكر) لأن الله تعالى إما إن يتقبله بالنعم والرخاء ، فعليه أن يشكره باستعمال نعمته فيما ينبغى من إكرام اليتيم وإطعام المسكين وسائر مراضيه . ولا يكفر نعمته بالبطر والافتخار فيقول : إن الله أكرمى لاستحقاقى وكرامتى عنده . ويترفه فى الأكل ويحتجب بمحبة المال ويمنع المستحقين . أو بالفقر وضيق الرزق فيجب عليه أن يصبر ولا يجزع ولا يقول : إن الله أهاننى . فربما كان ذلك إكراماً له . بأن لا يشغله بالنعمة عن النعم ، ويجعل ذلك وسيلة له فى التوجه إلى الحق والسلوك فى طريقه لئلا يضيع التعلق ، كما أن الأول ربما كان استدرأجاً منه . انتهى . « وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا » قال ابن جرير^(١) : أى تأكلون الميراث أكلاً شديداً ، لا تتركون منه شيئاً . من قولهم (لممت ما على الخوان أجمع فأنا له لماً) إذا أكلت ما عليه فأنت على جميعه .

(١) انظر الصفحة رقم ١٨٣ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

قال ابن زيد : كانوا لا يورثون النساء ولا يورثون الصغار ، وقرأ^(١) (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ، قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَمَىٰ النِّسَاءِ الْأَتَىٰ لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ) أى لا تورثنهن أيضاً . وقال بكر بن عبد الله : اللّم : الاعتداء فى الميراث . يأكل ميراثه وميراث غيره « وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا » أى جمعه وكنزه ، حبًّا كثيراً شديداً .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢١] (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا)

[٢٢] (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)

[٢٣] (وَجِئَا يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ)

[٢٤] (يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي)

[٢٥] (فِيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا)

[٢٦] (وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا)

« كَلَّا » ردع لهم عن ذلك ، وإنكار لفعلهم . وما بَعْدَهُ وعيد عليه بالإخبار عن ندمهم وتحسرهم حين لا ينفعهم الندم « إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا » أى دكا بعد دك حتى عادت هباءً منثوراً .

قال الشهاب : ليس الثانى تأكيذا ، بل التكرير للدلالة على الاستيعاب . كقرأت الفحو باباً باباً . وجاء القوم رجلاً رجلاً ، و(الدك) قريب من الدق ، لفظاً ومعنى « وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا » قال ابن كثير : أى وجاء الرب ، تبارك وتعالى ، لفصل القضاء ، كما يشاء . والملائكة بين يديه صفوفاً صفوفاً . وسبقه ابن جرير إلى ذلك وعضده بآثار عن ابن عباس وأبي هريرة

(١) [٤ / النساء / ١٢٧] .

والضحاك في نزوله تعالى من السماء يومئذ في ظلل من الغمام ، والملائكة بين يديه ، وإشراق الأرض بنور ربها . ومذهب الخلف في ذلك معروف ، من جمل الكلام على حذف مضاف ، للتهويل . أى جاء أمره وقضاؤه . أو استعارة تمثيلية لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه . قال الزمخشري : مثلت حاله في ذلك ، بحال الملك إذا حضر بنفسه ، ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره وكأها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم . انتهى .

وكانَّ الخلاف بين المذهبين لفظي ، إذ مبنى مذهب الخلف على أن الظاهر غير مراد . ويعنون بالظاهر ما للخلق مما يستحيل على الخالق ، فوجب تأويله . وأما السلف فينسكرون أن معنى الظاهر منها ما للخلق . بل هو ما يتبادر إلى فهم المؤمن الذي يعلم أن ذاته تعالى ، كما أنها لاتشبه الذوات ، فكذلك صفاته لاتشبه الصفات . لأنها لاتكفي ولا تعلم بوجه ما . فهي حقيقة النسبة إليه سبحانه ، على ما يليق به . كالمعلم والقدرة . لاتمثل ولا تعطيل . قال الإمام ابن تيمية رضى الله عنه : واعلم أن من المتأخرين من يقول إن مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به ، مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد . وهذا لفظ يحمل . فإن قوله (ظاهرها غير مراد) يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين . مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلّى ، أنه مستقر في الحائط الذي يصلّى إليه ، و(إن الله معنا) ظاهره أنه إلى جانبنا ، ونحو ذلك . فلا شك أن هذا غير مراد ، ومن قال إن مذهب السلف أن هذا غير مراد ، فقد أصاب في المعنى ، لكن أخطأ في إطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث . فإن هذا المجال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع . اللهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيباً بهذا الاعتبار ، معذوراً في هذا الإطلاق . فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس ، وهو من الأمور النسبية . انتهى .

وقد بسط رحمه الله الكلام على ذلك في (الرسالة المدنية) وأوضح أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، يحتمل حذوه ويتبع فيه مثاله . فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية .

وقال رحمه الله في بعض فتاويه : نحن نقول بالمجاز الذي قام دليله . وبالتأويل الجارى على نهج السبيل . ولم يوجد في شيء من كلامنا وكلام أحد منا ، أنا لا نقول بالمجاز والتأويل . والله عند لسان كل قائل . ولكن نفكر من ذلك ما خالف الحق والصواب ، وما فتح به الباب ، إلى هدم السنة والكتاب والالحاق بمحرقة أهل الكتاب . والمنصوص عن الإمام أحمد وجمهور أصحابه ؛ أن القرآن مشتمل على المجاز . ولم يعرف عن غيره من الأئمة نص في هذه المسألة . وقد ذهب طائفة من العلماء من أصحابه وغيرهم ، كأبي بكر بن أبي داود ، وأبي الحسن الخرزى ، وأبي الفضل التيمى ، وابن حامد ، فيما أظن ، وغيرهم ، إلى إنكار أن يكون في القرآن مجاز . وإنما دعاهم إلى ذلك مارأوه من تحريف المحرفين للقرآن بدعوى المجاز . فقابلوا الضلال والفساد ، بحسم المواد . وخيار الأمور التوسط والاقتصاد . انتهى .

« وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ » أى أظهرت حتى رآها الخلق وعلم الكافر أن مصيره إليها . فجميعها متجاوز به عن إظهارها . كما صرح به آية^(١) « وَبُرِزَتْ الْأَجْجِيمُ لِمَنْ بَرَى » « يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْأَنْسَانُ » تفریطه في الدنيا في طاعة الله وفيما يقرب إليه من صالح الأعمال « وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى » أى منفعتها . فالمراد بتذكركه ندامته على تفریطه في الصالحات من الأعمال التي تورثه نعيم الأبد ، كما فسره بقوله تعالى « يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي » أى أسلفت من الأعمال الصالحة لحياتي هذه . فاللام للتعميل . أو : قدمت وقت حياتي . فاللام بمعنى وقت . والحياة هي التي في الدنيا « فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ » أى لا يعذب كذاب الله ، أحد في الدنيا « وَلَا يُؤْتِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ » أى لا يوثق كوثاقه يومئذ أحد في الدنيا . وقرئ (يُعَذِّبُ وَيُؤْتِقُ) على بناء المجهول .

(١) [٧٩ / النازعات / ٣٩] .

قال السمين : وعذاب ووثاق في الآية ، واقمان موقع تعذيب وإيثاق . والمعنى لا يعذب أحد تعذيباً مثل تعذيب الله هذا الكافر . ولا يوثق أحد إيثاقاً مثل إيثاق الله إياه بالسلاسل والأغلال . فالوثاق في الآية بمعنى الإيثاق . كالمعطاء بمعنى الإعطاء .
ثم أشار إلى ما يقال لمن آمن وعمل صالحاً ، في مقابلة من تقدم ، بقوله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٧] (يَسَاءَ يَتُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ)

[٢٨] (أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً)

[٢٩] (فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي)

[٣٠] (وَأَدْخُلِي جَنَّاتِي)

« يَسَاءَ يَتُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ » أي الآمنة التي لا يستغفرها خوف ولا حزن . وهي التي كان قلبها اطمأن بذكر الله وطاعته وخشيته من الاضطراب « أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ » أي وعده وثوابه « رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً » أي راضية بما أوتيت ، مرضية عند ربها « فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي » أي في زميرتهم ، وهم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون « وَأَدْخُلِي جَنَّاتِي » أي معهم . وهذا القول إما عند الموت أو البعث أو دخول الجنة . ومن غرائب المأثور هنا ، تأويل النفس بالروح ، والرب بصاحبها . أي ارجعي إلى جسد صاحبك إيداناً بأن الأرواح المطمئنة ترد يوم القيامة في الأجساد ، وأن لها مقراً قبل تعلقها بالبدن في عالم المملوكات . والمسألة من الغوامض بل من الغيوب . وبمعرفة نظائر التنزيل ، يظهر بُعد هذا التأويل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٠ - سُورَةُ الْبَلَدِ

مكية وهي عشرون آية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى :

[١] (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ)

[٢] (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ)

[٣] (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ)

«لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ» تقدم في مواضع متعددة من التنزيل الكريم تفسير (لَا أُقْسِمُ) و (البلد) هو مكة . وقيد القسم بقوله تعالى «وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ» عناية بالنبي صلوات الله عليه . فكانه إقسام به لأجله ، مع تعريض بعدم شرف أهل مكة ، وأنهم جهلوا جهلاً عظيماً ، لهمهم بإخراج من هو حقيق به ، وبه يتم شرفه .

قال الشهاب : و (الحل) صفة أو مصدر بمعنى الحال على هذا الوجه . ولا عبرة بمن أنكره لعدم ثبوته في كتب اللغة . وقيل : معناه وأنت يستحل فيه حرمتك ، ويتعرض لأذيتك . ففيه تعجيب من حالهم في عداوته ، وتعريض بتجميعهم وتفريقهم بأنه لا يستحل فيه الحرام ، فكيف يستحل فيه دم مرشد الأنام ، عليه الصلاة والسلام ؟؟

وقيل : معناه وأنت حل به في المستقبل . تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ، إشارة إلى ما سيقع من فتح مكة وإحلالها له ساعة من نهار ، يقتل ويأسر . مع أنها ما فتحت على أحد قبله ، ولا أحلت له . ففيه تسلية له ، ووعد بنصره ، وإهلاك عدوه . و (الحل) على هذين الوجهين ضد (الحرمة) وفيهما - كما قالوا - بُعد . لاسيما إرادة الاستقبال في الوجه الأخير ، فإنه غير متبادر منه . وإنما كان الأول أولى لتشريفه عليه السلام ، يجعل حلوله به مناطاً لإعظامه ، مع التنبيه من أول الأمر على تحقق مضمون الجواب ، بذكر بعض مواد المكابدة ، على نهج

براعة الاستهلال ، وإنه كابد المشاق ، ولاق من الشدائد ، في سبيل الدعوة إلى الله ، ما لم يكابده داع قبله ، صلوات الله عليه وسلامه .

« وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ » عطف على (هَذَا الْبَلَدِ) داخل في المقسم به . قيل : عنى بذلك آدم وولده . وقيل : إبراهيم وولده . والصواب - كما قال ابن جرير^(١) - أن المعنى به كل والد وما ولد . قال : وغير جائز أن يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل . ولا خبر بخصوص ذلك ولا برهان ، يجب التسليم له بخصوصه . فهو على عمومته كما عمه . وإيثار (ما) على (من) لإرادة الوصف . فيفيد التعظيم في مقام المدح . وإنه مما لا يكتنه كنهه لشدة إبهامها . ولذا أفادت التعجب أو التعجيب ، وإن لم يكن استفهاماً كما في قوله تعالى^(٢) (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ) أى أى مولود عظيم الشأن وضعت . وهذا على كون المراد إبراهيم والنبي عليهما الصلاة والسلام ، ظاهر . أما على أن المراد به آدم وذريته ، فالتعجب من كثرتهم ، أو مما خص به الإنسان من خواص البشر . كالنطق والعقل وحسن الصورة . حكاة الشهاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٤] (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ)

[٥] (أَيْحَسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ)

[٦] (يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا)

[٧] (أَيْحَسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُوَ أَحَدٌ)

« لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ » أى في شدة ، يكابد الأمور ويعالجها في أطواره كلها ،

من حمله إلى أن يستقر به القرار . إما في الجنة وإما في النار .

(١) انظر الصفحة رقم ١٩٦ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٣ / آل عمران / ٣٦] .

قال الزمخشري : (الكبد) أصله من قولك (كبد الرجل كبداً) فهو أكبد، إذا جمعت كبده وانتفخت. فاستعمل فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة، ومنه اشتقت المكابدة. كما قيل : (كبدته) بمعنى أهلكه . وأصله كبده إذا أصاب كبده . قال لبيد^(١) :

يَا عَيْنُ هَلَّا بَسَكَيْتِ أَرْبَدًا إِذْ قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبَدٍ

أى فى شدة الأمر وصعوبة الخطب . انتهى .

وفيه تسليمة للنبي صلوات الله عليه ، مما كان يكابده من قريش ، من جهة أن الإنسان لم يخلق للراحة فى الدنيا . وأن كل من كان أعظم فهو أشد نصباً . هذا خلاصة ما قالوه .

وقال القاشانى : (فى كبد) أى مكابدة ومشقة من نفسه وهواه . أو مرض باطن وفساد قلب وغلظ حجاب . إذ (الكبد) فى اللغة غلظ الكبد الذى هو مبدأ القوة الطبيعية . وفساده وحجاب القلب وفساده من هذه القوة . فاستعير غلظ الكبد لغلظ حجاب القلب ومرض الجهل .

« أَيَحْسَبُ » أى لغلظ حجاب ومرض قلبه لاحتجابه بالطبيعة « أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ » أى أن لن تقوم قيامة ، ولن يقدر على مجازاته وقهره وغلبته . مع أن ما هو فيه من المكابدة يكفى لإيقاظه من غفلته واعترافه بمرجه .

« يَقُولُ أَهْلَسْتُ مَا لَا بُدَّ » أى كثيراً . من (تلبد الشيء) إذا اجتمع . والمراد ما أنفق للافتخار والمباهاة والرياء . كقولهم (خسرت عليه كذا وكذا) إذا أنفق عليه . يتفضل على الناس بالتبذير والاسراف ، ويحسبه فضيلة لاحتجابه عن الفضيلة وجهله . ولهذا قال « أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ وَاحِدٌ » أى : أيجسب أن لم يطلع الله تعالى على باطنه ونيته ، حين ينفق ماله فى السمعة والرياء والمباهاة لا على ما ينبغى فى مرضى الله ، وهى رذيلة على رذيلة ، فكيف تكون فضيلة ؟

(١) من كلمة قالها يرثى بها أربد ، أخاه لأمه ، وأولها :

مَا إِنْ تَمَزَّى النُّونُ مِنْ أَحَدٍ لَا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ

انظر (رغبة الآمل) ج ٨ ص ١٦٧

القول في تأويل قوله تعالى :

[٨] (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ)

[٩] (وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ)

[١٠] (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)

[١١] (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ)

[١٢] (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ)

[١٣] (فَكُرْبَةُ)

[١٤] (أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ)

[١٥] (يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ)

[١٦] (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ)

« أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ » قال القاشاني : أى ألم ننعّم عليه بالآلات البدنية التى يتمكن بها من اكتساب الكمال ، ليمصر ما يعتبر به ، ويسأل عما لا يعلم ، ويتكلم فيه ؟

وقال السيد المرتضى : هذا تذكير بنعم الله عليهم ، وما أزاح به عنهم فى تكاليفهم ، وما تفضل به عليهم من الآلات التى يتوصلون بها إلى منافعهم ، ويدفعون بها المضار عنهم . لأن الحاجة إلى أكثر المنافع الدينية والدنيوية ماسة . فالحاجة إلى العينين للرؤية ، واللسان للنطق ، والشفتين لحبس الطعام والشراب وإمساكهما فى الفم ، والنطق أيضا . وقوله تعالى « وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ » أى طريق الخير والشر . قال الإمام : النجد مشهور فى الطريق المرتفعة والمراد بهما طريقا الخير والشر . وإنما سماها نجدين ، ليشير إلى أن فى كل منهما وعورة وصعوبة

مسلك فليس الشر بأهون من الخير كما يُظن ، وإلى أنهما واضحا جليان لا يخفى واحدهما على سالك . أى أودعنا فى فطرته التميز بين الخير والشر . وأقناله من وجدانه وعقله أعلاما تدله عليهما . ثم وهبناه الاختيار . فإليه أن يختار أى الطريقة شاء . فالذى وهب الإنسان هذه الآلات ، وأودع باطنه تلك القوى ، لا يمكن للإنسان أن يفات من قدرته ، ولا يجوز أن يخفى عليه شيء من سريره . « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ » أى فم يشكر تلك النعم الجليلة باقتحام العقبة . و (الاقتحام) الدخول والمجازاة بشدة ومشقة . و (العقبة) الطريق الوعرة فى الجبل يصعب سلوكها . استعارها لما يأتى ، لما فيه من معاناة المشقة ومجاهدة النفس « وَمَا أَدْرَاكَ أَلْعَقَبَةُ » أى أى شيء أعلمك ما اقتحام العقبة ؟ وفى الاستفهام زيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بكمالة رفيعة « فَكُّ رَقَبَةٍ » أى عتقها . أو المعاونة عليه . وتحليصها من الرق وأسر العبودية ، رجوعا به إلى ما فطرت عليه من الحرية « أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ » أى مجاعة « يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ » أى قرابة . قال السيد المرتضى : وهذا حض على تقديم ذوى النسب والقربى المحتاجين ، على الأجانب فى الإفضال .

قال : وقد يمكن فى (مقربة) أن يكون غير مأخوذ من القرابة والقربى ، بل من (القرب) الذى هو من الخاصرة ، فكأن المعنى أنه يطعم من خاصرته لصقت من شدة الجوع والضر . وهذا أشبه بقوله تعالى (ذَا مَتْرَبَةٍ) لأن كل ذلك مبالغة فى وصفه بالضر . وليس من المبالغة فى الوصف بالضر أن يكون قريب النسب . انتهى . وقوله تعالى « أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ » أى فقر شديد لا يواريه إلا التراب . يقال (رب) كأنه لصق بالتراب ، ويقال (فقر مدقع) و (فقير مدقع) بمعنى لاصق بالدقعاء ، وهى التراب .

لطيفة :

ذهب الأكثرون إلى أن (لا) من قوله (فلا) نافية . وإنما لم تسكر ، مع أن العرب لاتسكاد تفردا ، كما جاء فى آية ^(١) (فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى) . ^(٢) (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

(١) [٧٥ / القيامة / ٣١] . (٢) [٢ / البقرة / ٣٨] .

يَحْزَنُونَ) استغناء بدلالة بقية الكلام على تكرارها . لأن (لَا اقْتَحَمَ) لما فسر بما بعده كان في قوة (لَا فَك رَقَبَةٍ وَلَا أَطْعَمَ مَسْكِينًا) وفي الآية أجوبة أخرى . منها أنه لما عطف عليه ، كان وهو منفي أيضاً . فكأنها كررت . وقيل (لَا) للدعاء . كقولهم (لَا نَجَا وَلَا سَلَمَ) وقيل مخففة من (أَلَا) التي للتحضيض . وقيل : إنها للنفي فيما يستقبل . وقال الإمام : أما ما قيل من أن (لَا) إذا دخلت على الماضي وجب تكرارها ، ولم تكرر في الآية ، فذلك لا يلتفت إليه . لأن الكتاب نفسه حجة في الفصاحة . وقد ورد في كلامهم عدم تكرارها . وقوله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٧] (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ)

[١٨] (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ)

« ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا » أى بالحق الذى جاءهم . عطف على المنفى بـ (لَا) وهو (اقْتَحَمَ) أو على (فَك) « وَتَوَاصَوْا » أى أوصى بعضهم بعضاً « بِالصَّبْرِ » أى على ما نابهم في سبيل الدعوة إلى الحق « وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ » أى بالرحمة على بعضهم . كقوله ^(١) (رَحِمَاءَ بَيْنَهُمْ) أو بموجبات رحمته تعالى من القيام بالحق والصديق به وعمل الصالحات « أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ » أى اليمين ، أو جهة اليمين التي فيها السعداء .

تنبيه :

قال القاساني : يشير قوله تعالى (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) الآيات ، إلى قهر النفس بتكاف الفضائل والتزام سلوك طريقها واكتسابها ، حتى يصير التطبع طبعاً . ثم قال : فإن الإطعام ، خصوصاً وقت شدة الاحتياج للمستحق ، الذى هو وضع في موضعه ، من باب فضيلة العفة

(١) [٤٨ / الفتح / ٢٩] .

بل أفضل أنواعها - والإيمان من فضيلة الحكمة وأشرف أنواعها وأجلها ، وهو الإيمان العلمى اليقينى - والصبر على الشدائد من أعظم أنواع الشجاعة - . وآخره عن الإيمان ، لامتناع حصول فضيلة الشجاعة بدون اليقين . و (المرحمة) أى التراحم والتعاطف من أفضل أنواع العدالة . فانظر كيف عدّد أجناس الفضائل الأربع التى يحصل بها كمال النفس . بدأ بالعفة التى هى أولى الفضائل . وعبر عنها بمعظم أنواعها . وأخص خصالتها الذى هو السخاء . ثم أورد الإيمان الذى هو الأصل والأساس . وجاء بلفظة (ثم) لبعده مرتبته عن الأولى فى الارتفاع والعلو . وعبر عن الحكمة به لكونه أم سائر مراتبها وأنواعها . ثم رتب عليه الصبر لامتناعه بدون اليقين . وآخر العدالة التى هى نهايتها ، واستغنى بذكر الرحمة ، التى هى صفة الرحمن ، عن سائر أنواعها . كما استغنى بذكر الصبر عن سائر أنواع الشجاعة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٩] (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ)

[٢٠] (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ^١)

« وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا » أى بادلتنا وأعلامنا من الكتب والرسل وغير ذلك من آيات الأنفس والآفاق ، التى بكل يرتقى إلى معرفة الصراط التى تجب الاستقامة عليه فى الاعتقاد والعمل « هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ » أى الشؤم على أنفسهم ، أو جهة الشمال التى فيها الأشقياء . وقال الإمام : أهل البين ، فى لسان الدين الإسلامى ، عنوان السعداء . وأهل الشمال عنوان الأشقياء « عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ^٢ » أى مطبقة أبوابها ، كناية عن حبسهم المخلد فيها ، وسد سبل الخلاص منها . أجازنا الله بفضله وكرمه منها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩١ - سُورَةُ الشَّمْسِ

مكية ، وآياتها خمس عشرة .

وقد تقدم حديث جابر الذي في الصحيح (١) أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ : هلا صليت

بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى .

(١) أخرجه النسائي في : ١١ - كتاب الافتتاح ، ٦٣ - باب القراءة في المغرب بسبح

اسم ربك الأعلى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا)

[٢] (وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا)

[٣] (وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا)

[٤] (وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا)

[٥] (وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا)

[٦] (وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا)

[٧] (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)

[٨] (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)

« وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا » أى ضوءها إذا أشرقت . قال الراغب : (الضحى) انبساط الشمس وامتداد النهار ، وبه سمي الوقت . وحقيقته - كما قال الشهاب - تباعد الشمس عن الأفق المرئى وبرزها للناظرين . ثم صار حقيقة في وقته . وقال الإمام : يقسم بالشمس نفسها ظهرت أو غابت لأنها خلق عظيم . ويقسم بضوئها لأنه مبعث الحياة وبجلى الهداية في عالمها الفخيم . وهل كنت ترى حيا أو تبصر ناميا ، أو هل كنت تجد نفسك ، لولا ضياء الشمس ، جل مبدعه ؟ « وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا » أى تبع الشمس ، قال الإمام : وذلك في اليلالى البيض ، من الليلة الثالثة عشرة من الشهر إلى السادسة عشرة . وهو قسم بالقمر عند امتلائه أو قربته مع الامتلاء . إذ يضىء الليل كله مع غروب الشمس إلى الفجر . وهو قسم في الحقيقة بالضياء في طور آخر من أطواره . وهو ظهوره وانتشاره الليل كله .

« وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا » أظهر الشمس . وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه . لأن الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء . وفي هذه الأقسام كلها - كما قاله الإمام - إشارة إلى تمظيم أمر الضياء وإعظام قدر النعمة فيه ، ولقد أذهاننا إلى أنه من آيات الله الكبرى ونعمه العظمى . وفي قوله (إِذَا جَلَّهَا) بيان للحالة التي ينطق فيها النهار بتلك الحكمة الباهرة والآية الظاهرة . وهي حالة الصحو . أما يوم الغيم الذي لا تظهر فيه الشمس ، فحاله أشبه بحال الليل الذي يقسم به في قوله « وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا » أى يغشي الشمس ويعرض دون ضوءها فيحجبه عن الأبصار . وذلك في ليالي الظلمة الحالكة المشار إليها بقوله في الآية المتقدمة ^(١) (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) على القول الأخير . قال الإمام : ولقلة أوقات الظلمة، عبر في جانبها بالمضارع المفيد لاحاق الشيء وعروضه متأخرا عما هو أصل في نفسه . أما النهار فإنه يجلي الشمس دائماً من أوله إلى آخره . وذلك شأن له في ذاته . ولا ينفك عنه إلا لعارض . كالغيم أو الكسوف قليل العروض . ولهذا عبر في جانبه بالماضي المفيد لوقوع المعنى من فاعله، بدون إفادة أنه مما ينفك عنه .

« وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا » أى ومن رفعها ، وصيّر بها فيها من الكواكب ، كالسقف أو القبة المحيطة المزينة بالحيطه بنا . ف (ما) موصولة بمعنى (من) أو ثرت لإرادة الوصفية . أى والقادر الذى أبدع خلقها .

قالوا : وذكر (مَا بَنَاهَا) مع أن في ذكر (السَّمَاءَ) غنية عنه ، للدلالة على إيجادها وموجدتها صراحة (وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا) أى بسطها من كل جانب ، لافتراضها وازدراعها والضرب في أكنافها .

قال الإمام : وليس في ذلك دليل على أن الأرض غير كروية ، كما يزعم بعض الجاهلين . أى بتحريفه الكلم عن معناه المراد منه . « وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا » أى خلقها فعدل خلقها

(١) [٨٩ / الفجر / ٢] .

ومزاجها ، وأعدّها لقبول السكّال « فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا » أى أفهمها إياها ، وأشعرها بهما ، بالإلقاء الملصكيّ والتمكين من معرفتهما ، وحسن التقوى وقبح الفجور بالعقل الهيو لانيّ .
لطيّفة :

جوز في (ما) كونها مصدرية في السكّال ، ولا يضره خلو الأفعال من فاعل ظاهر ومضمر إذ لا مرجع له . وعطف الفعل على الاسم لأنه يكفي لصحة الإضمار دلالة السياق . وهي موجودة هنا . وأن العطف على صلة (ما) لا عليها مع صلتها . فسكانه قيل : ونفس وتسويتها ، فالهامها الخ . وعطف الفعل على الاسم ليس بفاسد . نعم في الوجه الأول توافق القرائن وهو أسد . وأما الثانى فوجه يتسع النظم الكريم له . وأما تفكير (نفس) فللتكثير أو التعظيم .
القول في تأويل قوله تعالى :

[٩] (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)

[١٠] (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

[١١] (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا)

[١٢] (إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا)

« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا » أى زكى نفسه وطهرها من رجس النقائص والآثام . أو نماها بالعلم والعمل والوصول إلى السكّال وبلوغ الفطرة الأولى « وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » أى أخلفها ووضع منها ، بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصى وترك طاعة الله تعالى . هذا ما قاله ابن جرير ^(١) . وقال غيره : أى نقص تركيتها وأخفى استمداها وفطرتها التى خلقت عليها بالجهالة والفسوق . وهو مأخوذ من (دس الشيء في التراب) أى أدخله فيه وأخفاه . وأصل (دس) دسّس . كعقضى البازى ، وجملة (قَدْ أَفْلَحَ) الخ جواب القسم وحذف اللام للطول .

(٢) انظر الصفحة رقم ٢١٢ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

قال القاضى : وكأنه لما أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه ، أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكال صفاته الذى هو أقصى درجات القوة النظرية ويذكركم عظام الإله ليحملهم على الاستغراق فى شكر نعمائه الذى هو منتهى كالات القوة العملية .

وذهب الزمخشريّ إلى أن هذه الجملة كلام تابع لقوله (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) على سبيل الاستطراد . وجواب القسم محذوف تقديره : لِيُذَمِّدَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ . أى على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله ﷺ . كما دمدم على ثمود ، لأنهم كذبوا صالحاً عليه السلام . وقد دل عليه قوله تعالى « كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا » أى بسبب طغيانها . ومجاوزتها الحد فى الفجور . ف(الطغوى) مصدر . وجوز أن يراد به العذاب نفسه ، على حذف مضاف أو بدونه ، مبالغة . كما يوصف بغيره من المصادر . أى كذبت بما أوعدت به من عذابهاذى الطغوى ، كقوله (فَأَهْلِكُوهَا بِالطَّاغِيَةِ) فالطغوى على هذا من التجاوز عن الحد والزيادة من العذاب . والباء صلة (كذبت) . وقوله تعالى « إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا » ظرف لـ (كذبت) أو (طغوى) أى حين قام أشقى ثمود لعقر ناقة صالح عليه السلام . وكانوا نهوا عن مسها بسوء ، وأنذروا عاقبة المخالفة ، كما قال تعالى :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٣] (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا)

[١٤] (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا)

[١٥] (وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا)

« فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ » يعنى صالحاً عليه السلام لقومه - « نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا » أى احذروا واتقوا ناقة الله التى جعلها آية بينة وشرها ، الذى اختصه الله به فى يومها . وكان عليه السلام تقدم إليهم عن أمر الله أن للناقة شرب يوم ولهم شرب يوم آخر ، غير يوم الناقة .

كما بينته آية الشعراء . قال (١) (هَذِهِ نَاقَةُ لِهَآ شَرِبُ وَلَسْكُمْ شَرِبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٌ * وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أى لا تؤذوا الناقة ولا تتعدوا عليها فى شربها ويوم شربها « فَسَكَنَ بُؤُهُ » أى فيما حذرهم منه من حلول العذاب إن فعلوا « فَعَقَرُوهَا » أى قتلوها .

قال فى النهاية : أصل العقر ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم . ثم اتسع حتى استعمل فى القتل والهلاك . وذلك أنهم أجمعوا على منعها الشرب ورضوا بقتلها . وعن رضا جميعهم قتلها فأتلها وعقرها من عقرها . ولذلك نسب التكذيب والعقر إلى جميعهم « فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ » أى أهلكهم وأزعجهم بسبب كفرهم به وتكذيبهم رسوله وعقرهم ناقته ، استهانة به واستخفافا بما بعث به . وقيل : دمدم أطبق عليهم العذاب . وقيل : الدمدة حكاية صوت الهدية « فَسَوَّاهَا » أى فسوى الدمدة عليهم جميعا ، فلم يفلت منهم أحد . بمعنى جعلها سواء بينهم أو الضمير لثمود . أى جعلها عليهم سواء « وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا » أى لا يخشى تبعه إهلاكهم لأنه العزيز الذى لا يغالب .

قال الشهاب : أى لا يخاف عاقبتها كما يخاف الملوك عاقبة ما تفعله . فهو استعارة تمثيلية لإهانتهم وأنهم أذلاء عند الله . فالضمير فى (يخاف) لله وهو الأظهر . ويجوز عوده للرسول ﷺ . أى أنه لا يخاف عاقبة إنذاره لهم وهو على الحقيقة ، كما إذا قيل : الضمير للأشقى أى أنه لا يخاف عاقبة فعله الشنيع . والواو الحال أو الاستئناف .

تفنيه :

قال ابن القيم فى (مفتاح دار السعادة) : المقصود أن الآية أوجبت لهم البصيرة فأثروا الضلالة والكفر عن علم ويقين . ولهذا ، والله أعلم ، ذكر قصتهم من بين قصص سائر الأمم فى سورة (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) لأنه ذكر فيها انقسام النفوس إلى الزكية الراشدة المهتدية ،

(١) [٢٦ / الشعراء / ١٥٥ ، ١٥٦] .

وإلى الفاجرة الضالة الغاوية . وذكر فيها الأصلين : القدر والشرع . فقال ^(١) (فَأَلْهَمَهَا
فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) فهذا قدره وقضاؤه ثم قال ^(٢) (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ
مَنْ دَسَّاهَا) فهذا أمره ودينه . وتمدود ، هدام فاستجبوا العمى على الهدى . فذكر قصتهم
ليبين سوء عاقبة من آثر الفجور على التقوى ، والتدسية على التزكية . والله أعلم .

(١) [٩١ / الشمس / ٨] . (٢) [٩١ / الشمس / ٩] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٢ - سُورَةُ اللَّيْلِ

مكية ، وآيها إحدى وعشرون . وقد تقدم قوله ﷺ لمعاذ (١) : هَلَّا صَلَّيْتُ بِسَبِّحِ
اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى .

(١) أخرجه النسائي في : ١١ - كتاب الافتتاح ، ٦٣ - باب القراءة في المغرب بسبح
اسم ربك الأعلى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ)

[٢] (وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ)

[٣] (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ)

[٤] (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ)

« وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ » أى يغشى الشمس أو النهار بظلمته ، فيذهب بذلك الضياء
« وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ » أى ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين بطلوع الشمس .

قال الإمام : والتعبير في الغشيان بالمضارع ، لما سبق من عروض الظلمة لأصل النور
الذى هو أكل مظاهر الوجود ، حتى عبر به عن الوجود نفسه . أما تجلى النهار فهو لازم له .
لهذا عبر عنه بالماضى كما سبق بيانه « وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ » أى والقادر الذى خلق
صنفي الذكر والأنثى من كل نوع له توالد . فـ (ما) موصولة بمعنى (من) أو ثرت لإرادة
الوصفية ، كما تقدم .

قال الإمام : وإنما أقسم بذاته بهذا العنوان ، لما فيه من الإشعار بصفة العلم المحيط
بدقائق المادة وما فيها ، والإشارة إلى الإبداع فى الصنع . إذ لا يعقل أن هذا التخالف
بين الذكر والأنثى ، فى الحيوان ، يحصل بمحض الاتفاق من طبيعة لا شعور لها بما تفعل ،
كما يزعم بعض الجاحدين . فإن الأجزاء الأصلية فى المادة متساوية النسبة إلى كون الذكر
أو كون الأنثى . فتكوين الولد من عناصر واحدة تارة ذكرا وتارة أنثى ، دليل على أن
واضع هذا النظام عالم بما يفعل ، محكم فيما يضع ويصنع . انتهى .

وقوله « إِنْ سَمِعْتُمْ لَشْتَىٰ » جواب القسم . أو هو مقدر ، كما مر تفصيله . أى مختلف في جزائه ، ومفروق في عاقبته . فنه ما يسعد به الساعى ومنه ما يشقى به ، فشتان ما بينهما ، كما فصله بعد . و(شتى) إما جمع شتيت أو شت ، بمعنى متفرق ، والمصدر المضاف يفيد العموم ، فيكون جمعاً معنى . ولذا أخبر عنه بـ (شتى) وهو جمع . وفيه وجه آخر وهو أنه مفرد مصدر مؤنث . كذكرى وبشرى . فهو بتقدير مضاف ، أو مؤول ، أو بجمعه عين الافتراق ، مبالغة . قال الرازى : ويقرب من هذه الآية قوله ^(١) (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ) وقوله ^(٢) (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ، لَا يَسْتَوُونَ) وقوله ^(٣) (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أُجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) . وقوله تعالى :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٥] (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ)

[٦] (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ)

[٧] (فَسَنِّيَسِرُهُ وَلِلْعُسْرَىٰ)

[٨] (وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ)

[٩] (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ)

[١٠] (فَسَنِّيَسِرُهُ وَلِلْعُسْرَىٰ)

[١١] (وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى)

« فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ » تفصيل لتلك المساعى الشتى ، وتبيين لما لها كما تقدم .

(١) [٥٩ / الحشر / ٢٠] . (٢) [٣٢ / السجدة / ١٨] .

(٣) [٤٥ / الجاثية / ٢١] .

قال الرازى : وفى « أَعْطَى » وجهان :

أحدهما - أن يكون المراد إنفاق المال فى جميع وجوه الخير من عتق الرقاب ، وفك الأسارى ، وتقوية المسلمين على عدوهم . كما كان يفعله أبو بكر ، سواء كان ذلك واجباً أو نفلاً . وإطلاق هذا كالإطلاق فى قوله ^(١) (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) فإن المراد منه كل ما كان إنفاقاً فى سبيل الله ، سواء كان واجباً أو نفلاً . وقد مدح الله قوماً فقال ^(٢) (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ بِهِ مَيْسَرًا وَبَيْتًا وَأَسِيرًا) وقال فى آخر هذه السورة ^(٣) (وَسَيَجْزِيهَا الْآتَىٰ الَّذِي يُؤْتِي مَا لَهُ وَبِتَرَكَّى) الآية .

وثانيهما - أن قوله (أَعْطَى) يتناول إعطاء حقوق المال ، وإعطاء حقوق النفس فى طاعة الله تعالى . يقال : فلان أعطى الطاعة وأعطى السعة . انتهى .

إلا أن الأول هو المناسب للإعطاء . لأن المعروف فيه تعلقه بالمال خصوصاً وقد وقع فى مقابلة ذكر البخل والمال « وَأَتَقَىٰ » أى ربه فاجتنب محارمه « وَصَدَقَ بِالْحُسْنَىٰ » أى بالثوبة الحسنى . قال قتادة : أى صدق بموعود الله الحسن . وهو بمعنى قول مجاهد ، إنها الجنة كما قال تعالى ^(٤) : (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) فسمى مضاعفة الأجر (حسنى) وقال القاشانى : أى صدق بالفضيلة الحسنى التى هى مرتبة الكمال بالإيمان العلمى ، إذ لو لم يتيقن بوجود كمال كامل لم يمكنه الترقى . « فَسَنِّيَسِرُهُ وَلِلْيَسْرَىٰ » أى فسنيئته ونوفقه للطريقة اليسرى ، التى هى السلوك فى طريق الحق ، لقوة يقيمه .

قال الشهاب : ولما كانت مؤدية إلى اليسر ، وهو الأمر السهل الذى يستريح به الناس ، وصفت بأنها يسرى ، على أنه استمارة مصرحة أو مجاز مرسل أو تجوز فى الإسناد .

وأما مَنْ « بَخِيلَ » أى بالنفقة فى سبيل الله ، ومنع ما وهب الله له من فضله من صرفه فى الوجوه التى أمر الله بصرفه فيها « وَأَسْتَفْنَىٰ » أى عن ربه فلم يرغب إليه بالعمل له

(١) [٢ / البقرة / ٣] . (٢) [٧٦ / الإنسان / ٨] .

(٣) [٩٢ / الليل / ١٧ و ١٨] . (٤) [٤٢ / الشورى / ٢٣] .

بطاعته بالزيادة فيما خوله ، أو استغنى بماله عن كسب الفضيلة ، وعمه به عن الحق « وَكَذَّبَ بِأَلْحُسْنَى » أى بوجود المثوبة للحسنى ، لمن آمن بالحق ، لاستغنائه بالحياة الدنيا واحتجابها عن عالم الآخرة . « فَسَيُسْرُّهُ وِلِّلْعُسْرَى » أى للطريقة العسرى المؤدية إلى الشقاء الأبدى . قال الإمام : الخطة العسرى هى الخطة التى يحط فيها الإنسان من نفسه ، ويفض من حقها وينزل بها إلى حضيض البهيمية ، ويغمسها فى أحوال الخطيئة . وهى أعسر الخطتين على الإنسان ، لأنه لا يجد معيناً عليها ؛ لا من فطرته ولا من الناس « وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى » أى وما يفيد ماله الذى تعب فى تحصيله ، وأفنى عمره فى حفظه وبطر الحق لأجله ، إذا هلك ، من قولهم (تردى من الجبل وفى الهوة) وفى التعبير به إشارة إلى أنه بما قدمه من أعماله الخبيثة ، هو المهلك والموقع لنفسه . وهو الحافر على حتفه بظلمه و (ما) نافية أو استفهام فى معنى الإنكار . وقوله :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٢] (إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ)

[١٣] (وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ)

[١٤] (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ)

[١٥] (لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَىٰ)

[١٦] (الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ)

[١٧] (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَىٰ)

[١٨] (الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ)

[١٩] (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ)

[٢٠] (إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ)

[٢١] (وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ)

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ « استئناف مقرر لما قبله . أى علمنا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة ، حيث خلقنا الخلق للإصلاح في الأرض ، أن نبين لهم طريق الهدى ليجتنبوا مواقع الردى . وقد فعل سبحانه ذلك بإرسال الرسل ، وإزالة الكتب ، والتسكين من الاستدلال والاستبصار ، بخلق العقل وهبة الاختيار .

« وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ » أى ملسا وخلقاً . فلا يضرنا توليكم عن الهدى . وذلك لغناه تعالى المطلق ، وتفرد به بملك ما في الدارين ، وكونه في قبضة تصرفه . لا يحول بينه وبينه أحد ، ولا يحصله أحد ، حتى يضر عدم اهتدائه أو ينفع اهتداؤه . وفيه إشارة إلى تنافى عظمته وتكامل قهره وجبروته . وإن من كان كذلك ، فجدير أن يبادر لطاعته ويحذر من معصيته . ولذا رتب عليه قوله « فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى » أى تتأظى وتتوهج . وهى نار الآخرة « لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ » أى بالحق الذى جاءه « وَتَوَلَّى » أى عن آيات ربه وبراهينها التى وضع أمرها وبهر نورها ، عناداً وكفراً « وَسَيَجْزِيهَا الْآتَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ وَيَتَرَكَّى » أى ينفق ماله فى سبيل الخير ، يتركى عن رجس البخل ودانس الإمساك « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ » أى من يد يكافئه عليها . أى لا يؤتية للمكافأة والمماوضة « إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ » أى لكن يؤتية ابتغاء وجهه وطلب مرضاته . لا لغرض آخر من مكافأة أو محمدة أو سمعة . وفى حصر (الاتقى) بالمنفق ، على الشريطة المذكورة ، عناية عظيمة به ، وترغيب شديد فى اللحاق به ، كيف لا ؟ وبالمال قوام الأعمال ، ورفع مباني الرشاد وهدم صروح الفساد . وقوله تعالى « وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ » قال ابن جزير (١) : أى ولسوف يرضى هذا المؤتى ماله فى حقوق الله عز وجل ، يتركى بما يثيبه الله فى الآخرة عوضاً مما أتى فى الدنيا فى سبيله إذا لقي ربه تبارك وتعالى . ففيه وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجملها ، إذ به يتحقق الرضا . وهذا على ، إن ضمير (يرضى) لـ (الاتقى) لا للرب . قال الشهاب : وهو الأنسب بالسياق واتساق الضمائر .

(١) انظر الصفحة رقم ٢٢٨ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

وذهب بعضهم إلى الثانى ، ومنهم الإمام ، قال : أى وسوف يرضى الله عن ذلك الآنق .
الطالب بصفة رضاه (ثم قال) : والتعبير بـ (سوف) لإفادة أن الرضا يحتاج إلى بذل كثير ،
ولا يكفى القليل من المال ، لأن يبلغ العبد درجة الرضا الإلهى .

تنبيه :

قال ابن كثير : ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبى بكر الصديق
رضى الله عنه . حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك . ولا شك أنه داخل فيها ،
وأولى الأمة بعمومها . فإن اللفظ لفظ العموم وهو قوله تعالى (١) (وَسَيَجْزِيهَا الْآتَى * الَّذِي
يُؤْتِي مَا لَهُ وَيَنْزَكِّي * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) ولكنه مقدم الأمة وسابقتهم في
جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة . فإنه كان صديقاً تقيّاً كريماً جواداً بذلاً لأمواله
في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ . فكم من دراهم ودينانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم .
ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها . ولكن كان فضله وإحسانه على
السادات والرؤساء من سائر القبائل . ولهذا قال له عروة بن مسمود ، وهو سيد ثقيف ، يوم
صلح الحديبية : أما والله ! لولا يدك عندي لم أجرك بها ، لأجبتك . وكان الصديق قد أغلظ
له في المقالة . فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل ، فكيف بمن عداهم ؟
وفى الصحيحين (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أتفق زوجين في سبيل الله
دعته خزنة الجنة : يا عبد الله هذا خير . فقال أبو بكر : يا رسول الله ! ما على من يدعى منها ضرورة ،
فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم . انتهى .

(١) [٩٢ / الليل / ١٧ - ١٩] .

(٢) أخرجه البخارى في : ٣٠ - كتاب الصوم ، ٤ - باب الريان للصائمين ، حديث

رقم ٩٦٣ ، عن أبى هريرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٣ - سُورَةُ الضُّحَى

مكية وآیهها إحدى عشرة .

لطيفة :

قال ابن كثير : روينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ قال : قرأت على عكرمة بن سليمان ، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد . فلما بلغت (والضحى) قال لى : كبر حتى تحتم مع خاتمة كل سورة . فإنا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك . وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك . وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك . وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك . وأخبره أبي أنه قرأ على رسول الله ﷺ فأمره بذلك . فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزى ، من ولد القاسم بن أبي بزة . وكان إماماً في القراءات . وأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال : لا أحدث عنه . وكذلك أبو جعفر العقيلي ، قال : هو منكر الحديث . لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في (شرح الشاطبية) عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة ، فقال : أحسنت وأصبت السنة . وهذا يقتضى صحة هذا الحديث . ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته . فقال بعضهم : يكبر من آخر (والليل إذا يغشى) . وقال آخرون : من آخر (والضحى) وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول (الله أكبر) ويقصر ، ومنهم من يقول (الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر) وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة الضحى ، أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ ، وفترتلك المدة ، ثم جاء الملك فأوحى إليه (وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) السورة بتمامها ، كبر فرحاً وسروراً ، ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف . فإله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (وَالضُّحَىٰ)

[٢] (وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَىٰ)

[٣] (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ)

[٤] (وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ)

[٥] (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ)

« وَالضُّحَىٰ » تقدم فى سورة (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا) تفسير الضحى بالضوء وارتفاع النهار ارتفاعاً عالياً « وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَىٰ » أى اشتد ظلامه . وأصله من التسجية وهى التغطية ، لستره بظلمته . كما فى آية^(١) (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) « مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ » جواب القسم .
أى : ما تركك وما قطعك قطع المودع .

قال الشهاب فى (العناية) : فالتوديع مستعار استعارة تبعية للترك هنا . وفيه من اللطف والتمظيم ما لا يخفى . فإن الوداع إنما يكون بين الأحباب ومن تميز مفارقتهم . كما قال المتنبي :

حشاشة نفس ودَّعت يوم ودَّعوا فلم أدُرْ أىَّ الظَّاعِنِينَ أُشِيعُ

وقال فى (شرح الشفاء) : الوداع له معنيان فى اللغة : الترك وتشجيع المسافر .

فإن فسر بالثانى هنا على طريق الاستعارة ، يكون فيه إيماء إلى أن الله لم يتركه أصلاً . فإنه معه أينما كان . وإنما الترك ، لو تصور فى جانبه ، ظاهر مع دلالاته بهذا المعنى على الرجوع .

فالتوديع إنما يكون لمن يحب ويرجى عوده . وإليه أشار الأرجاني بقوله :

[(١) ٧٨ / النبأ / ١٠] .

إذا رأيت الوداعَ فاصبرْ ولا يُهمِّمَكَ البعادُ
وانتظر العودَ عن قريبٍ فإن قلب الوداع (عادُوا)

فقوله (وَمَا قَلَى) مؤكد له . (قال) : وهذا ، لم أر من ذكره مع غاية لطفه . وكلهم فسروه بالمعنى الأول . ولما رأوا صيغة الفعل تفيد زيادة المعنى والمبالغة فيه . فيقتضى الانقطاع التام ، قالوا : إن المبالغة في النفي لا في المنفى فتركه لحكم عليه ، لا لضرره بهجره . أو لنفي القيد والمقيد . وقرئ (مَا وَدَعَكَ) بالتخفيف . وورد في الحديث ^(١) شر الناس من ودعه الناس اتقاء فحشه . وورد في الشعر ، كقوله ^(٢) :

فَكَانَ مَا قَدَّمُوا لَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمَ نَفْعًا مِنَ الَّذِي وَدَعُوا

ولهذا قال في (المصباح) بهذا : اعلم أن قولهم ، في عم التصريف ، أماتوا ماضى يدع ويذر خطأ . وجعله استعارة من الوديعة تعسف . انتهى .

وكذا قال في (المستوفى) : أنه كله ورد في كلام العرب ، ولا عبرة بكلام النحاة فيه ، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل . وإن كان نادر . انتهى .

وقوله تعالى «وَمَا قَلَى» أى : وما أبغضك . والقالى : البغض . يعنى ما هجرك عن بغض . قال الشهاب : وحذف مفعول (قلى) اختصاراً للعلم به ، وليجربى على نهج الفواصل التى بعده ، أو لثلاث مخاطبه بما يدل على البغض .

تنبيه :

روى ابن جرير ^(٣) عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما نزل عليه القرآن أبطأ عنه جبريل أياماً ،

(١) أخرجه البخارى في : ٧٨ - كتاب الأدب ، ٤٨ - باب ما يجوز من اغتياب

أهل الفساد والريب ، حديث رقم ٢٣٣٠ ، عن عائشة .

(٢) أنشده في اللسان (مجلد ٨ ص ٣٨٤) الطبعة البيروتية .

(٣) انظر الصفحة رقم ٢٣١ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

فُمَيِّرَ بذلك . فقال المشركون : ودعه ربه وفلاه . فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ، وفى رواية : إن قائل ذلك امرأة أبى لهب ، وفى أخرى أنها خديجة رضى الله عنها . ولا تنافى ، لاحتمال صدورهما من الجميع . إلا أن قول المشركين وقول خديجة - إن صح - توجع وتحزن - وفى رواية بإسماعيل مولى آل الزبير قال : فتر الوحي حتى شق ذلك على النبي ﷺ وأحزنه . فقال : لقد خشيت أن يكون صاحبي قلاني . فجاء جبريل بسورة والضحى « وَلَآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى » قال ابن جرير^(١) : أى وللدار الآخرة ، وما أعد الله لك فيها ، خير لك من الدار الدنيا وما فيها . يقول : فلا تحزن على ما فاتك منها ، فإن الذى لك عند الله خير لك منها . وقال القاضى : أو : لَنَهَائِيَّةُ أَمْرِكَ خَيْرٌ مِنْ بَدَائِيَّتِهِ . فإنه ﷺ لا يزال يتصاعد فى الرفعة والكمال « وَآسَوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » أى يعطيك من فواضل نعمه فى العقبى حتى ترضى ، وهذه عِدَّةٌ كريمة شاملة لما أعطاه الله تعالى فى الدنيا من كمال النفس وعلوم الأولين والآخرين ، وظهور الأمر وإعلاء الدين ، بالفتوح الواقعة فى عصره عليه الصلاة والسلام ، وفى أيام خلفائه الراشدين وغيرهم من ملوك الإسلام ، وفشوّ دعوته فى مشارق الأرض ومغاربها ، ولما ادخله من الكرامات التى لا يعلمها إلا الله تعالى . وبالجمل ، فهذه الآية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة وشتات الإنعام فى الدارين ، حيث أجمله ووكله إلى رضاء وهذا غاية الإحسان والإكرام .

تفسيه :

قال فى (المواهب اللدنية) : وأما ما يفترّ به الجهال من أنه لا يرضى واحداً من أمته فى النار ، أو لا يرضى أن يدخل أحد من أمته النار ، فهو من غرور الشيطان لهم ، ولعبه بهم . فإنه صلوات الله عليه وسلامه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى ، وهو سبحانه وتعالى يدخل النار من يستحقها من الكفار والمعاصاة . وقد ولع الحشوية بتقوية أمثال هذه الآثار المفتراة تقريراً للجهال وتزييناً لموارد الضلال . ولا حول ولا قوة إلا بالله . وقوله تعالى :

(١) انظر الصفحة رقم ٢٣٢ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦] (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ)

[٧] (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ)

[٨] (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ)

[٩] (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)

[١٠] (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ)

[١١] (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ « قال أبو السمود : تمديد لما أفاض عليه من أول أمره إلى ذلك الوقت ، من فنون النعماء العظام ، ليستشهد بالحاضر الوجود على المترقب الموعود . فيطمئن قلبه وينشرح صدره ، والهمزة لإنكار النفي وتقرير المنفى على أبلغ وجه . كأنه قيل : قد وجدك الخ . والوجود بمعنى العلم .

روى أن أباه مات وهو جنين قد أنت عليه ستة أشهر . وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين ، فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته ، وذلك إيواؤه « وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ » أى غافلاً عما أوحاه إليك من الهدى والفرقان ، فهداك إليه وجعلك إماماً له ، كما فى آية^(١) (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتَبُ وَلَا الْإِنْسَانُ) .

قاله الشهاب : فالضلال مستعار من (ضل فى طريقه) إذا سلك طريقاً غير موصلة لمقصده لعدم ما يوصله للعلوم النافعة ، من طريق الاكتساب « وَوَجَدَكَ عَائِلًا » أى فقيراً « فَأَغْنَىٰ » أى فأغناك بمال خديجة الذى وهبته إياه . أو بما حصل لك من ربح التجارة « فَأَمَّا

(١) [٤٢ / الشورى / ٥٢] .

الْمَيْتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ « فلا تغلبه على ماله فتذهب بحقه ، استعطافاً منك له » وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ « قال ابن جرير ^(١) : أى وأما من سألك من ذى حاجة فلا تنهره ، ولكن أطعمه واقض له حاجته . أى لأن للسائل حقاً ، كما قال تعالى ^(٢) (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لِلنَّاسِ مِنَ الْغَنِيِّمْ) .

وقد ذهب الحسن - فيما نقله الرازى - إلى أن المراد من السائل من يسأل العلم . فيكون فى مقابلة قوله تعالى (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ) وهكذا قال ابن كثير : أى وكما كنت ضالاً فهذا الله ، فلا تنهر السائل فى العلم المسترشد . قال الإمام : ويؤيد هذا المعنى ماورد فى أحوال الذين كانوا يسألونه عليه الصلاة والسلام بيان مايشتبه عليهم . فمنهم أهل الكتاب المارون . ومنهم الأعراب الجفاة . ومنهم من كان يسأل عما لايسأل عنه الأنبياء . فلا غرو أن يأمره الله تعالى بالرفق بهم ، وينهاه عن نههم ، كما عاتبه على التولّى عن الأنعمى السائل ، فى سورة عبس . انتهى .

« وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » أى بشكرها وإظهار آثارها ، فيرغب فيما لديه منها ، ويحرص على أن تصدر المحاويع عنها . وهذا هو سر الأمر بالتحدث بها . وفى الآية تنبيه على أدب عظيم . وهو التصدى للتحدث بالنعمة وإشهارها ، حرصاً على التفضل والجود والتخلق بالكرم ، وفراراً من رذيلة الشح الذى رائده كتم النعمة والتسكن والشكوى .

قال الإمام : من عادة البخلاء أن يكتموا ما لهم ، لتقوم لهم الحجة فى قبض أيديهم عن البذل . فلا تجدهم إلا شاكين من القل . أما الكرماء فلا يزالون يظهرون بالبذل ما آتاهم الله من فضله ، ويجهرون بالحمد لما أفاض عليهم من رزقه . فلهذا صح أن يجعل التحديث بالنعمة كمنافاة عن البذل وإطعام الفقراء وإعانة المحتاجين . فهذا هو قوله (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) أى إنك

(١) انظر الصفحة رقم ٢٣٣ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٧٠ / المعارج / ٢٤ و ٢٥] .

لما عرفت بنفسك ما يكون فيه الفقير ، فأوسع في البذل على الفقراء . وليس القصد هو مجرد ذكر الثروة ، فإن هذا من الفجفجة التي يقره عنها النبي ﷺ . ولم يعرف عنه في امتثال هذا الأمر أنه كان يذكر ما عنده من نقود وعروض . ولكن الذي عرف عنه أنه كان ينفق ما عنده ويبيت طاوياً . وقد يقال : إن المراد من النعمة النبوة . ولكن سياق الآيات يدل على أن هذه الآية مقابلة لقوله (وَوَجَدَكَ عَائِلًا) فتكون النعمة بمعنى الغنى . ولو كانت بمعنى النبوة ، لكانت مقابلة لقوله (وَوَجَدَكَ ضَالًّا) وقد علمت الحق في مقابله . والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٤ - الشرح

مكية . وقيل : مدنية ، وهو الأقوى عندى . فإن استقرار هذه النعم المعدودة فيها ، إنما كان بالمدينة المنورة ، كما لا يخفى . وآيها ثمان .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)

[٢] (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ)

[٣] (الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ)

[٤] (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)

« أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ » أى : ألم نوسعه بإلقاء ما يسره ويقويه ، وإظهار ما خفى عليه من الحكم والأحكام ، وتأبيده وعصمته ، حتى علم ما لم يعلم وصار مستقراً الحكمة ووعاء حقائق الأنباء ، والهمزة لإنكار النفي . ونفى النفي إثبات . ولذا عطف المثبت عليه . وأصل الشرح بسط اللحم ونحوه ، مما فيه توسيع مستلزم لإظهار باطنه ، وما خفى منه . استعمل في القلب الشرح والسعة ، لأنه محل الإدراك لما يسرّ وضده . فجعل إدراكه لما فيه مسرة يزيل ما يحزنه ، شرحاً وتوسيماً . وذلك لأنه بالإلهام ونحوه ، مما ينفس كربه ويزيل همه ، بظهور ما كان غائباً عنه وخفياً عليه ، مما فيه مسرته . كما يقال (شرح الكتاب) إذا وضعه . ثم استعمل في الصدر الذى هو محل القلب مبالغة فيه . لأن اتساع الشيء يتبعه اتساع ظرفه . ولذا تسمع الناس يسمون السرور بسطاً . ثم سموا ضده ضيقاً وقبضاً . وهو من المجاز المتفرع على الكفاية بوسائط ، وبعد الشروع زال الخفاء وارتفعت الوسائط - هذا ما حققه الشهاب . « وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ » * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ قال الشهاب : الوزر الحمل الثقيل . ووضع : إزالته عنه . لأنه إذا تعدى بـ (على) كان بمعنى التحميل . وإذا تعدى بـ (من) كان بمعنى الإزالة . والإيقاض : حصول النقيض وهو صوت فقرات الظهر . وقيل : صوت الجمل أو الرجل

أو الركوب إذا ثقل عليه . فالإنقاض ، التثقيب في الحمل حتى يسمع له تقيض ، أى صوت ، كما قاله الأزهري .

وقال ابن عرفة : هو إئصال يجعل ما حمل عليه نقضاً . أى مهزولاً ضعيفاً . وقد مثل بذلك حاله صلوات الله عليه ، مما كان يثقل عليه وينميه من قلة المستجيبين لدعوته ، وضعف من سبق إلى الإيمان به ، وشيوع الشرك والضلال في جزيرة العرب ، وقوة أهلها . ووضع عنه هو كثرة من آمن بعده ، ودخولهم في دين الله أفواجا ، وقوة أتباعه وانحياز الشرك والجاهلية من الجزيرة ، وذل أهلها بعد العز ، وانقيادهم بعد شدة الإباء . وقيل : الآية كناية عن عصمته وتطهيره من دنس الآثام كقوله ^(١) (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) . والوجه الأول أقوى ، وفي الآية ، على كل ، استعارة تمثيلية . والوضع ترشيح لها « وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ » أى بالنبوة وفرض الاعتراف برسالاته وجعله شرطاً في قبول الإيمان وصحته . وقال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة . فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادى بها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .

وعن مجاهد : أى لا أذكر إلا ذكرت معي . قال الشهاب وهذا - أى المأثور عن مجاهد - إن أخذ كناية خالف الواقع . فإنه كم ذكر الله وحده ! وكم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وحده ! وإن عين موضعاً فهو ترجيح بلا مرجح . وإن جعلت القضية مهملة ، فلا يخفى مافى الإهمال من الركاكة .

قال : وقد أمعنت فيه النظر فلم أر ما يثلاج الصدر ، ويرد السائل غير صفر ، حتى لاح لي أن الجواب الحق أن يقال : الذكر محمول على الذكر في مجامع العبادة ومشاهدها . فإن ذكره ﷺ مقرون بذكره فيها في الواقع في الصلوات والخطب . فلا ترى مشهداً من مشاهد الإسلام

(١) [٤٨ / الفتح / ٢] .

إلا وهو كذلك. فلا ينفك ذكره ﷺ عن ذكره تعالى في يوم من الأيام، ولا ليلة من الليالي بل ولا في وقت من الأوقات الممتد بها ، فتتجه السكينة. فإن قلت: من أين لك هذا التقييد، فهل هو إلا ترجيح من غير مرجح؟ قلت: المقام ناطق بهذا التقييد. فإن المراد التنويه بذكره ﷺ وإشاعة قدره، الدال على قربته ﷺ من ربه، كقرب اسمه من اسمه، وإنما يكون هذا بذكره في المحافل والمشاهد والجوامع والمساجد. وأي إشاعة أقوى من الأذان؟ لافي الأسواق والطرق التي يطرح فيها كل ذكر.

ثم قال: واعلم أن تحقيق هذا المقام ما قاله الإمام الشافعي في أول (رسالته الجديدة) وبينه السبكي في تعليقه على الرسالة فقال رحمه الله تعالى:

قال الإمام رضي الله تعالى عنه عن مجاهد في تفسير الآية: لا أذكر إلا ذكرت معنى: أشهد أن لا إله إلا الله. وأشهد أن محمداً رسول الله. قال الشافعي: يعني ذكره عند الإيمان بالله والأذان، ويحتمل ذكره عند تلاوة القرآن وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية. قال السبكي: هذا الاحتمال من الشافعي جيد جداً. وهو مبني على أن المراد بالذكر، الذكر بالقلب، وهو صحيح. فعلى هذا يعم. لأن الفاعل للطاعة أو الكفاف عن المعصية امتثالاً لأمر الله تعالى به، ذاكر للنبي ﷺ بقلبه، لأنه المبلغ لها، عن الله. وهذا أعم من الذكر باللسان، فإنه مقصور على الإسلام والأذات والشهد والخطبة ونحوها. قال الشافعي: فلم يُتمسك بنا نعمة ظهرت ولا بطنت، نلنا بها حظاً في دين أو دنيا. أو رفع عنا مكروه فيهما أو في واحد منهما، إلا ومحمد ﷺ سببها. فعلم من هذا أنه إن أبق العموم والحصر على ظاهره، حمل الذكر على الذكر القلبي فيشمل كل موطن من مواطن العبادة والطاعة، فإن العاقل المؤمن إذا ذكر الله، تذكر من دل على معرفته وهداه إلى طاعته، وهو رسول الله ﷺ، كما قيل:

فأنت باب الله. أي امرئ أتاه من غيرك لا يدخل؟

ولك أن تقول: المراد برفع ذكره تشریفه ﷺ ، بمقارنته لذكره في شعائر الدين الظاهرة، وأولها كلتا الشهادة، وهما أساس الدين ثم الأذان والصلاة والخطب. فالخسر إضافي . انتهى كلام الشهاب . وقوله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى :

[٥] (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)

[٦] (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)

[٧] (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ)

[٨] (وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب)

« فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » إشارة إلى أن الذي منحه، صلوات الله عليه، من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر، بعد ضيق الأمر واستحكام حلقات الكرب في أول السير، كان على ما جرت به سنته تعالى في هذا النوع من الخليقة . وهو أن مع العسر يسراً . ولهذا وصل العبارة بالفاء التي لبيان السبب. (وأل) في (العسر) للاستعراق ولكنه استعراق بالمعهود عند مخاطبين من أفراد أو أنواعه . فهو العسر الذي يعرض من الفقر والضعف وجهل الصديق وقوة العدو ، وقلة الوسائل إلى المطلوب . ونحو ذلك مما هو معهود ومعروف . فهذه الأنواع من العسر مهما اشتدت ، وكانت النفس حريصة على الخروج منها طالبة لكشف شدتها ، واستعملت من وسائل الفكر والنظر والعمل ما من شأنه أن يمدد لذلك في معروف العقل ، واعتصمت بعد ذلك بالتوكل على الله حتى لا تضعفها الخيبة لأول مرة ، ولا يفسخ عزيمتها ما تلاقيه عند الصدمة الأولى ، فلا ريب في أن النفس تخرج منها ظافرة . وقد كان هذا حال النبي ﷺ . فإن ضيق الأمر عليه كان يحمله على الفكر والنظر حتى آتاه الله ما هو أكبر من ذلك، وهو الوحي والنبوة . ثم لم تكسر مقاومات قومه شيئاً من عزمه . بل مازال ياتمس

الغنى في الفقر، والقوة في الضعف، حتى أوتي من ذلك مازعزع أركان الأكسرة والقيصرة، وترك منه لأمته ما تمتعت به أعصاراً طوالاً. أفاده الإمام رحمه الله .

لطيفة :

تسكير (يسراً) للتعظيم . والمراد يسر عظيم وهو يسر الدارين . وفي كلمة (مع) إشعار بغاية سرعة مجيئ اليسر، كأنه مقارن للعسر . فهو استعارة، شبه التقارب بالتقارن، فاستعير لفظ (مع) بمعنى (بعد) . وقوله تعالى « إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » تكرير للتأكيد، أو عِدَّةٌ مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كشواب الآخرة . وعليه أثر^(١) : (لن يغلب عسر يسرين) فإن المعرّف إذا أعيد يكون الثاني عين الأول، سواء كان معهوداً أو جنساً . وأما المفكر فيحتمل أن يراد بالثاني فرد مغاير لما أريد بالأول « فَإِذَا فَرَغْتَ » أى من عملٍ من أعمالك النافعة لك ولأمتك « فَأُنْصَبْ » أى خذ في عمل آخر واتعب فيه . فإنك تجد لذة الراحة عقب النصب بما تجنيه من ثمرة العمل ، قاله الإمام « وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ » أى في الدعوة إليه . أى لا ترغب إلا إلى ذاته ، دون ثواب أو غرض آخر ، لتكون دعوتك وهدايتك إليه ، قاله القاشاني .

وقال ابن جرير^(٢) : اجعل نيتك ورغبتك إليه دون من سواه من خلقه . إذ كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم في حاجتهم إلى الآلهة والأنداد ، والأظهر عندى ، اعتماداً على ما صححناه من أن الآية مدنية وأنها من أواخر ما نزل - أن يكون معنى قوله تعالى

- (١) هذا الأثر أخرجه الإمام مالك في الموطأ في : ٢١ - كتاب الجهاد، حديث ٦ (طبعتنا) ونصه : عن زيد بن أسلم قال : كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعاً من الروم وما يتخوف منهم . فكتب إليه عمر بن الخطاب : أما بعد فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزل شدة ، يجعل الله بعده فرجاً ، وإنه لن يغلب عسر يسرين ... الخ .
- (٢) انظر الصفحة رقم ٢٣٧ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(فَأَذَا فَرَغْتَ فَأَنْصَبْ) أى فرغت من مقارعة المشركين ، وظفرت بأمنيتك منهم ،
 بمجىء نصر الله والفتح ، فانصب فى العبادة والتسبيح والاستغفار ، شكراً لله على ما أنعم ،
 وارغب إليه خاصة ابتغاء لمرضاته . فتكون الآيتان بمعنى سورة (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)
 ثم رأيت ابن جرير نقل مثله عن ابن زيد عن أبيه قال : فإذا فرغت من الجهاد ، جهاد العرب
 وانقطع جهادهم ، فانصب لعبادة الله وإليه فارغب . وهو ظاهر . نعم لفظ الآية عام فيما أثناه
 جميعه . إلا أن السياق والنظائر - وهو أهم ما يرجع إليه - يؤيد ما قاله ابن زيد واعتمدناه .
 والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٥ - سُورَةُ التِّينِ

مكية ، ويقال : مدنية . وأيد الأول بقوله (وَهَذَا الْبَلَدِ) وآيها ثمان . روى عن البراء بن عازب^(٢) أن النبي ﷺ كان يقرأ في سفره في إحدى الركعتين بالتين والزيتون . فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه . أخرجه الجماعة .

(١) أخرجه البخاري في : ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٥٢ - باب قول النبي ﷺ « الماهر بالقرآن مع الكرام البررة ، وزينوا القرآن بأصواتكم » ، حديث رقم ٤٦٧ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ)

[٢] (وَطُورِ سَيْنِينَ)

[٣] (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ)

اعلم أن المفسرين لم يختلفوا في أن البلد الأمين مكة المشرفة ، الأمن أهلها أن يحاربوا . كما قال تعالى ^(١) (أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفُّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) وأما المقسمات بها قبيل ، ففيها أقوال للسلف لاحتمال موادها لسكر منها . فمن مجاهد والحسن وغيرهما أن (التين) الذي يؤكل و (الزيتون) الذي يعصر . قالوا : وخصهما لكثرة فوائدهما وعظم منافعهما . وعن قتادة (التين) الجبل الذي عليه دمشق و (الزيتون) الذي عليه بيت المقدس . وعن كعب وابن زيد : (التين) مسجد دمشق و (الزيتون) بيت المقدس وعن ابن عباس : (التين) مسجد نوح الذي بنى على الجودي و (الزيتون) بيت المقدس . فظهر أنهما الشجران المعلومان أو جبلان أو مسجدان . وصوب ابن جرير الأول منها ، وعبارته ^(٢) : والصواب من القول في ذلك عندنا ، قول من قال (التين) هو التين الذي يؤكل و (الزيتون) هو الزيتون الذي يعصر منه الزيت . لأن ذلك هو المعروف عند العرب . ولا يعرف جبل يسمى تيناً ولا جبل يقال له زيتون ، إلا أن يقول قائل : أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون ، والمراد من الكلام ، القسم بمنابت التين ومنابت الزيتون ، فيكون ذلك مذهبا وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك ، دلالة في ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه ، لأن دمشق بها منابت

(١) [٢٩ / العنكبوت / ٦٧] .

(٢) انظر الصفحة رقم ٢٤٠ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

التين ، وبيت المقدس منابت الزيتون . انتهى كلامه . وفيه نظر ، لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ . كيف وجبل الزيتون هو من جبال فلسطين ، معروف ذلك عند علماء أهل الكتاب والمؤلفين في تقويم البلاد .

قال صاحب (الذخيرة) في تعداد جبال فلسطين : ويتصل بجبال إسرائيل جبل الزيتون . قال : وقد دعى كذلك لكثرة الزيتون فيه ، وهو قريب المسافة من أورشليم ، وفيه صعد المسيح لكي يرتفع إلى السماء . انتهى .

ويسمى أيضا طور زيتا إلى الآن . على أن فيما صوبه ابن جرير ، تبقى المناسبة بينهما وبين طور سينين والبلد الأمين وحكمة جمعهما معهما في نسق واحد - غير مفهومة . كما قاله الإمام . فالأرجح أنهما موضعان أو موضع واحد معظم ، ويكون القسم به ثلاثة مواضع مقدسة . قال ابن كثير : وقال بعض الأئمة : هذه محال ثلاثة بعث الله من كل واحد منها نبياً مرسلًا من أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار . فالأول محل التين والزيتون وهو بيت المقدس الذي بعث الله فيه عيسى ابن مريم عليهما السلام .

والثاني : طور سينين ، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران .
والثالث : مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً ، وهو الذي أرسل فيه محمد ﷺ .
وفي التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء : يعنى الذي كلم الله عليه موسى . وأشرق من ساعير : يعنى جبل بيت المقدس الذي بعث الله عنه عيسى . واستعملن من جبال فاران : يعنى جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ . فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودى بحسب ترتيبهم فى الزمان . ولهذا أقسم بالأشرف ، ثم الأشرف منه ، ثم بالأشرف منهما . انتهى كلام ابن كثير .

ومراد بعض الأئمة ، شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان . فإنه ذكر ذلك فى كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) ونحن ننقلها زيادة فى إيضاح المقام ، واهتماماً بتحقيقه .

قال رحمه الله (فصل شهادة الكتب المتقدمة بنبوته ﷺ) : وذلك مثل قوله في التوراة ما قد ترجم بالعربية : جاء الله من طور سيناء . وبعضهم يقول في الترجمة : تجلى الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران . قال كثير من العلماء (واللفظ لأبي محمد بن قتيبة) : ليس بهذا خفاء على من تدبره . ولا غموض . لأن مجيئ الله من طور سيناء ، إزاله التوراة على موسى بطور سيناء . كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا . وكذلك يجب أن يكون إشرافه من ساعير ، إزاله على المسيح الإنجيل . وكان المسيح من ساعير أرض الجليل بقرية تدعى ناصرة ، وباسمها تسمى من أتبعه نصارى . وكما وجب أن يكون إشرافه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران ، إزاله القرآن على محمد ﷺ في جبال فاران . وهي جبال مكة .

قال : وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة . فإن ادعوا أنها غير مكة - وليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفسادهم - قلنا أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران ؟ وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران ، والنبي الذي أنزل عليه كتاباً بعد المسيح . أو ليس استعلن وعان بمعنى واحد وهما : ظهر وانكشف . فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور الإسلام وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه؟؟

وقال أبو هاشم بن ظفر : ساعير جبل بالشام ، منه ظهرت نبوة المسيح عليه السلام . قلت : وبجانب بيت لحم - القرية التي ولد فيها المسيح - قرية تسمى إلى اليوم ساعير . ولها جبال تسمى جبال ساعير ، وعلى هذا فيكون ذكر الثلاثة الجبال : جبل حراء الذي ليس حول مكة جبل أعلى منه ، وفيه كان أول نزول الوحي على النبي ﷺ ، وحوله من الجبال جبال كثيرة . وذلك المكان يسمى فاران إلى هذا اليوم . وفيه كان ابتداء نزول القرآن . والبرية التي بين مكة وطور سيناء تسمى بركة فاران . ولا يمكن أحداً أن يدعى أنه بعد المسيح ، نزل كتاب

في شيء من تلك الأرض ، ولا بعث نبي . فلم أن ليس المراد باستعملانه من جبال فاران ، إلا إرسال محمد ﷺ . وهو سبحانه ذكر هذا في التوراة على الترتيب الزمني . فذكر إزال التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن . وهذه الكتب نور الله وهداه .

وقال في الأول : جاء أو ظهر . وفي الثاني : أشرق . وفي الثالث : استعلن . وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر أو ما هو أظهر من ذلك . ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس زاد به النور والهدى . وأما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء . ولهذا قال : واستعلن من جبال فاران . فإن محمدا ﷺ ظهر به نور الله وهداه في شرق الأرض وغربها ، أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين ، كما يظهر نور الشمس إذا استعلنت في مشارق الأرض ومغاربها . ولهذا سماه الله سراجاً منيراً . وسمى الشمس سراجاً وهاجاً . والخلق محتاجون إلى السراج المنير ، أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج . فإن الوهاج يحتاجون إليه في وقت دون وقت . بل قد يتضررون به بعض الأوقات . وأما السراج المغير فيحتاجون إليه في كل وقت ، وكل مكان ، ليلاً ونهاراً ، سرّاً وعلانية . وقد قال ﷺ ^(١) : زُوِيَ لِي الْأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا . وسيلنغ ملك أمتي مازوى لي منها . وهذه الأماكن الثلاثة ، أقسم الله بها في القرآن في قوله (وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) فأقسم بالتين والزيتون ، وهو الأرض المقدسة التي ينبت فيها ذلك ، ومنها بعث المسيح وأنزل عليه فيها الإنجيل . وأقسم بطور سيناء وهو الجبل الذي كلم الله موسى وناداه فيه ، من واديه الأيمن ، في البقعة المباركة من الشجرة - وأقسم بهذا البلد الأمين وهو مكة الذي أسكن إبراهيم ابنه إسماعيل ، وأمه هاجر فيه . وهو الذي ^(٢) جعله الله حرماً آمناً ويتخطف الناس من حوله . وجعله آمناً خلقاً وأمراً ، قدراً وشرعاً .

(١) أخرجه مسلم في : ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، حديث رقم ١٩ (طبعنا)

(٢) يشير إلى الآية الكريمة رقم ٦٧ من سورة المعنكبوت .

ثم قال (ابن تيمية) : فقوله تعالى (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) إقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة . التي ظهر فيها نوره وهدهاء ، وأنزل فيها كتبه الثلاثة : التوراة والإنجيل والقرآن . كما ذكر الثلاثة في التوراة بقوله : جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعملن من جبال فاران .

ولما كان مافي التوراة خبرا عنها ، أخبر بها على ترتيبها الزماني ، فقدم الأسبق فالأسبق . وأما في القرآن ، فإنه أقسم بها تعظيما لشأنها . وذلك تعظيم لقدرة سبحانه وآياته وكتبه ورسله . فأقسم بها على وجه التدرج درجة بعد درجة . فحتمها بأعلى الدرجات . فأقسم أولا بالتين والزيتون ، ثم بطور سينين ، ثم بمكة . لأن أشرف الكتب الثلاثة القرآن ثم التوراة ثم الإنجيل . وكذلك الأنبياء ، فأقسم بها على وجه التدرج كما في قوله ^(١) (وَالذَّارِيَّتِ ذُرْوًا * فَأَلْحَمِلَتْ وَفَرًّا * فَأَلْجَرِيَّتِ يَسْرًا * فَأَلْمُقْسِمَتِ أَمْرًا) فأقسم بطبقات المخلوقات طبقة بعد طبقة . فأقسم بالرياح الذاريات ثم بالسحاب الحاملات للمطر فإنها فوق الرياح ، ثم بالجاريات يسرًا ، وقد قيل إنها السفن ، ولكن الأنسب أن تكون هي الكواكب المذكورة في قوله ^(٢) (فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُفِ * الْجَوَارِ الْكُنُفِ) فسمها جوارى كما سمي الفلك جوارى في قوله ^(٣) (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ) والكواكب فوق السحاب ثم قال ^(٤) (فَأَلْمُقْسِمَتِ أَمْرًا) وهي الملائكة التي هي أعلى درجة من هذا كله .

واستظهر بعض المعاصرين أن قوله تعالى (وَالتِّينِ) يعني به شجرة (بوذا) مؤسس الديانة البوذية ، التي تحرفت كثيرا عن أصلها الحقيقي . لأن تعاليم بوذا لم تسكتب في زمنه . وإنما رويت كالأحاديث بالروايات الشفهية . ثم كتبت بعد ذلك حينما ارتقى أتباعها . ثم قال : والراجح عندنا ، بل المحقق إذا صح تفسيرنا لهذه الآية ، أنه كان نبيا صادقا

(١) [٥١ / الذاريات / ١-٤] . (٢) [٨١ / التكاوير / ١٥ و ١٦] .

(٣) [٤٢ / الشورى / ٣٢] . (٤) [٥١ / الذاريات / ٤] .

ويسمى (سكياموتى) أو (جوناما) وكان فى أول أمره يأوى إلى شجرة تين عظيمة وتحتها نزل عليه الوحى . وأرسله الله رسولاً . فجاءه الشيطان ليفتنه هناك فلم ينتجج معه . ولهذا الشجرة شهرة كبيرة عند البوذيين ، وتسمى عندهم (التينة المقدسة) وبلغتهم (أچاپالا) . قال : فى هذه الآية ذكر الله تعالى أعظم أديان البشر الأربعة الموحاة منه تعالى لهدايتهم ونفعهم فى دينهم ودنياهم . فالقسم فيها كالتمهيد لقوله بعده (أَقَدَّ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) إلى آخر السورة .

قال : ولا يزال أهل الأديان الأربعة هم أعظم أمم الأرض وأكثرهم عدداً وأرقام . والترتيب فى ذكرها فى الآية ، هو باعتبار درجة صحتها بالنسبة لأصولها الأولى . فبدأ تعالى بالقسم بالبودية لأنها أقل درجة فى الصحة وأشد الأديان تحريفاً عن أصلها . كما يبدأ الإنسان بالقسم بالشئ الصغير ، ثم يرتقى للتأكيد إلى ما هو أعلى . ثم النصرانية وهى أقل من البودية تحريفاً . ثم اليهودية وهى أصح من النصرانية ، ثم الإسلامية وهى أصحها جميعاً وأبعدها عن التحريف والتبديل . بل إن أصولها ، الكتاب والسنة العملية المتواترة ، لم يقع فيها تحريف مطلقاً . ومن محاسن هذه الآية الشريفة غير ذلك ، ذكر دينى الفضل (البودية والمسيحية) أولاً ثم دينى العدل (اليهودية والإسلامية) ثانياً للإشارة إلى الحكمة بتربية الفضل والساحة مع الناس أولاً . ثم تربية الشدة والعدل . وكذلك بدأ الإسلام باللين والعفو ثم بالشدة والعقاب . ولا يخفى على الباحثين التشابه العظيم بين بوذا وعيسى ودينهما . وكذلك التشابه بين موسى ومحمد ودينهما . فلذا جمع الأولان معاً والآخران كذلك . وقدم البودية على المسيحية لقدم الأولى . كما قدم الموسوية على الحمديّة لهذا السبب بعينه . ومن محاسن الآية أيضاً الرمز والإشارة إلى دينى الرحمة بالفاكهة والثمره ، وإلى دينى العدل بالجبل والبلدة الجبلية (مكة) وهى البلد الأمين . ومن التناسب البديع بين ألفاظ الآية أن التين والزيتون ينبتان كثيراً فى أودية الجبال ، كما فى جبل الزيتون بالشام وطور سيناء ، وهما مشهوران بها .

فهذه الآية قسم بأول مهابط الوحي ، وأكرم أماكن التجلي الإلهي على أنبيائه الأربعة ، الذين بقيت شرائعهم للآن ، وأرسلهم الله لهداية الناس الذين خلقهم في أحسن تقويم . انتهى بحروفه . والله أعلم .

لطيفة :

لم ينصرف (سينين) كما لا ينصرف (سيفاء) لأنه جعل اسماً للبقعة أو الأرض . فهو علم أعجمي . ولو جعل اسماً للـكان أو المنزل ، أو اسماً لمذكر لانصرف ، لأنك سميت به مذكراً . وقرأ العامة (سيفين) بكسر السين . وقرأ بعض السلف بفتحها . وآخرون (سيناء) بالكسر والفتح ممدوداً . قال السمين : وهذه لغات اختلفت في هذا الاسم السرياني ، على عادة العرب في تلاعبها بالأسماء الأعجمية . وقوله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى :

[٤] (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

[٥] (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)

[٦] (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)

[٧] (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ)

[٨] (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ)

« لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » أي في أحسن تعديل خلقاً ، وشكلاً ،

صورة ومعنى . قال الشهاب : الظرف في موضع الحال من الإنسان . والتقويم فعل الله ، فهو بمعنى القوام أو المقوم ، أو فيه مضاف مقدر . أي قوام أحسن تقويم ، أو (في) زائدة والتقدير : قومناه أحسن تقويم .

« ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ » أي جعلناه أسفل من أسفل ، وهم أصحاب النار ، لمدم جريانه

على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في أعلى عليين ، ذ (رد)
بمعنى جمل التي تنصب مفعولين . قال الشهاب : و (السافلين) العصاة وغيرهم ، وأسفل سافل
للمتعدد المتفاوت . و (ثم) للتراخي الزماني أو هو رتبتي ، وجوز نصب (أسفل) بنزع الخافض
صفة لمحذوف . أى إلى مكان أسفل سافلين . أى محل النار . أو النار بمعنى جهنم . وهذا ما قاله
مجاهد حيث قال : (في النار) وفي رواية (إلى النار) والسافلين ، على هذا ، الأمكنة السافلة .
وهي دركاتها . وجمعها للعقلاء للفائضة ، أو للتنزيل منزلة العقلاء . كذا قالوا . ولو أريد بهم
أهل النار والدركات ، لأنهم أسفل السفلى كالأول ، لكان أولى .

«إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» أى غير مقطوع أو
غير منقوص أو غير محسوب أو غير ممنون به عليهم . والاستثناء متصل من ضمير (رددناه)
فإنه في معنى الجمع ؛ لأن المكنى عنه وهو الإنسان ، في معنى الجنس .

هذا ، وقد اعتمد ابن جرير في تأويل الآية ، ما روى عن ابن عباس من أن المعنى (ثم رددناه
إلى أرذل العمر . وأن من كان يعمل بطاعة الله في شبابه كلها ، ثم كبر حتى ذهب عقله ، كتب
له مثل عمله الصالح الذي كان يعمل في شبابه ، ولم يؤخذ بشيء مما عمل في كبره وذهب عقله ،
من أجل أنه مؤمن وكان يطيع الله في شبابه) .

وعبارة ابن جرير ^(١) : وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصحة ، وأشبهها بتأويل الآية ، قول
من قال معناه : ثم رددناه أى إلى أرذل العمر ، إلى عمر الخرفي الذين ذهبت عقولهم من الهرم
والكبر ، فهو في أسفل من سفلى في إدبار العمر ، وذهب العقل . (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ) في حال صحتهم وشبابهم (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) بعد هرمهم ، كهية ما كان
لهم من ذلك على أعمالهم ، في حال ما كانوا يعملون وهم أقوياء على العمل .

(١) انظر الصفحة رقم ٢٤٥ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

قال : وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب في ذلك ، لأن الله تعالى ذكره أخبر عن خلقه ابن آدم وتصريفه في الأحوال ، احتجاجاً بذلك على منكري قدرته على البعث بعد الموت .
 ألا نرى أنه يقول (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالْأَدِينِ) يعنى بعد هذه الحجج . ومحال أن يحتج على قوم كانوا منكرين معنى من المعاني بما كانوا له منكرين . وإنما الحجة على كل قوم بما لا يقدر على دفعه مما يعاينونه ويمسونه ، أو يقرون به وإن لم يكونوا له محسين . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان القوم ، للنار التي كان الله يتوعدهم بها في الآخرة منكرين ، وكانوا أهل الهرم والخرف من بعد الشباب والجلد شاهدين ، علم أنه إنما احتج عليهم بما كانوا له معانين من تصرفه خلقه ونقله إليهم من حال التقويم الحسن ، والشباب والجلد إلى الهرم والضعف وفناء العمر وحدث الخرف . انتهى كلامه .

وعليه فيكون الاستثناء منقطعاً ، استندرا كما لدفع ما يتوهم من أن التساوى في أرذل العمر يقتضى التساوى في غيره ، ويكون (الذين) حينئذ مبتدأ ، والفاء داخله في خبره . وأما على الوجه الأول ، فالفاء للتفريع ، ومدخولها جملة مترتبة عليه ، ومؤكدة له . وقوله تعالى :
 « فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالْأَدِينِ » خطاب للإنسان على طريق الالتفات ، لتشديد التوبيخ والتبكيت ، أى فما يملك على التكذيب بالدين ، أى الجزاء بعد البعث ، وإنكاره بعد هذه الدلائل . والمعنى : إن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشراً سوياً ، وتحويله من حال إلى حال ، كمالاً ونقصاناً ، من أوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فأى شيء تضطرك إلى التكذيب به ؟ وجوز أن يكون الخطاب للنبي ﷺ ومعنى (يُكَذِّبُكَ) إما ينسبك إلى الكذب (كفسقته إذا قلت له إنه فاسق) والباء (بالدين) بمعنى (فى) أى يكذبك فى إخبارك به . أو سببية أى بسبب إخبارك به وإثباته . أو المعنى ما يملك منكذباً بالدين . على أن الباء صلته . وهو من باب الإلهاب والتعريض بالمكذبين ، والمعنى إنه لا يكذبك شيء ما بعد هذا البيان بالدين . لا كهؤلاء الذين لا يبالون بآيات الله ولا يرفعون لها رأساً . والاستفهام للإنكار والتعجب .

واستصوب ابن جرير^(١) قول من قال (ما) بمعنى (من) أى فمن يكذبك يا محمد بعد الذى جاءك من هذا البيان من الله بالدين .

قال الشهاب : (فإ) استفهام عن يعقل ، وفيه نظر ، لأنه خلاف المعروف ، فلا يرتكب مع صحة بقاءها على أصلها ، كما بيناه لك . والداعى لارتكاب هذا ، أن المعنى عليه أظهر إذا كان المخاطب النبي ﷺ فإنه إنكار توبيخى للكاذبين له ﷺ ، بعد ما ظهر لهم من دلائل صدقه وصحة مدعاه « أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ » أى بأحكم من حكم فى أحكامه . قال أبو السعود : أى أليس الذى فعل ما ذكر بأحكم الحاكمين صنفاً وتديراً ، حتى يقوم عدم الإعادة والجزاء ، وحيث استحال عدم كونه أحكم الحاكمين ، تعين الإعادة والجزاء . فالجملته تقرير لما قبلها . وقيل : الحكم بمعنى القضاء ، فهى وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب . و (أحكم) من الحكم أو الحكمة . قيل : والثانى أظهر . وكان النبي ﷺ إذا قرأها قال : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين . أرسله قتادة ، ورفعته أبو هريرة إلى النبي ﷺ .

(١) انظر الصفحة رقم ٢٤٩ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٦ - سورة العلق

سورة العلق . وهى مكية بالإجماع . وسردها أول آية نزلت من القرآن ، كما صحت بذلك الأخبار . وأما أول سورة نزلت كاملة فهى الفاتحة . ويروى فى الأوائل غيرها . ولا منافاة . لأن الأولية حقيقية ونسبية . روى الشيخان^(١) وغيرها عن عائشة قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم . فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حُبب إليه الخلاء . فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد . ويتزود لذلك . ثم يرجع إلى خديجة رضى الله عنها فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء . فجاءه الملك فقال (أَقْرَأْ) قال : ما أنا بقارىء . قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال (أَقْرَأْ) فقلت : ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال (أَقْرَأْ) ، فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال (أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده .

(١) أخرجه البخارى فى : ١ - كتاب بدء الوحي ، ٣ - باب حدثنا يحيى بن بكير ،

حديث رقم ٣ .

وأخرجه مسلم فى : ١ - كتاب الإيمان ، حديث رقم ٢٥٢ (طبعنا) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

[٢] (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)

[٣] (أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)

[٤] (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)

[٥] (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)

« أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ » أى اقرأ ما يوحى إليك من القرآن ملتبساً باسمه تعالى . أى مبتدئاً به لتحقيق مقارنته لجميع أجزاء المقروء . قال أبو السعود : والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية ، والتبايع إلى السكالات اللائق شيئاً فشيئاً مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام ، للإشعار بتبليغه عليه السلام إلى الغاية القاصية من السكالات البشرية ، بإزالة الوحي المتواتر . ووصف الرب بقوله تعالى (الَّذِي خَلَقَ) لتذكير أول النماء الفائضة عليه ﷺ منه تعالى . والتنبيه على أن من قدر على خلق الإنسان على ما هو عليه من الحياة ، وما يتبناها من السكالات العلمية والعملية ، من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلاً عن سائر السكالات ، قادر على تعليم القراءة للحجى العالم المتكلم - أى الذى أنشأ الخلق واستأثر به أو خلق كل شيء .

وقال الإمام : ترى من سياق الرواية التى قدمناها أن المتبادر من معنى الآية الأولى : كن قارئاً باسم الله من قبيل الأمر التكويني . فإن النبی ﷺ لم يكن قارئاً ولا كاتباً . ولذلك كرر القول مراراً : ما أنا بقارئ . وبعد ذلك جاء الأمر الإلهي بأن يكون قارئاً وإن لم يكن

كاتباً . فإنه سينزل عليه كتاب يقرؤه . وإن كان لا يكتبه . ولذلك وصف الرب بالذى خلق ، أى الذى أوجد الكائنات التى لا يحيط بها الوصف ، قادر أن يوجد فيك القراءة وإن لم يسبق لك تعلمها . لأنك لم تكن تدري ما الكتاب . فكأن الله يقول : كن قارئاً بقدرتى وإرادتى . وإنما عبر بالاسم ، لأنه كما سبق فى (سورة سبح) دال على ما تعرف به الذات ، وخلق القراءة يلفتك إلى الذات وصفاتها جميعاً . لأن القراءة علم فى نفس حية . فهى تخطر ببالك من الله وجوده وعلمه وقدرته وإرادته . أما إذا حملنا الأمر على التكليف وقلنا : إن المعنى أنك مأمور إذا قرأت أن تقرأ باسم الله ، وهو خلاف المتبادر ، فيكون معنى ذلك : إذا قرأت فاقرأ دائماً على أن تكون قراءتك عملاً تنفذه الله لا لغيره . فلو فرض أنه قرأ وجعل قراءته لله لا لأحد سواء ولم يذكر الاسم ، فهو قارئ باسم الله . وإنما طلبت التسمية باللسان لتكون منبهة للضمير فى بداية كل عمل ، إلى أن يرجع إلى الله فى ذلك العمل . ويلاحظ أنه يعمل لاسمه لا لاسم غيره سبحانه . انتهى . وهو جيد « خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ » أى دم جامد . وهى حالة الجنين فى الأيام الأولى لخلقه ، وتخصيص خلق الإنسان بالذكر من بين سائر المخلوقات ، لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وتفخيماً لشأنه . إذ هو أشرفها وإليه التنزيل . وهو المأمور بالقراءة ، وإنما قال (علق) دون (علقة) كما فى الآية الأخرى ، لرعاية الفواصل ، ولأن (الإنسان) مراد به الجنس . فهو فى معنى الجمع . فلذا جمع ما خلق منه ليطابقه . وخص العلق دون غيره من التارات ، لأنه أدل على كمال القدر ، من المضغة . مع استلزامه لما تقدمه . ومع رعاية الفواصل .

قال الإمام : أى ومن كان قادراً على أن يخلق من الدم الجامد إنساناً ، وهو الحى الناطق الذى يسود بعلمه على سائر المخلوقات الأرضية ، ويسخرها لخدمته ؛ يقدر أن يجعل من الإنسان الكامل مثل النبي ﷺ قارئاً . وإن لم يسبق له تعلم القراءة . وجاء بهذه الآية بعد سابقها ، ليزيد المعنى تأكيداً . كأنه يقول لمن كرر القول أنه ليس بقارئ : أيقن أنك قد

صرت قارئاً بإذن ربك الذى أوجد الكائنات ، وما القراءة إلا واحدة منها . والذى أنشأ الإنسان خلقاً كاملاً من دم جامد لا شكل فيه ولا صورة . وإنما القراءة صفة عارضة على ذلك الإنسان الكامل . فهي أولى بسهولة الإيجاد ، ولما كانت القراءة من الملكات التى لا تنكسبها النفس إلا بالتكرار والتموّد على ما جرت به العادة فى الناس ، ناب تكرر الأمر الإلهى عن تكرر المقروء ، فى تصييرها ملكة للنبي ﷺ . فلهذا كرر الأمر بقوله « أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ » وجلة (وَرَبُّكَ) الخ استثنائية لبيان أن الله أكرم من كل من يرجى منه الإعطاء . فيسير عليه أن يفيض عليك هذه النعمة ، نعمة القراءة ، من بحر كرمه . ثم أراد أن يزيده اطمئناناً بهذه الموهبة الجديدة ، فوصف مانحها بأنه « الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ » أى أفهم الناس بواسطة القلم كما أفهمهم بواسطة اللسان . والقلم آلة جامدة لا حياة فيها ، ولا من شأنها فى ذاتها الإفهام . فالذى جعل من الجماد الميت الصامت آلة للفهم والبيان ، ألا يجعل منك قارئاً مبيّناً وتالياً معلماً وأنت إنسان كامل؟؟ ثم أراد أن يقطع الشبهة من نفسه ، ويبعد عنه استغراب أن يقرأ ولم يكن قارئاً ، فقال « عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » أى إن الذى صدر أمره بأن تكون قارئاً ، وأوجد فيك ملكة القراءة والتلاوة ، وسيبلغك فيها مبلغاً لم يبلغه سواك ، هو الذى علم الإنسان جميع ما هو متمتع به من العلم ، وكان فى بدء خلقه لا يعلم شيئاً ، فهل يستغرب من هذا المعلم الذى ابتدأ العلم للإنسان ولم يكن سبق له علم بالمرّة ، أن يملك القراءة وعندك كثير من العلوم سواها ونفسك مستعدة بها لقبول غيرها؟؟ انه هـى .

تنبيهات :

الأول : قال الإمام ابن القيم فى (مفتاح دار السعادة) فى مباحث عجائب الإنسان وما فى خلقه من الحكم : ثم تأمل نعمة الله على الإنسان بالبيان . البيان النطقى والبيان الخطى وقد اعتد بهما سبحانه فى جملة ما اعند به من نعمة على العبد . فقال فى أول سورة أنزلت على رسول الله ﷺ (أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ *

أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) فتأمل كيف جمع في هذه السكيات مراتب الخلق كلها ، وكيف تضمنت مراتب الوجودات الأربعة بأوجز لفظ وأوضحه وأحسنه . فذكر أولاً عموم الخلق وهو إعطاء الوجود الخارجي . ثم ذكر ثانياً خصوص خلق الإنسان لأنه موضع العبرة . والآية فيه عظيمة . ومن شهوده عما فيه محض تمدد النعم . وذكر مادة خلقه ههنا من العلة . وفي سائر المواضع يذكر ما هو سابق عليها . أما مادة الأصل وهو التراب والطين أو الصلصال الذي كالقنار ، أو مادة الفرع وهو الماء المهيئ . وذكر في هذا الموضع أول مبادئ تعلق التخليق وهو العلة . فإنه كان قبلها نقطة فأول انتقالها إنما هو إلى العلة . ثم ذكر ثالثاً التعليم بالقلم الذي هو من أعظم نعمه على عباده . إذ به تحل العلو وتثبت الحقوق وتعلم الوصايا وتحفظ الشهادات ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس ، وبه تقيد أخبار الماضين للباقيين . ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض ، ودرست السنن وتخبطت الأحكام ، ولم يعرف الخلف مذاهب السلف . وكان معظم الخلل الداخل على الناس في دينهم ودنياهم ، إنما يعترهم من النسيان الذي يححو صور العلم من قلوبهم . فجعل لهم الكتاب وعاء حافظاً للعلم من الضياع ، كالأوعية التي تحفظ الأمتعة من الزهَاب والبطالان . فنعمة الله عز وجل بتعليم القلم بعد القرآن ، من أجل النعم . والتعليم به ، وإن كان مما يختص إليه الإنسان بالفطنة والحيلة ، فإن الذي بلغ به ذلك وأوصله إليه عطية وهبها الله منه ، وفضل أعطاه الله إياه ، وزيادة في خلقه وفضله . فهو الذي علمه الكتابة ، وإن كان هو المتعلم ففعله فعل مطاوع لتعليم الذي علم بالقلم . فإنه علمه فتعلم . كما أنه علمه الكلام فتكلم . هذا ، ومن أعطاه الذهن الذي يعي به ، واللسان الذي يترجم به ، والبنان الذي يخط به ، ومن هيا ذهنه لقبول هذا التعليم دون سائر الحيوانات ، ومن الذي أنطق لسانه وحرك بنانه ، ومن الذي دعم البنان بالكف ، ودعم الكف بالساعد . فكم لله من آية نحن غافلون عنها في التعليم بالقلم . فقف وقفة في حال

الكتابة وتأمل حالك وقد أمسكت القلم وهو جاد ، ووضعتَه على القرطاس وهو جاد ، فتولد من بينهما أنواع الحكم وأصناف العلوم وفنون المراسلات والخطب والنظم والنثر ، وجوابات المسائل . فمن الذى أجرى فلك المعانى على قلبك ، ورسمها فى ذهنك ، ثم أجرى العبارات الدالة عليها على لسانك ، ثم حرك بها بنانك حتى صارت نقشاً عجيباً ، معناه أعجب من صورته ، فتقضى به مآربك وتبلغ به حاجة فى صدرك ، وترسله إلى الأقطار النائية والجهات المتباعدة ، فيقوم مقامك ، ويترجم عنك . ويتكلم على لسانك ويقوم مقام رسولك ، ويجدى عليك ما لا يجدى من ترسله ، سوى من علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ؟ والتعليم بالقلم يستلزم المراتب الثلاثة : مرتبة الوجود الذهني والوجود اللفظي والوجود الريمي . فقد دل التعليم بالقلم على أنه سبحانه هو المعطى لهذه المراتب . ودل قوله (خَلَقَ) على أنه يعطى الوجود المعيني . فدلّت هذه الآيات ، مع اختصارها ووجازتها وفصاحتها ، على أن مراتب الوجود بأسرها مسندة إليه تعالى خلقاً وتعلماً . وذكر خلقين وتعليمين خلقاً عاماً وخلقاً خاصاً . وتعلماً خاصاً وتعلماً عاماً . وذكر من صفاته ههنا اسم (الأكرم) الذى هو فيه كل خير وكل كمال . فله كل كمال ووصف ، ومنه كل خير فعلاً . فهو (الأكرم) فى ذاته وأوصافه وأفعاله . وهذا الخلق والتعليم إنما نشأ من كرمه وبره وإحسانه ، لا من حاجة دعوته إلى ذلك ، وهو الغنى الحميد .

الثانى : قال الإمام : لا يوجد بيان أربع ولا دليل أقطع على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه ، من افتتاح الله كتابه وابتدائه الوحي بهذه الآيات الباهرات : فإن لم يهتد المسلمون بهذا الهدى ، ولم ينههم النظر فيه إلى النهوض إلى تمزيق تلك الحجب التى حجبت عن أبصارهم نور العلم ، وكسر تلك الأبواب التى غلقها عليهم رؤساؤهم وحبسوهم بها فى ظلمات من الجهل ، وإن لم يسترشدوا بفاتحة هذا الكتاب المبين ، ولم يستضيئوا بهذا الضياء الساطع ، فلا أرشدهم الله أبداً .

الثالث : قال الرازى : فى قوله (بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) إشارة

إلى الدلالة العقلية الدالة على كمال القدرة والحكمة والعلم والرحمة . وفى قوله (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) إشارة إلى الأحكام المكتوبة التى لا سبيل إلى معرفتها إلا بالسمع . فالأول كأنه إشارة إلى معرفة الربوبية . والثانى إلى النبوة . وقدم الأول على الثانى تنبيهاً على أن معرفة الربوبية غنية عن النبوة ، وأما النبوة فإنها محتاجة إلى معرفة الربوبية . وقوله تعالى :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦] (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ)

[٧] (أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى)

[٨] (إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ)

« كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى » أى حقاً إن الإنسان ليمتجاوز حده ويستكبر على ربه ، أن رأى نفسه استغنى . فـ (كَلَّا) بمعنى (حقاً) لعدم ما يتوجه إليه الردع ظاهراً ، لتأخر نزول هذا عما قبله - على ما تقدم فى المأثور - أو هو ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وإن لم يذكر ، لدلالة الكلام عليه . فإن مفتتح السورة إلى هذا المقطع يدل على عظيم منتهى تعالى على الإنسان . فإذا قيل (كَلَّا) يكون ردعاً للإنسان الذى قابل تلك النعم بال كفران والطغيان . أى ما هكذا ينبغى أن يكون الإنسان . ينعم عليه ربه بتسوية خلقه وتعليمه ما لم يكن يعلم ، وإنعامه بما لا كفاء له ، ثم يكفر بربه الذى فعل به ذلك ويطغى عليه أن رآه استغنى .

قال السكرى ، ومذهب أبى حيان أن (كَلَّا) بمعنى (ألا) الاستفتاحية ، وصوبه ابن هشام بكسر همزة (إِنْ) بعدها كما بعد حرف التنبيه . وفى (الكواشى) : يجوز فى (كَلَّا) أن تكون تنبيهاً ، فيقف على ما قبلها . وردعا ، فيقف عليها .

تنبيه :

دلت الآية على قاعدة عظيمة في باب التمويل المأمود ، قررهما الحكماء المصلحون . وهو أن لا يتجاوز المال قدر الحاجة بكثير . قالوا : لأن إفراط الثروة مهلكة للأخلاق الحميدة في الإنسان ، كما نطقت به الآية السكرية .

قال بعض الحكماء : التحول لأجل الحاجات وبقدرها ، محمود بثلاثة شروط . وإلا كان حرص التمويل من أقبح الخصال .

الشرط الأول : أن يكون إحراز المال بوجه مشروع حلال . أى إحرازه من بذل الطبيعة أو بالمعارضة أو في مقابل عمل .

والشرط الثانى : أن لا يكون في التمويل تضيق على حاجات الغير ، كاحتكار الضروريات ، أو مزاحمة الصنائع والعمال الضعفاء ، أو التغلب على المباحات . مثل امتلاك الأراضى التى جعلها خالقها مرحاً لكافة مخلوقاته . وهى أهم ترضعهم لبن جهازاتها وتغذيهم بشمراتها وتؤويهم في حضن أجزائها .

الشرط الثالث لجواز التمويل : هو أن لا يتجاوز المال قدر الحاجة بكثير ، وإلا فسدت الأخلاق . ولذلك حرمت الشرائع السماوية كلها ، والحكمة السياسية والأخلاقية والعمرانية أكل الربا . وذلك لقصد حفظ التساوى والتقارب بين الناس في القوة المالية . لأن الربا كسب بدون مقابل مادي ، ففيه معنى الغصب . وبدون عمل ، ففيه الألفة على البطالة المفسدة للأخلاق . وبدون تعرض لخسائر طبيعية كالتجارة والزراعة والأملأك . دع أن بالربا تربو الثروات ، فيختل التساوى بين الناس ، كما تقدم بيانه في أواخر سورة البقرة .

وقوله تعالى « إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ » أى المرجع في الآخرة . قال أبو السعود : تهديد للطاغى وتحذير له من عاقبة الطغيان . والالتفات للتشديد في التهديد ، و (الرجعى) مصدر بمعنى الرجوع . وتقديم الظرف لقصره عليه . أى إن إلى مالك أمرك رجوع السكل بالموت والبعث ، لا إلى غيره ، استقلالاً ولا اشتراكاً . فسترى حينئذ عاقبة طغيانك . وقد جوز كون الخطاب للرسول صلوات الله عليه ، والتهديد والتحذير بحاله .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٩] (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ)

[١٠] (عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ)

[١١] (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ)

[١٢] (أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ)

[١٣] (أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ)

[١٤] (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ)

« أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ » أى يمنعه عن الصلاة . وعبر بالنهى ، إشارة إلى عدم اقتداره على غير ذلك . قال ابن عطية : لم يختلف المفسرون فى أن الناهى أبو جهل والعبد المصلى النبى ﷺ . كما روى فى الصحيحين . ولفظ البخارى عن ابن عباس : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدا يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه . فبلغ النبى ﷺ فقال : لو فعله لأخذته الملائكة . وفى الآية تقبيح وتشنيع لحال ذاك الكافر ، وتعجيب منها وإيدان بأنها من الشناعة والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من يتأذى منه الرؤية ويقضى منها العجب . ولفظ (العبد) وتنكيره ، لتفخيمه عليه السلام ، واستعظام النهى وتأكيده التعجب منه . وقيل : إنه من إرخاء العنان فى الكلام النصف ، إذ قال (ينهى) ولم يقل (يؤذى) و (عبدًا) دون (نبيًا) والرؤية ههنا بصرية ، وفيها بعدها قلبية . معناه : أخبرنى . فإن الرؤية لما كانت سببًا للإخبار عن المرتى ، أجرى الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها . قاله أبو السمود .

(١) أخرجه فى : ٦٥ - كتاب التفسير ، ٩٦ - سورة اقرأ باسم ربك الذى خلق ،

حديث رقم ٢٠٧٢ .

وقال الإمام : كلمة (أرايت) صارت تستعمل في معنى (أخبرني) على أنها لا يقصد بها في مثل هذه الآية الاستخبار الحقيقي ، ولكن يقصد بها إنكار المستخبر عنها وتوبيخها . فكأنه يقول : ما أسخف عقل هذا الذي يطغى به الكبر فينهى عبداً من عبيد الله عن صلاته ، خصوصاً وهو في حالة أدائها . وقوله « أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ » أي أرايت إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله ، أو كان أمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان ، كما يمتقد ؟ وجواب الشرط محذوف دل عليه ما بعده . أي ألم يعلم بأن الله يرى . وعليه ، فالضائر كلها (لذي ينهى) وجوز عود الضمير المستتر في (كان) للعبد المصلي . وكذا في (أمر) أي أرايت الذي ينهى عبداً يصلي ؟ والمنهى على الهدى أمر بالتقوى . والنهى مكذب متول ، فما أعجب من هذا ! وذهب الإمام رحمه الله ، في تأويل الآية إلى معنى آخر . وعبارته : أما قوله (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ) فمعناه أخبرني عن حاله إن كان ذلك الطاغى على الهدى وعلى صراط الحق ، أو أمر بالتقوى مكان نهيه عن الصلاة ، أمّا كان ذلك خيراً له وأفضل ؟ وقوله « أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ » أي نبئني عن حاله إن كذب بما جاء به النبيون . وتولى أي أعرض عن العمل الطيب ، أفلا يخشى أن تحل به قارعة وبصيبة من عذاب الله ما لا قبل له باحتمال ؟ فجواب كل من الشرطين محذوف كما رأيت في تفسير المعنى . وهو من الإيجاز المحمود ، بعد ما دل على المحذوف بقوله « أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ » أي أجهل أن الله يطالع على أمره ؟ فإن كان تقيّاً على الهدى أحسن جزاءه ، وإن كذب وتولى لم يفلت من عقوبته . ثم إن ما يطيل به المفسرون في المفعول الثاني لفعل (أرايت) الأولى ومفعولها في الثانية والثالثة ، فهو مما لا معنى له ؛ لأن القرآن قدوة في التعبير ، وقد استعملها بمفعول واحد وبلا مفعول أصلاً بمعنى (أخبرني) . والجملة المستخبر عن مضمونها ، تسد مسد المفاعيل . انتهى كلامه رحمه الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٥] (كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ)

[١٦] (نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ)

[١٧] (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ)

[١٨] (سَدْعُ الزَّبَابِيَّةِ)

[١٩] (كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)

« كَلَّا » ردع عن النهي عن الصلاة « لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ » أى عن هذا الطغيان ، وعن النهي عن الصلاة ، وعن التكذيب والقول « لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ » أى لنأخذن بناصيته ، ولنسحبته بها إلى النار . والسفع : القبض على الشيء وجذبه بشدة . والأخذ بالناصية هنا ، مَثَلٌ في القهر والإذلال والتعذيب والنكال . وقوله تعالى « نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ » بدل من (الناصية) ولم يقتصر على إحدى الجملتين ، لأن ذكر الأولى للتخصيص على أنها ناصية الناهي والثانية لتوصف بما يدل على علة السفع وشموله لكل من وجد فيه ذلك . ووصفها بالكذب والخطأ ، وهما لصاحبها ، على الإسناد المجازى ، للمبالغة لأنها تدل على وصفه بالكذب بطريق الأولى ، ولأنه لشدة كذبه كان كل جزء من أجزائه يكذب . وكذا حال الخطأ ، وهو كقوله ^(١) (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ) و (وجهها يصف الجمال) - والتجوز بإسناد ما للسكل إلى الجزء ، كما يسند إلى الجزئى في قولهم (بنو فلان قتلوا قتيلاً) والقاتل أحدهم .

لطيفة :

قال في (البحر) : كتبت نون (لَنَسْفَعًا) بالألف باعتبار الوقف عليها بإبدالها ألفاً . وقال السمين : الوقف على هذه النون بالألف تشبيها لها بالتنوين . وتكتب هنا ألفاً اتباعاً للوقف

(١) [١٦ / النحل / ٦٢] .

لأن قاعدة الرسم مبنية على حال الوقف والابتداء « فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ » أى أهل مجلسه ، لينع المصلين ويؤذى أهل الحق الصادقين ، انكالا على قوتهم وغفلة عن قهر الحق وسخطه . والجملة إما بتقدير مضاف ، أو على الإسناد المجازى من إطلاق اسم المحل على من حل فيه . والنادى المجلس الذى ينتدى فيه القوم ، أى يجتمعون « سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ » أى زبانية العذاب من جنوده تعالى فيهلكونه فى الدنيا ، أو يردونه فى النار فى الآخرة وهو صاغر ، ولم يرسم (سندع) بالواو فى المصاحف بانباع الرسم للفظ ، أو لمشكلة قوله (فليدع) وقيل إنه مجزوم فى جواب الأمر وفيه نظر « كَلَّا » ردع للنأهى بعد ردع ، وزجر إثر زجر « لَا تَطْعُمُهُ » أى لا تطعم ذاك الطاغى إذا نهاك عن عبادة ربك . قال الزمخشري : أى اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقولهِ^(١) « فَلَا تَطْعَمُ الْمُسْكَنِينَ » « وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ » أى صل لربك وتقرب منه بالعبادة وتحبب إليه بالطاعة . وفى صحيح مسلم^(٢) عن أبى هريرة مرفوعا : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد . فأكثرُوا من الدعاء .

تنبيهات :

الأول : قدمنا أن الآيات نزلت فى أبى جهل ، على ما صح فى الأخبار ، قال الإمام : ولا مانع من أن يكون فى الآيات إشارة إليه ، ولكنها عامة فى كل وقت وزمن كآرى . والخطاب فيها موجه إلى من يخاطب لا إلى شخص النبى ﷺ . والله أعلم .

الثانى : قال الحافظ ابن حجر فى (فتح البارى) : إنما شدد الأمر - أمر الوعيد - فى حق أبى جهل ولم يقع مثل ذلك لعقبة بن أبى معيط ، حيث طرح سلى الجزور على ظهره ﷺ وهو يصلى - لأنهما وإن اشتركا فى مطلق الأذية حال صلاته ، لكن زاد أبو جهل بالتهديد وبدعوة أهل طاعته ، وبوطء العنق الشريف . وفى ذلك من المبالغة ما اقتضى تمجيد

(١) [٦٨ / القلم / ٨] .

(٢) أخرجه فى : ٤ - كتاب الصلاة ، حديث ٢١٥ (طبعنا) .

العقوبة له ، لو فعل ذلك . وقد عوقب عقبة بدعائه ﷺ وعلى من شاركه في فعله ، فقتلوا يوم بدر ، كأبي جهل .

الثالث : قال الإمام : ذكر الصلاة في الصورة لا يدل على أن بقيتها نزل بمد فرض الصلاة . فقد كان للنبي ﷺ وأصحابه صلاة قبل أن تفرض الصلوات الخمس المعروفة .

الرابع : قال في (الباب) : سجدة هذه السورة من عزائم سجود التلاوة عند الشافعي . فيسنّ للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها . يدل عليه ما روى عن أبي هريرة^(١) قال : سجدنا مع رسول الله ﷺ في (أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ) و (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ) : أخرجه مسلم في صحيحه .

(١) أخرجه ابن ماجه في : ٥ - كتاب الإقامة ، ٧١ - باب عدد سجود القرآن ، حديث رقم ١٠٥٨ (طبعتنا) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٧ - سورة القدر

قال السيوطي: فيها قولان، والأكثر أنها مكية، وآياتها خمس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

- [١] (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)
- [٢] (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ)
- [٣] (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ)
- [٤] (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ)
- [٥] (سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ)

« إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » أى أنزلنا القرآن على قلب خاتم النبيين ، بمعنى ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر . وقد وصفت بالباركة في قوله تعالى ^(١) : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) وكانت في رمضان ، لقوله تعالى ^(٢) (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ) .

قال الإمام : سميت ليلة القدر، إما بمعنى ليلة التقدير ، لأن الله تعالى ابتدأ فيها تقدير دينه وتحديد الخطة لنبيه في دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه . أو بمعنى العظمة والشرف ، من قولهم (فلان له قدر) أى له شرف وعظمة . لأن الله قد أعلى فيها منزلة نبيه وشرفه وعظمه بالرسالة، وقد جاء بما فيه الإشارة، بل التصريح، بأنها ليلة جليلة، بجلالة ما وقع فيها من إنزال القرآن . فقال «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» أى وما الذى يملك مبلغ شأنها ونباهة أمرها « لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ » فكرر ذكرها ثلاث مرات . ثم أتى بالاستفهام الدال

(١) [٤٤ / الدخان / ٣] . (٢) [٢ / البقرة / ١٨٥] .

على أن شرفها ليس مما تسهل إحاطة العلم به ، ثم قال (إنها خير من ألف شهر) لأنه قدمضى على الأمم آلاف من الشهور وهم يختبئون في ظلمات الضلال . فليلة يسطع فيها نور الهدى خير من ألف شهر من شهورهم الأولى . ولك أن تقف في التفضيل عند النص ، وتفوض الأمر ، في تحديد مافضلت عليه الليلة بألف شهر ، إلى الله تعالى . فهو الذى يعلم سبب ذلك ولم يبينه لنا ، ولك أن تجرى الكلام على عادتهم في التخاطب . وذلك في الكتاب كثير . ومنه الاستفهام الواقع في هذه السورة (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) فإنه جار على عادتهم في الخطاب . وإلا فالعلم الخبير لا يقع منه أن يستفهم عن شيء . فيكون التحديد بالآلف لافهم له ، بل الغرض منه التكثير . وإن أقل عدد تفضله هو ألف شهر . ثم إن درجات فضلها على هذا العدد غير محصورة . فإذا قلت (إخفاء الصدقة خير من إظهارها) لم تعين درجة الأفضلية . وهى درجات فوق درجات وقد جاء في الكتاب في واقعة واحدة ، هى واقعة بدر ، أن الله أمد المؤمنين بألف من الملائكة ، أو بثلاثة آلاف ، أو بخمسة آلاف ، كما تراه في الأنفال وآل عمران . فالمدد هناك لافهم له ، كما هو ظاهر . فهى ليلة خير من الدهر إن شاء الله . ثم استأنف لبيان بعض مزاياها فقال « تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا » يخبر جل شأنه أن أول عهد للنبي ﷺ بشهود الملائكة ، كان في تلك الليلة . تنزلت من عالمها الروحاني الذى لا يحده حد ولا يحيط به مقدار ، حتى تمثلت لبصره ﷺ ، والروح هو الذى يتمثل له مبلغاً للوحى ، وهو الذى سُمِّيَ في القرآن بجبريل . وإنما تظهر الملائكة والروح « بِإِذْنِ رَبِّهِمْ » أى إنما تتجلى الملائكة على النفس الكاملة ، بعد أن هيأها الله لقبول تجليها . وليست تتجلى الملائكة لجميع النفوس كما هو معلوم . فذلك فضل الله يختص به من يشاء . واختصاصه هو إذنه ومشيتته . ثم إن هذا الإذن مبدؤه الأوامر والأحكام . لأن الله يحل الملائكة على النفوس ، لإيحاء مايريد منها . ولهذا قال « مِّنْ كُلِّ أَمْرِ » أى أن الله يظهر الملائكة والروح لرسله عند كل أمر يريد إبلاغه إلى عباده . فيكون الإذن مبتدئاً من الأمر على هذا المعنى .

والأمر ههنا هو الأمر في قوله ^(١) (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) فالكلام في الرسالة والأوامر والأحكام ، لا في شيء آخر سواها . ولهذا قال بعضهم : إن (من) ههنا بمعنى الباء ، أى بكل أمر . ولا حاجة إليه لما قلنا . وإنما عبر بالمضارع في قوله (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ) وقوله (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) مع أن المعنى ماض ، لأن الحديث عن مبدأ نزول القرآن - لوجهين :

الأول : لاستحضار الماضى لعظمته على نحو ما في قوله ^(٢) (وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) فإن المضارع بعد الماضى يزيد الأمر تصويراً . والثانى : لأن مبدأ النزول كان فيها . ولكن بقية الكتاب وما فيه من تفصيل الأوامر والأحكام كان فيما بعد . فكأنه يشير إلى أن ما ابتدأ فيها يستمر في مستقبل الزمان حتى يكمل الدين . وقوله تعالى « سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ » أى أنها كانت ليلة سالمة من كل شر وأذى . والإخبار عنها بالسلم نفسه - وهو الأمن والسلامة - للبيان في أنه لم يشبها كدر ، بل فرج الله فيها عن نبيه كل كربة ، وفتح له فيها سبل الهداية ، فأناله بذلك ما كان يتطلع إليها ، الأيام والشهور الطوال .

تنبيهات :

الأول : قدمنا أن ليلة القدر التى ابتدئ فيها نزول القرآن كانت في رمضان لآية (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) ولا إجماع في تعيين تلك الليلة . بل في صحيح البخارى ^(٣) أنها رفعت . أى رفع العلم بتعيينها . وفي رواية فيه : نسيها أو أنسيها . من قوله صلوات عليه . ولذا رغب في قيام رمضان كله رجاء موافقتها في ليلة منه . نعم الأقوى رواية أنها في العشر الأخير من رمضان لما كان من اهتمامه ﷺ بالاعتكاف فيه وإحياء ليله وإيقاظ أهله . وقد ذهب ابن مسعود والشعبي والحسن وقتادة إلى أنها ليلة أربع وعشرين .

(١) [٤٤ / الدخان / ٥٤] .

(٢) [٢ / البقرة / ٢١٤] . (٣) أخرجه في : ٣٢ - كتاب فضل ليلة القدر ،

٢ - باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر ، حديث رقم ٤١٩ ، عن أبى سعيد الخدرى .

قال ابن حجر : وحجتهم حديث واثلة أن القرآن نزل لأربع وعشرين من رمضان . وقد اضطربت أقوال السلف فيها . صحابة ومن بعدهم . حتى أضافت على أربعين قولاً .
قال الإمام : ثم الأخبار الصحيحة متضافرة على أنه في شهر رمضان . ولا نعيّن فيها من بين لياليه . فقد اختلفت فيها الروايات اختلافاً عظيماً . وكتاب الله لم يعينها . وما ورد في الأحاديث من ذكرها ، إنما قصد به حث المؤمنين على إحيائها بالعبادة ، شكر الله تعالى على ما هداهم بهذا الدين الذي ابتدأ الله إفاضته فيهم ، في أنثائها . ولهم أن يعبدوا الله فيها أفراداً وجماعات . فمن رجح عنده خبر في ليلة أحيائها ، ومن أراد أن يوافقها على التحقيق ، فعليه أن يشكر الله بالفراغ إليه بالعبادات في الشهر كله . وهذا هو السر في عدم تعيينها . وتشير إليه آية البقرة فإنها تجعل الشهر كله ظرفاً لنزول القرآن ، ليذكر المؤمنون نعمة الله عليهم فيه . فهي ليلة عبادة وخشوع ، وتذكر لنعمة الحق والدين . فلا تكون ليلة زهو ولهو تتخذ فيها مساجد الله مضامير للرياء ، يتسابق إليها المنافقون . ويحدث أنفسهم بالبعد عنها المخلصون . كما جرى عليه عمل المسلمين في هذه الأيام . فإن كل ما حفظوه من ليلة القدر هو أن تكون لهم فيها ساعة سمر يتحدثون فيها بما لا ينظر الله إليه . ويسمعون شيئاً من كتاب الله لا ينظرون فيه ولا يعتبرون بمعانيه . بل إن أصغوا إليه ، فإنما يصغون لنعمة تاليه . ثم يسمعون من الأقوال ما لم يصح خبره ، ولم يحمّد في الآخرين ولا الأولين أثره . ولهم خيالات في ليلة القدر لا تليق بقول الأطفال ، فضلاً عن الراشدين من الرجال . انتهى .

وقال الطبري : إخماء ليلة القدر دليل على كذب من زعم أنه يظهر في تلك الليلة للعيون ، ما لا يظهر في سائر السنة . إذ لو كان ذلك حقاً ، لم يخف على كل من قام ليالي السنة ، فضلاً عن ليالي رمضان .

الثاني : حكى الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) قولاً عن بعض العلماء : أن ليلة القدر خاصة بسنة واحدة وقعت في زمان النبي ﷺ . ولعل مستنده ما صح أنها رفعت . وقد قدمنا معناه . ولذا ذهب الجمهور إلى خلافه . وعندى أن لا تنافي . لأن المراد بالأول هو ليلة نزول

القرآن وما كان فيها من التجلّي الخاص التي انقردت به - وبالثاني أن ما يوافق تلك الليلة من رمضان كل عام ، هي ليلة فيها مزية على غيرها ، بفضل اختصت به دون غيرها . وهذا هو السرّ في قيام رمضان والتماسها في العشر الأواخر منه . أعني إحياء مآثلها من الليالي ، تبركاً وتيمناً وشكراً لله تعالى على تلك النعمة والهداية . فلقائم في ليالي العشر الأخير ، أو في رمضان ، مصادف البتة لما مائل تلك الليلة . لأنها منه قطعاً . وقد باين الإسلام في تفضيل بعض الأوقات بتشرّيع اتخاذها موسماً للعبادة ، ما ابتدعه رؤساء الأديان الآخر في تذكاراتهم وجعلها أعياداً ، تصرف ساعاتها للبطالة والزينة واللهو ، مما ينافي حكمة ذكرها . فتأمل الفرق ، واحمد الله على اتباع الحق .

الثالث : قال الإمام : ما يقوله الكثير من الناس من أن الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ، هي ليلة النصف من شعبان ، وأن الأمور التي تفرق فيها هي الأرزاق والأعمار ، وكذلك ما يقولونه من مثل ذلك في ليلة القدر ، فهو من الجراءة على الكلام في الغيب بغير حجة قاطعة . وليس من الجائز لنا أن نعتقد بشيء من ذلك ، ما لم يرد به خبر متواتر عن المعصوم عليه السلام . ومثل ذلك لم يرد ، لاضطرب الروايات ، وضعف أغلبها ، وكذب الكثير منها . ومثلها لا يصح الأخذ به في باب العقائد . ومثل ذلك يقال في بيت العزة ، ونزول القرآن فيه جملة واحدة في تلك الليلة . فإنه لا يجوز أن يدخل في عقائد الدين . لعدم تواتر خبره عن النبي صلى الله عليه وآله . ولا يجوز لنا الأخذ بالظن في عقيدة مثل هذه . وإلا كنا من الذين (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) نعوذ بالله . وقد وقع المسلمون في هذه المصيبة ، مصيبة الخلط بين ما يصح الاعتقاد به من غيب الله ويعدّ من عقائد الدين ، وبين ما يظن به للعمل على فضيلة من الفضائل . فاحذر أن تقع فيها مثلهم . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٥ - سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

ويقال سورة القيمة . وسورة المنفكين . وسورة البرية . وعدد آياتها ثمان وهي مدنية على الأصح . روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ لأُبَيِّ بن كعب : إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا) قال : وسماني لك ، قال : نعم . فبكي . ورواه البخاري ومسلم^(١) . وفي رواية الإمام أحمد^(٢) عن أبي حبة البدرى قال : لما نزلت (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا) قال جبريل : يا رسول الله ! إن ربك يأمرك أن تقرئها أُبَيًّا . فقال النبي ﷺ لأُبَيِّ : إن جبريل أمرني أن أقرأك هذه السورة . قال أُبَيِّ : وقد ذُكِرَتْ ثم يا رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فبكي أُبَيِّ .

(١) أخرجه البخاري في : ٦٥ - كتاب التفسير ، ٩٨ - سورة لم يكن ، ١ - حدثنا

محمد بن بشار ، حديث رقم ١٧٨٤ ، عن أنس .

(٢) أخرجه في المسند بالصفحة رقم ٤٨٩ من الجزء الثالث .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)

[٢] (رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً)

[٣] (فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ)

« لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا » أى جحدوا نبوة النبي صلوات الله عليه بعنادهم ، بعد ما تبينوا الحق منها « مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ » أى اليهود والنصارى الذين عرفوه وسمعوا أدلته وشاهدوا آياته ، لم يكونوا هم « وَالْمُشْرِكِينَ » أى وثني العرب « مُنْفَكِينَ » أى عن غفلتهم وجهلهم بالحق ، ووقوفهم عند ما قلدوا فيه آباءهم ، لا يعرفون من الحق شيئاً « حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ » أى الحجة القاطعة المثبتة للمدعى ، وهى هنا النبي ﷺ . فجيئته هو الذى أحدث هذه الرجة فيما رسخ من عقائدهم وتمكن من عوائدهم ، حتى أخذوا يحتجون لعنادهم ومناكرتهم بأنه كان شيئاً معروفاً لهم ، يصلون إليه بما كان لديهم ، ولكنه ليس بمستحق أن يتبع . فإن ما هم فيه أجل وأبدع . ومتابعة الآباء فيه أشهى إلى النفوس وأمتع . تلك البينة التى تعرفهم وجه الحق هى « رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ » أى محمد ﷺ « يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً » وهى صحف القرآن المطهرة من الخلط وحشو الدلائل ، فلماذا تنبعت منها أشعة الحق حتى يعرفه طالبوه ومنكروه معا « فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ » أى مستقيمة لا عوج فيها . واستقامة الكتب اشتغالها على الحق الذى لا يعيل إلى باطل ^(١) (لَا يَأْتِيهِ الْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ

(١) [٤١ / فصلت / ٤٢] .

حَكِيمٍ حَمِيدٍ) والكتب التي في صحف القرآن ومصاحفه ، إما أن تكون هي ماصح من كتب الأولين كموسى وعيسى وغيرها ، مما حكاه الله في كتابه عنهم . فإنه لم يأت منها إلا بما هو قوى سليم . وقد ترك حكاية ما لبس فيه الملبسون إلا أن يكون ذكره لبيان بطلانه . ولهذا لم يجد الجاحدون لرسالته عليه السلام من أهل الكتاب سييلاً إلى إنكار الحق . وإنما فضلو عليه سواء . أو هي سور القرآن . فإن كل سورة من سورة ، كتاب قويم . فصحف القرآن أو صحائفه وأوراق مصحفه تحتوى على سور من القرآن هي كتب قيمة . ولما كان لسائل أن يسأل : إذا كان هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، قد انفقوا عن ذلك الظلام المطبق ، وبدا لهم من الحق ما عرفوه كما يعرفون أبناءهم ، فما بالهم لم يؤمنوا بهذا الحق الذي جاءهم ؟ أجاب الحق تعالى بأن أهل الكتاب قد جاءتهم البينة والحجة القاطعة على الحق الذي لا يختلف وجهه ، بما أوحى الله به إلى أنبيائهم . وكان من حقهم أن يسترشدوا بكتبهم في معرفة سبيله حتى لا ينحرفوا عنه . فإذا عرض لأحدهم شبهة رجع في كشفها إلى العارف بمعاني الكتب . ثم كان عليهم أن يحرصوا على تعلم معانيها وفهم أساليبها ويحافظوا عليها حتى لا يضلّهم فيها مضلل . لكن هذه البينة لم تقدم شيئاً فإنهم اختلفوا في التأويل وتفرقوا في المذاهب حتى صار أهل كل مذهب يبطل ماعند أهل المذهب الآخر . وكان ذلك بغيا منهم ، واستمراراً في المراء ، وإصراراً على ما قاد إليه الهوى . وهذا هو قوله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى :

[٤] (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ)

[٥] (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ)

«وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ» أى على السنة

أنبيائهم . فهكذا كان شأنهم في النبي ﷺ . جحدوا بينته كما جحدوا بينة أنبيائهم ، بتفرقهم فيها ، وبعدهم بالتفرق عن حقيقتها . فإن كان هذا شأن أهل الكتاب في بينتهم وبينتنا ، فما ظنك بالمشركين ، وهم أعرق في الجهالة وأساس قياداً للهوى ، منهم؟؟ وقوله تعالى « وَمَا أُمِرُوا » أى والحال أن أهل الكتاب ما أمروا بلسان أنبيائهم وكتبهم « إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » أى الإذعان والخضوع ، وذلك بتنقيته من أن يشركه فيه شيء . لا واسطة ولا مال ، ولا كرامة ولا جاه « حُنَفَاءَ » أى متبعى إبراهيم عليه السلام ، أو على مثاله . وأصله جمع (حنيف) بمعنى المائل المنحرف . سمي به إبراهيم عليه السلام لأنحرافه عن وثنية الفاس كافة « وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ » أى الإتيان بها ، لإحضار القلب هيبة العبود وترويضه بالخشوع . لا أن تكون مجرد حركات ظاهرة . فإن ذلك ليس من الصلاة في شيء ، البتة « وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ » أى بصرفها في مصارفها التي عينها الله تعالى « وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ » أى الكتب القيمة . أو دين الأمة القيمة المستقيمة . ومعنى الآية : إن أهل الكتاب قد افترقوا ، ولعننا كل فرقة أختها . وكان افتراقهم في العقائد والأحكام وفروع الشريعة ، مع أنهم لم يؤمروا ولم توضع لهم تلك الأحكام إلا لأجل أن يعبدوا الله ويخلصوا له عقائدهم وأعمالهم . فلا يأخذونها إلا عنه مباشرة ، ولا يقلدون أهل الضلال من الأمم الأخرى . وأن يخشعوا لله في صلاتهم ، وإن يصلوا عباد الله بركاتهم . فإذا كان هذا هو الأصل الذى يرجع إليه في الأوامر ، فما كان عليهم إلا أن يجعلوه نصب أعينهم ، فيردوا إليه كل ما يعرض لهم من المسائل ويحلّوا به كل ما يعترض أمامهم من المشاكل . ومتى تحكم الإخلاص في الأنفس ، تسلط الإنصاف عليها ، فسادت فيها الوحدة ، ولم تطرق طرقها الفرقة . هذا مانعاه الله من حال أهل الكتاب . فما نقول في حالنا ؟ أفا ينعماء كتابنا الشاهد علينا بسوء أعمالنا ، في افتراقنا في الدين ، وأن صرنا فيه شيعاً ، وملأناه محدثات وبدعاً ؟ بهذا الذى تقدم عرفت أن الذين كفروا هم الذين أنكروا رسالة النبي ﷺ عند دعوتهم إلى قبول ما جاء به . وإن (من) في قوله (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) للتبعض . وأن معنى (لم يكونوا منفكين) :

أى لم يكن وجه الحق لينكشف لهم ، فيقع الزلزال في عقائدهم ، فينفكوا عن الغفلة المحضة التي كانوا فيها، حتى تأتيمهم البينة . ويجوز أن يكون المراد من (الذين كفروا) والله أعلم، أولئك الذين جحدوا شيئاً من دين الله تعالى عند ما جاءهم . ولم يفظروا فى دليله . أو أعرضوا عنه بعد ما عرفوا دليله سواء كانوا من مشركى العرب أو من أهل الكتاب . وإن آمنوا بعد ذلك وصدقوا . فأراد الله أن يذكر مقتته على من آمن من هؤلاء . فبين أن الذين كفروا، أى جحدوا ما أوجب الله على عباده أن يعقدوه عنه من صفاته وشرائعه من أهل الكتاب ومشركى العرب ، لم يكونوا براجمين عن كفرهم وجحدوهم هذا ، حتى يأتيمهم الرسول فيبين لهم بطلان ما كانوا عليه من الكفر ، فيؤمنوا . فما أعظم فضل الله عليهم فى إرسال رسوله إليهم ! وهذا وجه آخر غير الذى قدمناه فى معنى الذين كفروا وانفكوا عنهم . وبذلك أو هذا ظهر معنى (حتى) وبطل جميع ما يهذى به كثير من المفسرين الذين أضلهم التقليد ، عن الرأى السديد ، فصعبوا من القرآن سهله ، وحرموا من فهمه أهله . انتهى كلام الإمام نقلناه من أول السورة إلى هنا بالحرف لنفاسته ، ولكونه أحسن ما فُسِّرَتْ به . وقاعدتنا التي انتهجناها فى هذا التفسير أن تؤثر فى معانى آياته ، أحسن ما قيل فيها . فلذلك سميناها (محاسن التأويل) هدايا الله إلى أقوم السبيل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦] (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا، أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ)

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا » أى بالله ورسوله محمد ﷺ فجحدوا نبوته « مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ » أى شر من برأه الله وخلقه . قال الإمام : لأن منكر الحق ، بعد معرفته وقيام الدليل عليه ، منكر فى الحقيقة لعقل نفسه ، مهلك لروحه ، جالب الهلاك لغيره .

لطائف

الأولى - دلت هذه الآية والتي قبلها على أن عنوان (المشركين) لا يتناول أهل الكتاب في عرف القرآن ، بل هو خاص بالوثنيين . أعنى من يدينون بالإشراك وتعدد الأرباب ، فأهل الكتاب - وهم اليهود والنصارى - لا يتناولهم ذلك العنوان وإن دخل في عقائدهم الشرك . لأنه دخيل لأصيل . ولذلك ينفرون من وصمة الشرك ، وبسببه حل الفكاح منهم دون الوثنيين . الثانية - قال ابن جرير : العرب لا همز البرية . وبترك الهمزة فيها قرأتها قراء الأمصار ، غير شيء يذكر عن نافع بن أبي نعيم . فإنه حكى بعضهم عنه أنه كان يهمزها . وذهب بها إلى إلى قول الله ^(١) (مَنْ قَبْلَ أَنْ نَبْرَأَهَا) وأنها فعيلة من ذلك . وأما الذين لم يهمزوها ، فإن لتركهم الهمز في ذلك وجهين : أحدهما أن يكونوا تركوا الهمز فيها كما تركوه من الملك ، وهو مفعول ، من (الك) أو (لأك) ومن (يرى) و (ترى) و (نرى) ، وهو (تفعل) من رأيت . والآخر أن يكونوا وجهوها إلى أنها فعيلة من (البراء) وهو التراب . حكى عن العرب سماعاً فقيل (بفك البراء) يعنى به التراب . انتهى .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٧] (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)

[٨] (جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

أَبَدًا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ وَ)

« إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا » أى بالله ورسوله محمد ، صلوات الله عليه « وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ »

أى من بذل النفس في سبيل الجهاد للحق ، وبذل المال في أعمال البر ، مع القيام بفرائض العبادات ، والإخلاص في سائر ضروب المعاملات . لأن إذعانهم الصحيح ، ووجدانهم لذة معرفة الحق ، ملكت الحق قيادهم . فعملوا الأعمال الصالحة ، قاله الإمام . « أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ

(١) [٥٧ / الحديد / ٢٢] .

الْبَرِيَّةِ » أى أفضل الخليقة . لأنهم بمتابعة الحق عند معرفته بالدليل القائم عليه ، قد حققوا لأنفسهم معنى الإنسانية التى شرفهم الله بها . وبالعمل الصالح ، قد حفظوا نظام الفضيلة الذى جعله الله قوام الوجود الإنسانى ، وهدوا غيرهم بحسن الأسوة إلى مثل ما هُدوا إليه من الخير والسعادة . فمن يكون أفضل منهم ؟ قاله الإمام « جَزَّ آوْهُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَزَّتْ عَدْنُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » أى بساتين إقامة ، لا ظن فيها ، تجرى من تحت أشجارها وغرفها الأنهار « خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » أى ما كثرين على الدوام ، لا يخرجون عنها ولا يموتون فيها « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ » أى بما أطاعوه فى الدنيا ، وعملوا لخلوصهم من عقابه فى ذلك « وَرَضُوا عَنْهُ » لأنهم بحسن يقينهم يرتاحون إلى امتثال ما يأمر به فى الدنيا . فهم راضون عنه . ثم إذا ذهبوا إلى نعيم الآخرة ، وجدوا من فضل الله ما لا محل للسخط معه ، فهم راضون عن الله فى كل حال . أفاده الإمام .

« ذَلِكَ » أى هذا الجزاء الحسن وهذا الرضاء « لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ » أى خاف الله فى الدنيا ، فى سره وعلايته ، فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه . فإن خشية ملاك السعادة الحقيقية . قال الإمام : أراد بهذه الكلمة الرفيعة الاحتياط لدفع سوء الفهم الذى وقع ولا يزال يقع فيه العامة من الناس ، بل الخاصة كذلك . وهو أن مجرد الاعتقاد بالورثة ، وتقليد الأبوين ، ومعرفة ظواهر بعض الأحكام ، وأداء بعض العبادات ، كحركات الصلاة وإمساك الصوم ، مجرد هذا لا يكفى فى نيل ما أعد الله من الجزاء للذين آمنوا وعملوا الصالحات . وإن كانت قلوبهم حشوها الحسد والحقد والكبرياء والرياء . وأفواهم ماؤها الكذب والنميمة والافتراء ، وتهز أعطافهم رياح العجب والخيلاء . وسراثرهم مسكن العبودية والرق للأمراء . بل ولبن دون الأمراء . خالية من أقل مراتب الخشوع والإخلاص لرب الأرض والسماء . كلا لا يتناولون حسن الجزاء . فإن خشية ربهم لم تحل قلوبهم . ولهذا لم تهذب من نفوسهم . ولا يكون ذلك الجزاء إلا لمن خشى ربه ، وأشعر خوفه قلبه . والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٩ - سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

قال ابن كثير : مكية . ورجح السيوطي أنها مدنية . وآيها ثمان . روى الترمذي^(١) عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ (إِذَا زُلْزِلَتْ) تعدل نصف القرآن . و (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تعدل ثلث القرآن . و (قُلْ يَاسَّأُهَا الْكٰفِرُونَ) تعدل ربع القرآن . وسيأتي سر ذلك في تفسير سورة الكافرين والإخلاص إن شاء الله تعالى .

(١) أخرجه في : ٤٢ - كتاب ثواب القرآن ، ١٠ - باب ما جاء في (إِذَا زُلْزِلَتْ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا)

[٢] (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا)

« إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا » أى أصابها ذلك الزلزال الشديد والاهتزاز الرهيب .
فالإضافة للتفخيم أو الاختصاص ، بمعنى الزلزال المخصوص بها . وهى الرجة التى لا غاية وراءها .
والأقرب الأول ، لآية (١) (يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوءَ رَبَّكُمْ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ)
وقرى بفتح الزاى . وقد قيل هما مصدران . وقيل المفتوح اسم والمكسور مصدر . وهو
المشهور « وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا » أى قذفت ما فى باطنها من كنوز ودقائق وأموات
وغير ذلك ، لشدة الزلزلة وتشقق ظهرها . كقوله (٢) (وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا
وَتَخَلَّتْ) والأثقال جمع (ثقل) بفتححتين . وهو متاع المسافر وكل نفيس مصون . وهذا
على الاستعارة . ويجوز أن يكون بكسر فسكون بمعنى حمل البطن ، على التشبيه أيضاً . لأن
الحمل يسمى ثقلاً كما فى قوله تعالى (٣) (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ) قاله الشريف المرتضى فى (الدرر) .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣] (وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا)

[٤] (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا)

[٥] (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا)

(٢) [٨٤ / الانشقاق / ٤٣ و ٤٤] .

(١) [٢٢ / الحج / ١] .

(٣) [٧ / الأعراف / ١٨٩] .

[٦] (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ)

[٧] (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ)

[٨] (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)

« وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا » أى قال من يكون من الإنسان شاهداً لهذا الزلزال ، الذى نجاه ودهشه ، ولم يمهّد مثله : مالهذه الأرض رجّت هذه الرجة الهائلة ، وبمتر ما فيها من الأثقال المدفونة « يَوْمَئِذٍ » بدل من (إذا) أى فى ذلك الوقت « تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا » أى تبين الأرض بلسان حالها ، ما لأجله زلزالها وإخراج أثقالها . فتدل دلالة ظاهرة على ذلك . وهو الإيدان بفناء النشأة الأولى وظهور نشأة أخرى . فالتحديث استعارة أو مجاز مرسل مطلق الدلالة .

قال أبو مسلم : أى يومئذ يتبين لكل أحد جزاء عمله . فكأنها حدثت بذلك . كقولك (الدار تحمدنا بأنها كانت مسكونة) فكذا انتقاض الأرض بسبب الزلزلة ، تحدث أن الدنيا قد انتقضت ، وأن الآخرة قد أقبلت .

« بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا » الباء سببية متعلق بـ (تحدث) أى تحدث بسبب إيحاء ربك لها ، وأمره إيائها بالتحدث . والإيحاء استعارة أو مجاز مرسل لإرادة لازمة . وهو إحداث ما تدل به على خرابها .

وقال القاشانى : أى أشار إليها وأمرها بالاضطراب والخراب وإخراج الأثقال . يعنى الأمر التكويني . وهو تعلق القدرة الإلهية بما هو أثر لها « يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا » أى ينصرفون عن مرآدهم إلى مواطن حسابهم وجزائهم ، متفرقين سعداء وأشقياء « لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ » أى ليرىهم الله جزاء أعمالهم « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ » أى فمن عمل فى الدنيا وزن ذرة من خير ، يرى ثوابه هنالك . والذرة النملة الصغيرة وهى مثل فى الصغر . وقيل الذر هو الهباء الذى يرى فى ضوء الشمس إذا دخلت من نافذة « وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » أى ومن كان عمل فى الدنيا وزن ذرة من شر ، يرى جزاءه ثمة .

تنبيهات :

الأول - دل لفظ (من) على شمول الجزاء بقسميه ، للمؤمن وغيره .

قال الإمام : أى من يعمل من الخير أدنى عمل وأصغره ، فإنه يراه ويجد جزاءه . لافرق في ذلك بين المؤمن والكافر . غاية الأمر أن حسنات الكفار الجاحدين لاتصل بهم إلى أن تخلصهم من عذاب الكفر ، فهم به خالدون في الشقاء . والآيات التي تنطق بمحبط أعمال الكفار ، وأنها لاتنفعهم ، معناها هو ما ذكرنا . أى أن عملاً من أعمالهم لا ينجيهم من عذاب الكفر ، وإن خفف عنهم بعض العذاب الذى كان يرتقبهم ، على بقية السيئات الأخرى ، أما عذاب الكفر نفسه فلا يخفف عنهم منه شيء . كيف لا ، والله جل شأنه يقول ^(١) (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) فقلوه (فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً) أصرح قولى أن الكافر والمؤمن في ذلك سواء . وإن كلاً يوفى يوم القيامة جزاءه . وقد ورد أن حاتماً يخفف عنه لكرمه . وأن أبا لهب يخفف عنه لسروره بولادة النبي ﷺ . وما نقله بعضهم من الإجماع على أن الكافر لاتنفعه في الآخرة حسنة ولا يخفف عنه عذاب سيئة ما ، لا أصل له . فقد قال بما قلناه كثير من أئمة السلف رضى الله عنهم . على أن كلمة (الإجماع) كثيراً ما يتخذها الجهلاء السفهاء آلة لقتل روح الدين ، وحجراً يلقمونه أفواه المتكلمين . وهم لا يعرفون للإجماع الذى تقوم به الحجة معنى ، فبئس ما يصنعون . انتهى .

وقد سبقه الشهاب في (حواشيه) على القاضى ، حيث ناقش صاحب المقاصد في دعواه الإجماع على إحباط عمل الكفرة . وعبارته : كيف يدعى الإجماع على الإحباط بالسلبية ، وهو مخالف لما صرح به في الآية ؟ والذى يلوح للخاطر ، بعد استكشاف سرائر الدفاتر ، أن الكفار يعذبون على الكفر بحسب مراتبه . فليس عذاب أبى طالب كعذاب أبى جهل . ولا

(١) [٢١ / الأنبياء / ٤٧] .

عذاب المعطلة كعذاب أهل الكتاب ، كما تقتضيه الحكمة والعدل الإلهي . انتهى .

الثاني - قال في (الإكليل) : في هاتين الآيتين ، الترغيب في قليل الخير وكثيره . والتحذير من قليل الشر وكثيره . أخرج عبد الرزاق عن ابن مسعود قال : هذه الآية أحكم آية في القرآن . وفي لفظ (أجمع) .

وسمى^(١) رسول الله ﷺ هذه الآية الجامعة الفادة ، حين سئل عن زكاة الحنظل فقال : ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الجامعة الفادة (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) . وروى الإمام أحمد^(٢) عن صعصعة بن معاوية . عم الفرزدق ، أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) إلخ . قال : حسبي . لا أبالي أن لا أسمع غيرها . ورواه النسائي في تفسيره .

(١) أخرجه البخاري في : ٦٥ - كتاب التفسير ، ٩٩ - إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، ١ - باب قوله فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، حديث رقم ١١٨٥ ، عن أبي هريرة .

(٢) انظر الصفحة رقم ٥٩ من الجزء الخامس من المسند .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٠ - سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

مكية أو مدنية . وآيها إحدى عشرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (وَالْعُدَيِّتِ صَبْحًا)

[٢] (فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا)

[٣] (فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا)

[٤] (فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا)

[٥] (فَوْسَطْنَنَ بِهِ جَمْعًا)

« وَالْعُدَيِّتِ صَبْحًا » إقسام بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو ، فتصبح . و (الصبح) صوت أنفاسها إذا عدت . وليس المراد بالصوت الصهيل . بل قولها (اح . اح) كما قاله ابن عباس . ونصب (صَبْحًا) إما بفعله المحذوف ، أو بالعاديات لإفادته معناه ، أو بالحالية « فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا » أى تورى النار بحوافرها . والقَدْح هو الضرب لإخراج النار ، والإيراء يترتب عليه . لأنه إخراج النار وإيقادها . فأيراؤها ما يرى من صدم حوافرها للحجارة . وتسمى نار الجباب . ولما كان مرتباً على عدوها ، عطفه بالفاء . وكون المراد به الحرب - بعيد . وفى إعرابه الوجوه السابقة .

« فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا » أى تغير على العدو فى وقته . يقال (أغار على العدو) إذا هجم عليه ليقتهله أو يأسره أو يستلب ماله .

قال الإمام: وهو وصف عرض للخيل من الغاية التى أجريت لها . أى أنها تعدو ويشد عدوها حتى يخرج الشرر من حوافرها ، تهجم على عدو وقت الصباح ، وهو وقت المفاجأة لأخذ العدو على غير أهبة « فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا » أى فأهجن ، بذلك الوقت ، غباراً من الإثارة . وهى

التهبيج وتحريك الغبار ونحوه ليرتفع . والنقع: الغبار كما ذكرنا، وورد بمعنى الصياح . فجوّز إرادته هنا بمعنى صياح من هجم عليه ، وأوقع به . لا صياح المغير المحارب ، وإن جاز على بُعد فيه . أى هيجن الصياح بالإغارة على العدو، وضمير (به) للوقت والباء ظرفية . وفيه احتمالات آخر . ككونه للعدو أو للإغارة ، لتأويلها بالجرى . فالباء سببية أو للملابسة . ويجوز كونها ظرفية أيضا . والضمير للمكان الدال عليه السياق ، للعلم بأن الغبار لا يثار إلا من موضع . وهو الذى اختاره ابن جرير .

قال الشهاب : وذكر إثارة الغبار ، للإشارة إلى شدة العدو وكثرة الكرّ والفرّ . وتخصيص الصبح ، لأن الغارة كانت معتادة فيه . أى لمباغطة العدو . والغبار إنما يظهر نهائياً و (أثرن) معطوف على ما قبله .

قال الناصر : وحكمة الإتيان بالفعل معطوفاً على الاسم ، الذى هو العاديات أو مابعد ، لأنها أسماء فاعلين تعطى معنى الفعل . وحكمة مجيء هذا المعطوف فعلا عن اسم فاعل ، تصوير هذه الأفعال فى النفس . فإن التصوير يحصل بإيراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف . وهو أبلغ من التصوير بالأسماء المتناسقة . وكذلك التصوير بالمضارع بعد الماضى . وقوله تعالى « فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً » أى فتوسطن ودخلن فى وسط جمع من الأعداء ، ففرقنه وشتتته . يقال : (وسطت القوم) بالتخفيف و (وسطته) بالتشديد و (توسطته) بمعنى واحد . وفى الضمير الوجوه المتقدمة .

قال الإمام رحمه الله : أقسم تعالى بالخليل متصفة بصفاتها التى ذكرها ، آتية بالأعمال التى سردها لينوه بشأنها ويعلم من قدرها فى نفوس المؤمنين أهل العمل والجد . ليعينوا بقفيتها وتدريبها على الكر والفر ، وليحملهم أنفسهم على العناية بالفروسية والتدرب على ركوب الخيل ، والإغارة بها . ليكون كل واحد منهم مستعداً فى أى وقت كان ، لأن يكون جزءاً من قوة الأمة إذا اضطرت إلى صدّ عدو ، أو بعثها باعث على كسر شوكته . وكان فى هذه

الآيات القارعات ، وفي تخصيص الخيل بالذكر في قوله (١) (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) وفيما ورد من الأحاديث التي لا تنكاد تحصر - ما يحمل كل فرد من رجال المسلمين على أن يكون في مقدمة فرسان الأرض مهارة في ركوب الخيل . ويبعث القادرين منهم على فنية الخيل على التنافس في عقائلها . وأن يكون فن السباق عندهم يسبق بقية الفنون إتقاناً . أفليس من أعجب العجب أن ترى أمماً ، هذا كتابها ، قد أهملت شأن الخيل والفروسية ، إلى أن صار يشار إلى راكبيها بينهم بالهزؤ والسخرية ؟ وأخذت كرام الخيل تهجر بلادهم إلى بلاد أخرى .

ثم قال : يقسم الله بالخيل صاحبة تلك الصفات التي رفع ذكرها ، ليؤكد الخبر الذي جاء في قوله :

القول في تأويل قوله تعالى :

[٦] (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)

[٧] (وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ)

[٨] (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)

«إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ» أي لكفور . بكفر نعمه ولا يشكرها . أي لا يستعملها

فيما ينبغي ليتوصل بها إليه .

قال المهايي : أي لكفور ، فيوجب قتاله بهذه الخيول وقهره بهذا الغضب . وعن أبي أمامة : الكنود الذي يأكل وحده ، ويضرب عبده ، ويمنع رفته «وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ» أي وإن الإنسان على كنفوده ، لشهيد يشهد على نفسه به ، لظهور أثره عليه . فالشهادة مستعمارة لظهور آثار كفرانه وعصيانه بلسان حاله .

(١) [٨ / الأنفال / ٦٠] .

قال القاشاني : لشهادة عقله ونور فطرته إنه لا يقوم بحقوق نعم الله ، ويقصر في جنب الله بكفرانه « وَإِنَّهُ وَلِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ » أى وإنه لحب المال والدنيا وإيثارها ، لقوى . ولحب تقوى الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس وإنه لحب الخير الموصل إلى الحق ، شديد منقبض ، غير هش منبسط . أو اللام للتعميل . أى إنه لأجل حب المال بخيل . فلذلك يحتجب به غارزاً رأسه في تحصيله وحفظه وجمعه ومنعه ، مشغولاً به عن الحق ، معرضاً به عن جنبه .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٩] (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ)

[١٠] (وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ)

[١١] (إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ)

« أَفَلَا يَعْلَمُ » أى أبعد هذا الاحتجاب ومخالفة العقل ، لا يعلم بنور فطرته وقوة عقله « إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ » أى بعث وأثير ما في القبور وإخراج موتاهها « وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ » أى أظهر وأبرز ما في صدورهم ونفوسهم من أسرارهم ونياتهم المكتومة فيها ، من خير أو شر « إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ » أى عالم بأسرارهم وضمائرهم وأعمالهم . فيجازيهم على حسبها يومئذ . وتقديم الظرف ، إما لمكان نظم السجع ورعاية الفواصل ، أو للتخصيص لوقوع علمه تعالى كناية عن مجازاته . وهى إنما تكون يومئذ .

قال الرازى : وإنما خص أعمال القلوب بالتحصيل دون أعمال الجوارح ، لأن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلوب . فإنه لولا البواعث والإرادات فى القلوب ، لما حصلت أفعال الجوارح . ولذلك جعلها تعالى الأصل فى الهم فقال ^(١) (ءَاتِمٌ قَلْبُهُ) والأصل فى المدح فقال ^(٢) (وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) .

(١) [٢ / البقرة / ٢٨٣] . (٢) [٨ / الأنفال / ٢] و [٢٢ / الحج / ٣٥] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠١ - سُورَةُ الْفَارَعَةِ

مكية وآياتها إحدى عشرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (الْقَارِعَةُ)

[٢] (مَا أَلْقَرَعُ)

[٣] (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ)

[٤] (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ)

[٥] (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ)

« الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ » قال أبو السعود: القرع هو الضرب بشدة واعتماد، بحيث يحصل منه صوت شديد، وهي القيامة. سميت بها لأنها تفرع القلوب والأسماع بفنون الأفراع والأهوال. وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال: السماء بالانشقاق والانقطاع، والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار، والأرض بالزلزال والتبديل والجبال بالدك والنسف. وهي مبتدأ خبره قوله تعالى (ما القارعة) على أن (ما) الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ، لا بالعكس. لأن محط الفائدة هو الخبر لا المبتدأ. ولا ريب في أن مدار إفادة الموصول والفخامة ههنا، هو كلمة (ما) لا (القارعة) أي أي شيء عجيب هي في الفخامة والفضاعة؟ وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتأويل. وقوله تعالى « وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ » تأكيداً لهولها وفضاعتها، ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها، بحيث لا تكاد تقاله دراية أحد، حتى يدريك بها. أي: وأي شيء أعلمك ما شأن القارعة؟ ولما كان هذا منبئاً عن الوعد الكريم بإعلامها، أنجز ذلك بقوله تعالى « يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ » أي هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبعوث في الكثرة

والانتشار ، والضعف والذلة والاضطراب ، والتطايير إلى الداعي ، كتطايير الفراش إلى النار .
 فـ (يوم) خبر محذوف بنى على الفتح ، لإضافته إلى الفعل ، أو هو منصوب . بإضمار
 (اذكر) . كأنه قيل ، بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام إلى معرفتها :
 اذكر يوم يكون الناس « وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ » أى كالصوف المندوف
 في تفرق أجزائها وتطاييرها في الجو . ولما كان من المعلوم أن ذلك اليوم هو اليوم الذى
 تبتدى فيه الحياة الآخرة ، وفيها تعرف مقادير الأعمال وما تستحقه من الجزاء ، رتب عليه
 قوله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى :

[٦] (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ)

[٧] (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ)

[٨] (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ)

[٩] (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ)

[١٠] (وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ)

[١١] (نَارٌ حَامِيَةٌ)

« فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ » قال ابن^(١) جرير : أى فأما من
 ثقلت موازين حسناته ، يعنى بالموازين الوزن . والعرب تقول (لك عنسدى درهم بميزان
 درهمك) ويقولون (دارى بميزان دارك ووزن دارك) يراد حذاء دارك . قال الشاعر^(٢) :
 قد كنتُ قبل لفائكم ذا مِرَّةٍ عندى لكلِّ نخاصم ميزانهُ

(١) انظر الصفحة رقم ٢٨٢ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) أنشده نعلب في اللسان (ج ١٣ ص ٤٤٧) طبعة بيروت .

يعنى بقوله (ميزانه) كلامه وما ينقض عليه حجته . وكان مجاهد يقول : ليس ميزان . إنما هو مثل ضرب . انتهى .

وعليه ، فالموازين جمع ميزان . وجوز كونه جمع موزون ، وهو العمل الذى له خطر ووزن عند الله تعالى . ومعنى قوله (فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ) أى فى عيشة قد رضىها فى الجنة . فـ (راضية) بمعنى مرضية ، على التجوز فى الكلمة نفسها أو فى إسنادها . أو استعارة مكنية وتخييلية « وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ » أى وزن حسناته « فَأَمُّهُ وَهَّاءٌ » أى فآواه ومسكنه الهاوية التى يهوى فيها على رأسه فى جهنم .

قال الشهاب : فسمى المأوى (أُمًّا) على التشبيه تهكماً . لأن أم الولد مأواه ومقره . وفى (التأويلات) : قيل المراد أم رأسه . أى يلتقى فى النار منكوساً على رأسه . انتهى . والأول هو الموافق لقوله « وَمَا أَذْرَبْتَ مَايِهِ * نَارٌ حَامِيَةٌ » فإنه تقرير لها بعد إبهامها ، والإشعار بخروجها عن الحدود الممهودة للتهويل . وأصل (مَايِهِ) ماهى ، كناية عن الهاوية . فأدخل فى آخرها هاء السكت وفقاً . وتحذف وصلاً . وقد أجزئ إثباتها مع الوصل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٢ - سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بوهى مكية وآياتها ثمان .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

- [١] (أَلْهَمَكُمُ التَّكَاثُرَ)
- [٢] (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)
- [٣] (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)
- [٤] (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)
- [٥] (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ)
- [٦] (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)
- [٧] (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)
- [٨] (ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

« أَلْهَمَكُمُ التَّكَاثُرَ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ » أى شغلكم التباهى بالكثرة فى المال والولد ونحوها . فيقول هذا : أنا أكثر منك مالا ، والآخر : أنا أكثر منك ولداً . وهكذا مما يصرف عن الجد فى العمل ، ويطفىء نور الاستعداد وصفاء الفطرة والعقل والسكرات المعنوية الباقية . ذهب بكم التفاخر والتباهى بهذه الأمور الفانية ، من كثرة الأموال والأولاد ، وشرف الآباء والأجداد كل مذهب « حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ » أى حتى هلكتم ومتم وصرت من أصحاب القبور ، فأفنيتم عمركم فى الأعمال السيئة وما تنبأهم طول حياتكم إلى ما هو سبب سعادتهم ونجاتكم . وزيارة القبور عبارة عن الموت .

روى الزمخشري شواهد لها . قال الشهاب : وفيها إشارة إلى تحقق البعث . لأن الزائر لا بد من انصرافه عما زاره . ولذا قال بعض الأعراب لما سمعها : بمشوا ، ورب الكعبة ! وقال ابن عبد العزيز : لا بد لمن زار ، أن يرجع إلى جنة أو نار . وسمى بعض البلغاء المقبرة ، دهليز

الآخرة « كَلَّا » ردع عن الاشتغال بالتكاثر، وتوهم أن الفوز بالتفاخر. فإن الفوز بالتفاخر على الحق والتجلى بالفضائل « سَوْفَ تَعْلَمُونَ » أى مغبة ما أنتم عليه ، فى الآخرة ، من وخامة عاقبة الاشتغال بهذه الشهوات السريعة الزوال ، العظيمة الوبال ، لبقاء تبعاتها .

« ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ » تكرير للتأكيد. و (ثم) للدلالة على أن الثانى أبلغ من الأول . أو الأول عند الموت ، والثانى عند النشور « كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ » أى لو تعلمون ما بين أيديكم من الجزاء ، علم الأمر اليقين ، لكان ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والتحسر على فوات العمر العزيز فى التكاثر ، والذهول عن الحق به . واليقين بمعنى المتيقن ، صفة لمحذوف ، أو صفة للعلم ، على أنه من إضافة الصفة للموصوف ، وحذف جواب (لو) ليطلبه العقل من الشرط وماسبقه ، ليستحكم فيه فضل استحكام . وقوله تعالى « لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ » جواب قسم مضمّر ، أكد به الوعيد ، وشدد به التهديد ، وأوضح به ما نذروه تفخيماً « ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ » أى الرؤية التى هى نفس اليقين ، فالعين هنا بمعنى النفس ، كفى (جاء زيد عينه) أى نفسه . وإنما كانت نفس اليقين ، لأن الانكشاف بالرؤية والمشاهدة ، فوق سائر الانكشافات . فهو أحق بأن يكون عين اليقين . والتكرير للتأكيد .

قال الإمام: وكفى برؤية الجحيم ، عن ذوق العذاب فيها . وهى كفاية شائعة فى الكتاب العزيز . « ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » أى عن النعيم الذى ألهاكم التكاثر به والتفاخر فى الدنيا . ماذا عملتم فيه؟ ومن أين وصلتم إليه؟ وفيما أصبتموه؟ وماذا عملتم به؟ ويدخل فى ذلك ما أنعم عليهم من السمع والبصر وصحة البدن .

قال ابن عباس : النعيم صحة الأبدان والاسماع والأبصار . قال : يسأل الله العباد فيم استعملوا وهو أعلم بذلك منهم . وهو ^(١) قوله (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) قال ابن جرير ^(٢) : لم يخص فى خبره تعالى نوعاً من النعيم دون نوع . بل عم . فهو سائلهم عن جميع النعيم . ولذا قال مجاهد : أى عن كل شئ من لذة الدنيا . وقال قتادة : إن الله عز وجل سائل كل عبد عما استودعه من نعمه وحقه .

(١) [١٧/الإسراء/٣٦] . (٢) انظر الصفحة رقم ٢٨٩ من الجزء الثلاثين (طبعة الحامى الثانية) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٣ - سُورَةُ الْعَصْرِ

مكية ، وقيل مدنية ، وآيها ثلاث .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (وَالْعَصْرِ)

[٢] (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ)

[٣] (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ)

« وَالْعَصْرِ » أى الدهر . أقسم تعالى به لانطوائه على تماجيب الأمور القارة والمارة . ولذا قيل له (أبو العجب) . ولأنه يذكر بما فيه من النعم وأضدادها . فينبه الإنسان على أنه مستعد للخسران والسعادة . وللتنويه به والتعظيم من شأنه ، تعريضاً ببراءته مما يضاف إليه من الخسران والذم . كما قيل :

يَعْبُونَ الزَّمانَ وليسَ فِيهِ معايِبُ غيرِ أَهْلِ الزَّمانِ

وجوّز أن يراد بالعصر ، الوقت المعروف الذى تجب فيه صلاة العصر .

قال الإمام : كان من عادة العرب أن يجتمعوا وقت العصر ويتحدّثوا ويتذاكروا فى شؤونهم . وقد يكون فى حديثهم ما لا يليق أو ما يؤذى به بعضهم بعضاً . فيتوهم الناس أن الوقت مذموم . فأقسم الله به لينبهك إلى أن الزمان فى نفسه ليس مما يذم ويسبّ ، كما اعتاد الناس أن يقولوا (زمان مشؤوم) و (وقت نحس) و (دهر سوء) وما يشبه ذلك . بل هو عادّ للحسنات كما هو عادّ للسيئات . وهو ظرف لشؤون الله الجليلة من خلق ورزق وإعزاز وإذلال وخفض ورفع . فكيف يذم فى ذاته ، وإنما قد يذم ما يقع فيه من الأفاعيل المعقّوة . « إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ » أى خسران ، لخسارته رأس ماله الذى هو نور الفطرة والهداية الأصلية ، بإيثار الحياة الدنيا واللذات الفانية والاحتجاب بها وبالدهر ، وإضاعة الباقي فى الفانى « إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا » أى بالله وبما أنزل من الحق ، إيماناً ملك إرادتهم

فلا يعملون إلا ما يوافق اعتقاداتهم . كما قال « وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » قال القاشاني : أى من الفضائل والخيرات . أى اكتسبوها فربحوا زيادة النور السكالي على النور الاستعدادي الذي هو رأس ملهم .

« وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ » أى أوصى بعضهم بعضاً بما أنزل الله في كتابه من أمره ، واجتنب ما نهى عنه من معاصيه « وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » أى على ما يبلى الله به عباده . أو على الحق ، فإن الوصول إلى الحق سهل . وأما البقاء عليه والصبر معه بالاستقامة والجهاد لأجله ، فذلك الذي يظهر به مصداق الإيمان وحقيقته .

تنبيهات

الأول - قال الإمام ابن القيم في (مفتاح دار السعادة) قال الشافعي رضي الله عنه : لو فكر الناس كلهم في هذه السورة ، لكفهم . وبيان ذلك أن المراتب أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله . إحداها معرفة الحق . الثانية عمله به . الثالثة تعليمه من لا يحسنه . الرابعة صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه . فذكر تعالى المراتب الأربعة في هذه السورة . وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر أن كل أحد في خسر ، إلا الذين آمنوا . وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به ، فهذه مرتبة . وعملوا الصالحات وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه أخرى . وتواصوا بالحق ، وصى به بعضهم بعضاً تعليماً وإرشاداً ، فهذه مرتبة ثالثة . وتواصوا بالصبر ، صبروا على الحق ووصى بعضهم بعضاً بالصبر عليه والثبات . فهذه مرتبة رابعة . وهذا نهاية الكمال . فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه ، مكملاً لغيره . وكمال بإصلاح قوته العلمية والعملية . فصالح القوة العلمية بالإيمان . وصالح القوة العملية بعمل الصالحات . وتكميله غيره ، بتعليمه إياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل . فهذه السورة ، على اختصارها ، هي من أجمع سور القرآن للخير بمخدايره . والحمد لله الذي جعل كتابه كافياً عن كل ما سواه ، شافياً من كل داء ، هادياً إلى كل خير . انتهى .

الثاني : قال الرازي : هذه السورة فيها وعيد شديد . وذلك لأنه تعالى حكم بالخسار على جميع الناس ، إلا من كان آتياً بهذه الأشياء الأربعة . وهي : الإيمان . والعمل الصالح . والتواصي بالحق . والتواصي بالصبر . فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور . وأنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه ، فكذلك يلزمه في غيره أمور . منها الدعاء إلى الدين . والنصيحة . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وأن يحب له ما يحب لنفسه . ثم كرر التواصي ليعتد به الأول الدعاء إلى الله ، والثاني الثبات عليه . والأول الأمر بالمعروف ، والثاني النهي عن المنكر . ومنه قوله تعالى ^(١) (وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ) وقال عمر : رحم الله من أهدى إلى عيوني .

الثالث : قال الرازي : دلت الآية على أن الحق ثقیل ، وأن الحق تلازمه . فلذلك قرن التواصي بالصبر .

الرابع : تخصيص التواصي بالحق والصبر ، مع اندراجهما في الأعمال الصالحة ، لإبراز كمال الاعتناء بهما .

قال الإمام : من تلك الأعمال الدعوة إلى الحق والوصية بالصبر . لكنه أراد تخصيص هذين الأمرين بالذكر ، لأنهما حفاظ كل خير ورأس كل أمر . والحق هو ما تقرر من حقيقة ثابتة أو شريعة صحيحة . وهو ما أرشد إليه دليل قاطع أو عيان ومشاهدة . فشرط النجاة من الخسران ، أن يعرف الناس الحق ويلزموه أنفسهم ، ويمكّنوه من قلوبهم ، ثم يحمل الناس بعضهم بعضاً عليه ، بأن يدعو كل صاحب به إلى الاعتقاد بالحقائق الثابتة ، التي لا ينافع فيها العقل ولا يختلف فيها النقل . وأن يبعدوا بأنفسهم وبغيرهم عن الأوهام والخيالات ، التي لا قرار للنفوس عليها ، ولا دليل يهدي إليها . ولا يكون ذلك إلا بإعمال الفكر وإجادة النظر في الأكوان ، حتى تستطیع النفس دفع ما يرد عليها من باطل الأوهام . وهذا إطلاق للعقل من كل قيد ، مع اشتراط التدقيق في النظر . لا الذهاب مع الطيش والانخداع . (١) [٢١ / لقمان / ١٧] .

للمادة والوهم . ومن لم يأخذ نفسه بحمل الناس على الحق الصحيح بعد أن يعرفه فهو من الخاسرين . كما ترى في الآية بالنص الصريح الذي لا يقبل التأويل . والصبر قوة للنفس على احتمال المشقة في العمل الطيب ، واحتمال المكروه من الحرمان من اللذة ، إن كان في نيلها ما يخالف حقاً أو ما لا تأذن به الشريعة الصحيحة التي لا اختلاف فيها . واحتمال الآلام إذا عرضت المصائب بدون جزع ولا خروج في دفعها عن حدود الحق والشرع . فشرط النجاة من الخسران أن تصبر ، وأن توصي غيرك بالصبر ، وتحمله على تكميل قواه بهذه الفضيلة الشريفة ، التي هي أم الفضائل بأمرها ، ولا يمكنك حملها على ذلك ، حتى تكون بنفسك متحلياً بها . وإلا دخلت فيمن يقول ، ولا يفعل كما يقول . فلم تكن ممن يعمل الصالحات . انتهى .

الخامس - قال الإمام: إنما قال (وَتَوَاصَوْا) ولم يقل (وأوصوا) ليبين أن النجاة من الخسران إنما تنافى بحرص كل من أفراد الأمة على الحق ، ونزوع كل منهم إلى (أن يوصي به قومه ومن يهيمه أمر الحق ، ليوصي صاحبه بطلبه ، يهيمه أن يرى الحق فيقبله . فكان في هذه العبارة الجزلة ، قد نص على توأصيهم بالحق وقبولهم الوصية به إذا وجهت إليهم .

السادس - قال ابن كثير : ذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبيد الله ابن حصن قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ ، إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها . ثم يسلم أحدهما على الآخر . قال الإمام : قد ظن الناس أن ذلك كان للتبرك . وهو خطأ . وإنما كان ليذكر كل واحد منهما صاحبه بما ورد فيها . خصوصاً من التواصي بالحق والتواصي بالصبر . حتى يجتلب منه قبل التفرق ، وصية خير لو كانت عنده .

وقد فسر الإمام رحمه الله هذه السورة بتفسير على حدة لم يسبق إلى نظيره ، فعلى من أراد التوسع في أسرارها ، أن يرجع إليه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٤ - سُورَةُ الْحُمَزَةِ

مكية ، وآيها تسع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ)

[٢] (الَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ)

[٣] (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ)

« وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ » أى لكل من يطعن فى أعراض الناس ويفتقاهم .
أصله من الهمز بمعنى الكسر ، ومن اللمز بمعنى الطعن ، الحقيقين . ثم استعيرا لذلك .
ثم صارا حقيقة عرفية فيه . قال زياد الأعجم ^(١) :

تُدلى بؤدٍ إذا لافيتى كذبا وإن أغيب فأت الهامز اللُّمَزَةُ

وبناء (فُعْلَمَةٌ) يدل على أن ذلك عادة منه قد ضرى بها ، لأنه من صيغ المبالغة .
والآية عنى بها من كان مع المشركين بمكة ، هازا لمازا . كما فى قوله ^(٢) (إِنَّ الَّذِينَ أُجِرُوا
كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ..) الآيات ،
وقوله ^(٣) (هَٰمَّازٍ مُّشْتَبِهٍ بَنِيهِمْ ..) الآيات ، فالسبب ، وإن يكن خاصا ، إلا أن الوعيد عام ،
يتناول كل من باشر ذلك القبيح . وسرّ وروده عامّا ، ليسكون جاريا مجرى التعريض
بالوارد فيه ، فإن ذلك أضر له وأنكى فيه .

« الَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ » أى أحصى عدده ولم ينفقه فى وجوه البر .

قال الإمام : أى أن الذى يحمله على الخط من أقدار الناس ، هو جمعه المال وتعيديه . أى
عده مرة بعد أخرى ، شغفآ به وتلذذا بإحصائه . لأنه لا يرى عزّا ولا شرفا ولا مجدا فى سواه .

(١) انظر الصفحة رقم ٤٧٥ من إصلاح المنطق لابن السكيت .

(٢) [٨٣ / المطففين / ٣٠ و ٢٩] . (٣) [٦٨ / القلم / ١١] .

فكلما نظر إلى كثرة ما عنده منه ، انتفخ وظن أنه من رفعة المكانة ، بحيث يكون كل ذى فضل ومزية دونه . فهو يهزأ به ويهمزه ويلهزه . ثم لا يخشى أن تصيبه عقوبة على الهمز واللمز وتزيق العرض . لأن غروره بالمال أنساه الموت وصرف عنه ذكر المال فهو « يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ » أى يظن أن ماله الذى جمعه وأحصاه ، وبخل بإنفاقه ، يخلد في الدنيا ، فزيل عنه الموت .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤] (كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ)

[٥] (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ)

[٦] (نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ)

[٧] (الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ)

[٨] (إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّاةٌ)

[٩] (فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ)

« كَلَّا » أى فليرتدع عن هذا الحسبان ، فإن الأمر ليس كما ظن . بل لابد أن يفارق هذه الحياة إلى حياة أخرى يعاقب فيها على ما كسب من سيئ الأعمال ، كما قال « لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ » أى ليلقى ويلقى يوم القيامة فى النار التى من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها . أى تسكسه ، وكلمة (النبذ) تفيد التحقير والتصغير « وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ » استفهام عنها تهويل أمرها . كأنها ليست من الأمور التى تدركها العقول « نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ » أى هى النار التى لا تنسب إلا إليه سبحانه ، لأنه هو مُنْشِئُهَا فى عالم لا يملكه سواه .

قال أبو السعود : وفى إضاقتها إليه سبحانه ، ووصفها بالإيقاد ، من تهويل أمرها مالا يزيد عليه « الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ » قال ابن جرير^(١) : أى التى يطلع إليها ووجهها على القلوب .

(١) انظر الصفحة رقم ٢٩٤ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى . حكى عن العرب سماعا (مَتَى طَلَعَتْ أَرْضُنَا) . و (طَلَعْتُ أَرْضِي) بَلَغْتُ .

وقال الزخشرى : يعنى أنها تدخل فى أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم، وهى أوساط القلوب . ولاشئ فى بدن الانسان ألطف من الفؤاد، ولا أشد تأللاً منه بأذى أذى عيسه . فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه !! ويجوز أن يخص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة . أو تطالع ، على سبيل المجاز معادن موجبها « إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ » أى مغلقة مطبقة لا تخلص لهم منها « فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ » صفة لمؤصدة، أو حال من الضمير المجرور . وإلى الوجهين أشار الزخشرى بقوله : والمعنى أنه يؤكّد بأسهم من الخروج ، وتيقنهم بحبس الأبد ، فتؤصد عليهم الأبواب ، وتمدد على العمدة ، استيثاقاً فى استيثاق . ويجوز أن يكون المعنى أنها عليهم مؤصدة ، موثقين فى عمد ممددة ، مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص .

و (المقاطر) جمع (مقطرة) بالفتح ، وهى جذع كبير فيه خروق يوضع فيها أرجل المحبوسين من اللصوص ونحوهم (وتقطر) أى يجعل كلٌّ يجنب آخر و (عمد) قرى بضم العين والميم وفتحهما .

قال ابن جرير^(١) : وهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء . ولغتان صحيحتان . والعرب تجمع العمود عُمُداً وَعَمَداً ، بضم الحرفين وفتحهما ، كما تفعل فى جمع إهاب تجمعهُ أَهْباً وَأَهْباً .

تذنيه

قال القاشانى فى بيان آفات رذيلتى الهمز واللمز اللتين نزلت فى وعيدىها السورة ، ما مثاله : الهمز أى الكسر من أعراض الناس واللمز أى الطعن فيهم ، رذيلتان مركبتان من الجهل والغضب والكبر . لأنهما يتضمنان الإيذاء وطلب الترفع على الناس . وصاحبهما يريد أن

(١) انظر الصفحة رقم ٢٩٥ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

يتفضل على الناس ، ولا يجد في نفسه فضيلة يترفع بها . فينسب العيب والذيلة إليهم ، ليظهر فضله عليهم . ولا يشعر أن ذلك عين الذيلة . فهو مخدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتي القوة النطقية والغضبية .

ثم قال : وفي قوله تعالى (وَعَدَّاهُ) إشارة أيضاً إلى الجهل . لأن الذي جعل المال عدة للنوائب ، لا يعلم أن نفس ذلك المال يجر إليه النوائب . لاقتضاء حكمة الله تفريقه في النوائب ، فكيف يدفعها ؟ وكذا في قوله (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) أى لا يشعر أن المقتنيات المخلدة لصاحبها هي العلوم والفضائل النفسانية الباقية ، لا العروض والذخائر الجسدية الفانية . ولكنه مخدوع بطول الأمل ، مغرور بشيطان الوهم عن بغتة الأجل . والحاصل أن الجهل الذي هو رذيلة القوة الملكية ، أصل جميع الرذائل ، ومستلزم لها . فلا جرم أنه يستحق صاحبه المغمور فيها ، العذاب الأبدى المستولى على القلب المبطل لجوهره .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٥ - سُورَةُ الْفِيلِ

مكية ، وآيها خمس .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)

[٢] (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ)

[٣] (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ)

[٤] (تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ)

[٥] (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ)

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ » يعنى الذين قدموا من اليمن يريدون تخريب السكبة من الحبشة ، ورئيسهم أبرهة الحبشى الأشرم . كما سيأتى .

قال أبو السعود : الخطاب لرسول الله ﷺ . والهمزة لتقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام بإنكار عدمها . والرؤية علمية . أى ألم تعلم علما رصيفا متاخما للمشاهدة والعيان ، باستماع الأخبار المتواترة ، ومعاينة الأنار الظاهرة . وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لانبفسه ، بأن يقال ألم تر ما فعل ربك الخ - تهويل الحادثة والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكآل علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام . فإن ذلك من الإرهافات . لما روى أن القصة وقعت فى السنة التى ولد فيها النبى عليه الصلاة والسلام ، كما سنأثره . وقوله تعالى « أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ » بيان إجمالى لما فعل بهم . أى لم يجعل مكرهم وسميهم لتخريب السكبة فى تضليل وإبطال لما حاولوا ، وتدميرهم أشد تدمير .

قال الرازى : اعلم أن الكيد هو إرادة مضرة بالغير على الخفية (إن قيل) لم سماه

كيداً وأمره كان ظاهراً ، فإنه كان يصرح أنه يهدم البيت ؟ (قلنا) نعم لكن الذى كان فى قلبه شر مما أظهر . لأنه كان يضمّر الحسد للعرب ، وكان يريد صرف الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة ، منهم ومن بلدهم ، إلى نفسه وإلى بلدته « وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ » أى طوائف متفرقة ، يتبع بعضها بعضاً من نواح شتى . و(أبابيل) جمع لاواحد له ، على ما حكاه أبو عبيدة والفراء . وزعم أبو جعفر الرؤاسي - وكان ثقة - أنه سمع واحداً منها إبالة بكسر الهمزة وتشديد الموحدة . وهى حزمة الحطب . استعير لجماعة الطير . وحكى الكسائى عن بعض النحويين فى مفرداها (أبول) وعن آخرين (أبيل) سماعاً كما أثره ابن جرير ^(١) . والتشكيك فى (طيرا) إما للتحقير ، فإنه مهما كان أحقر كان صنع الله أعجب وأكبر . أو للتفخيم ، كأنه يقول وأى طير ترمى بحجارة صغيرة فلا تخطئ المقتل . أفاده الرازى .

« تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ » أى من طين متحجر . وروى ابن وهب عن ابن زيد أن المعنى بالسجيل السماء الدنيا لأن اسمها سجيل .

قال ابن جرير ^(٢) : وهذا القول الذى قاله ابن زيد لا نعرف لصحته وجهاً فى خبر ولا عقل ولا لغة . وأسماء الأشياء لا تدرك إلا من لغة سائرة أو خبر من الله تعالى ذكره « فَجَعَلَهُمْ كَصَفِّ مَاءٍ كُولِمٍ » قال ابن جرير ^(٣) : كزراع أكلته الدواب فرائته ، فليس وتفرقت أجزاؤه . شبه تقطع أوصالهم بالعقوبة التى نزلت بهم ، وتفرق آراب أبدانهم بها ، بتفرق أجزاء الروث ، الذى حدث عن أكل الزرع .

قال الشهاب : ولم يذكر الروث لهجنته . فجاء على الآداب القرآنية . وفيه إظهار تشويه حالهم .

- (١) انظر الصفحة رقم ٢٩٦ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .
- (٢) انظر الصفحة رقم ٢٩٩ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .
- (٣) انظر الصفحة رقم ٣٠٤ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

وقال أبو مسلم : (العصف) التين ، لقوله ^(١) (ذُو الْعُصْفِ وَالرَّيْحَانُ ...) لأنه تعصف به الريح عند الذر ، فتفرقه عن الحب وهو إذا كان مأكولاً فقد بطل ولا رجعة له ولا منعة فيه . انتهى .

ومن الوجوه في الآية أن يكون المعنى : كزرع قد أكل حبه وبقى تبنه ، والتقدير كمعصف مأكول الحب . كما يقال فلان حسن أى حسن الوجه . فأجرى (مأكول) على (العصف) من أجل أنه أكل حبه . لأن هذا المعنى معلوم . ومنها أيضاً أن معنى (مأكول) مما يؤكل ، يعنى تأكله الدواب . يقال لسكل ما يصلح للأكل (هو مأكول) والمعنى جعلهم كتبن تأكله الدواب في التفرق والتفتت والهلاك . أشار له الرازي

تنبيهات :

الأول : كان السبب الذي من أجله حلت عقوبة الله تعالى لأصحاب الفيل ، مسير أبرهة الحبشي بجنده مع الفيل إلى بيت الله الحرام لتخريبه . وواقعة الفيل في ذاتها معروفة متواترة الرواية . حتى إنهم جعلوها مبدأ تاريخ يحددون به أوقات الحوادث . فيقولون : ولد عام الفيل وحدث كذا لسنتين بعد عام الفيل ونحو ذلك . وتفصيل نبئنا على ما أثره ابن هشام : أن أبرهة الحبشي كان أمير صنعاء للنجاشي . وكان زاذين في النصرانية . فبنى بصنعاء كنيسة لم ير مثلها في زمانها . ثم كتب للنجاشي : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها الملك كان قبلك . ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب . فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من كفانة فخرج حتى أتى الكنيسة فقعده فيها (أى أحدث فيها) ثم خرج فليحق بأرضه . فأخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقيل : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تخرج العرب إليه بمكة ، لما سمع قولك (أصرف إليها حج العرب) غضب فجاء فقعده فيها . أى أنها ليست لذلك بأهل . فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه . ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت . ثم سار وخرج معه بالفيل .

(٤) [٥٥ / الرحمن / ١٢] .

وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفضموا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هدم
السكبة بيت الله الحرام . فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو
نفر . فدعا قومه ومن أجابه ومن سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما
يريد من هدمه وإخراجه . فأجابه إلى ذلك من أجابه . ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر وأصحابه
وأتى به أسيراً . فلما أراد قتله قال له ذو نفر : أيها الملك ! لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك
خيراً لك من قتلي . فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق . وكان أبرهة رجلاً حليماً . ثم مضى
أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له . حتى إذا كان بأرض خثعم عرض ثقيل بن حبيب
الخثعمي في قبيلي خثعم : شهران وناهس ، ومن تبعه من قبائل العرب . فقاتله فهزمه أبرهة
وأخذ له ثقيل أسيراً . فأتى به . فلما هم بقتله قال له ثقيل : أيها الملك ! لا تقتلني فإني دليلك بأرض
العرب . وهاتان يداي لك على قبيلي خثعم : شهران وناهس ، بالسباع والطاعة . فغلب سبيله وخرج
به معه يده . حتى إذا مر بالطائف خرج له مسعود بن معتب الثقفي في رجاله ثقيف . فقالوا له :
أيها الملك ! إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عقدنا لك خلاف ، وليس يبتنا هذا البيت
الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه .
فتجاوز عنهم - واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم السكبة - فبعثوا معه
أبارغال يده على الطريق إلى مكة . فخرج أبرهة ومعه أبورغال حتى أزاله المغمس . فلما أزاله به
مات أبورغال هنالك : فرأجت قبره العرب . فهو القبر الذي يرمي الناس بالمغمس . فلما نزل
أبرهة المغمس بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مفسود على خيل له حتى انتهى إلى
مكة . فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم . وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب
ابن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها . فهت قريش وكفانة وهذيل ومن كان بذلك
الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به . فتركوا ذلك . وبعث أبرهة حفاطة الحميري إلى مكة
وقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفهم ، ثم قل له : إن الملك يقول لك : إني لم آت
لحربكم . إنما جئت لهدم هذا البيت . فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب ، فلا حاجة لي في دمائكم .

فإن هو لم يرد حربى فأتنى به . فلما دخل حنافة مكة سأل من سيد قريش وشريفها . فقيل له عبد المطلب بن هاشم . فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة . فقال له عبد المطلب : والله ! ما تريد حربه وما لنا بذلك من طاقة . هذا بيت الله الحرام وبيت خليله عليه السلام (أو كما قال) فإن ينعمه منه فهو بيته وحرمة . وأن يخل بينه وبينه ، فوالله ! ما عندنا دفع عنه . فقال له حنافة : فانطلق معى إليه ، فإنه قد أمرنى أن آتية بك . فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر . فسأل عن ذى نقر وكان له صديقا حتى دخل عليه وهو فى محبس . فقال له : ياذا نقر ! هل عندك من غناء فيما نزل ثبا ؟ فقال له ذونقر : وما غناء رجل أسير يبدى ملك ينتظر أن يقتله غدوًا أو عشياً . ما عندى غناء فى شيء مما نزل بك ، إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لى . فسأرسل إليه وأوصيه بك وأعظم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فيكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير ، إن قدر على ذلك . فقال : حسبي . فبعث ذونقر إلى أنيس فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة . يطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رؤوس الجبال . وقد أصاب له الملك مائتى بعير ، فاستأذن له عليه واتقعه عنده بما استطعت . فقال : أفعل . فكلّم أنيس أبرهة فقال له : أيها الملك ! هذا سيد قريش يبابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة ، وهو يطعم الناس فى السهل ، والوحوش فى رؤوس الجبال . فأذن له عليك فليكلمك فى حاجته . قال فأذن له أبرهة . قال : وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجلهم وأعظمهم . فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته . وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه . فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه . ثم قال لترجمانه : قل له : ما حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان . فقال : حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى . فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه : قل له قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى . أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك ، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك ، قد جئت لخدمته لا تكلمنى فيه قال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه . قال : وما كان ليمتنع منى . قال :

أنت وذاك . وكان ، فيما يزعم أهل العلم ، قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة - يعمر بن نفثة سید بنی بكر وخويلد بن وائلة سید هذيل . فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم ، أكان ذلك أم لا . فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له . فلما انصرفوا عنه ، انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب ، تخوفاً عليهم من معرة الجيش . ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب السكبة . وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده . فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب السكبة :

لَا هُمْ إِلَّا عَبْدٌ يَمْنَعُ رَحْلَهُ ، فَاَمْنَعُ خِلَالِكَ
لَا يَغْلِبُنَّ صَلَيبُهُمْ وَمَحَالُهُمْ ، عَدَاؤًا مِجَالِكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبْلَ لَمْتَنَا ، فَأَمْرٌ مَا بَدَأَ لَكَ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب السكبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال ، فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها . فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله وعبي جيشه ، وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نقيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل فأخذ بأذنه . فقال له : ابرك أو ارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام . ثم أرسل أذنه فبرك الفيل . وخرج نقيل يشدد حتى أصعد في الجبل . وضربوا الفيل ليقوم . فصرخوا رأسه ليقوم فأبى . فأدخلوا محاجن لهم في مرقاة فبزغوه بها - أي أدموه - ليقوم فأبى . فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك . ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك . وأرسل الله تعالى طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران في رجليه ، أمثال الحص والعيس ، لاتصيب منهم أحداً إلا هلك . وليس كلهم أصابت . وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي

منه جاءوا . ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق إلى اليمن . فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمته :

أين المفرُّ والإله الطالبُ والأشرمُ المغلوبُ ليس الغالبُ
نخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك . على كل منهل . وأصيب أبرهة في
جسده . وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة . كلما سقطت منه أنملة أتبعها منه مدة تمثُّ - أى
تسيل - قيحاً ودماً . حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر . فمات حتى انصدع
صدره عن قلبه ، فيما يزعمون .

قال ابن إسحق : حدثني يعقوب بن عتبة . أنه حدث أن أول مارؤيت الحصبة والجدرى
بأرض العرب ، ذلك العام .

قال ابن إسحق : فلما بعث الله محمدًا ﷺ ، كان مما يبعث الله على قريش من نعمته عليهم
وفضله ، ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم ، فقال تعالى (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ
رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . . .) السورة .

ثم قال ابن إسحق : فلما ردَّ الله الحبشة عن مكة ، وأصابهم بما أصابهم به من النعمة ،
أعظمت العرب قريشاً وقالوا : أهل الله ؛ قاتل الله عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم . فقالوا في ذلك
أشعاراً يذكر فيها ما صنع الله بالحبشة ، ومارد عن قريش من كيدهم . ثم ساق القصائد في ذلك .
وإنما آثرت في سياقها ما رواه ابن هشام عن ابن إسحق . لأنه أحسن اقتصاصاً وأبلغ
سبكاً ، لإثارته عن صميم العربية روايات نبغاء رجالها ، فرحمه الله ورضى عنه .

التنبيه الثاني : إنما أضيف أمر القصة إلى الفيل ، واشتهرت به ، لاصطحابهم الفيل معهم
للبطش والتخريب . فإنه لو تم لقائديه كيدهم ، لكان الفيل يدهم العاملة وسهمهم النافذ .
وذلك أن جبابرة البلاد التي يوجد فيها الفيل يتخذونه آلة بطش وانتقام . فإذا غضبوا على
محارب وأسروه ، أو وزير وأوثقوه ، أو بلد ونازلوا حصنه - أرسلوا على دار المغضوب عليه أو
حصنه الفيل ، فتنطح برأسه ونابه الصرح فيدكه . وقواعد البنيان فيهدمها . فيكون أمضى من
معاول وفؤوس . وأعظم رعباً ورهبة في النفوس . وربما ألقوا المسخوط عليه بين يديه ، فأعمل فيه

نابه ، ولف عليه خرطومه وشاله ، ومثل به تمثيلاً ، كان أشد بطشاً وتمسكياً . وقد حدثني
بغرائب هذه الفظائع الجاهلية بعض آل ملوك الأفغان لما أقام مدة بالشام .

الثالث : قال القاشاني : قصة أصحاب الفيل مشهورة ، وواقعتهم قريبة من عهد الرسول
ﷺ . وهي إحدى آيات قدرة الله ، وأثر من سخطه على من اجتراً عليه بهتانك حرمة . وإلهام
الطيور والوحوش أقرب من إلهام الإنسان لكون نفوسهم ساذجة . وتأثير الأحجار بخاصية
أودعها الله تعالى فيها ، ليس بمستفكر . ومن اطلع على عالم القدرة ، وكشف له حجاب
الحكمة ، عرف لمة أمثال هذه .

قال : وقد وقع في زماننا مثلها من استيلاء الفار على مدينة أبيورد وإفساد زروعهم
ورجوعها في البرية إلى شط جيحون ، وأخذ كل واحدة منها خشبة من الأيكة التي على شط
نهرها وركوبها عليها وعبورها بها من النهر .

الرابع : قال الإمام الماوردي في (أعلام النبوة) : آيات الملك باهرة ، وشواهد النبوات
قاهرة . تشهد مبادئها بالعواقب فلا يلتبس فيها كذب بصدق . ولا منتحل بمحق . وبحسب
قوتها وانتشارها يكون بشارتها وإنذارها . ولما دنا مولد رسول الله ﷺ تقاطرت آيات نبوته
وظهرت آيات بركته . فكان من أعظمها شأنا . وأظهرها برهانا . وأثمرها عيانا وبيانا .
أصحاب الفيل . أنفذهم النجاشي من أرض الحبشة في جمهور جيشه إلى مكة لقتل رجالها وسبي
ذرائعها وهدم الكعبة . وآية الرسول في قصة الفيل أنه كان في زمانها حملا في بطن أمه بمكة .
لأنه ولد بعد خمسين يوماً من الفيل . فكانت آيته في ذلك من وجهين : أحدهما أنهم لو ظفروا
لسبوا واسترقوا . فأهلكهم الله تعالى لصيانته رسول الله أن يجري عليه السبي حملا ووليدا . والثاني
أنه لم يكن لقريش من التآله ما يستحقون به دفع أصحاب الفيل عنهم . وما هم أهل كتاب لأنهم
كانوا بين عابد صنم أو متدين وثن أو قائل بالزندقة أو مانع من الرحمة . ولكن لما أراد الله تعالى
من ظهور الإسلام تأسيسا للنبوة وتمظيلا للكعبة ، وأن يجعلها قبلة للصلاة ومنسكا للحج .
فإن قيل . فكيف منع عن الكعبة قبل مصيرها قبلة ومنسكا ، ولم يمنع الحجاج من
هدمها وقد صارت قبلة ومنسكا حتى أحرقها ونصب المنجنيق عليها ؟

قيل : فعلُ الحجاج كان بعد استقرار الدين ، فاستغنى عن آيات تأسيسه ، وأصحاب الفيل كانوا قبل ظهور النبوة فجعل المنع منها آية لتأسيس النبوة ووجيء الرسالة . على أن الرسول قد أُنذر بهدمها فصار الهدم آية بعد أن كان المنع آية فلذلك اختلف حكمهما في الحالين والله تعالى أعلم . ولما انتشر في العرب ما صنع الله تعالى بجيش الفيل ، تهيبوا الحرم وأعظموه وزادت حرمة في النفوس ودانت لقريش بالطاعة وقالوا : أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم ، فزادوهم تشريفاً وتمظيلاً ، فصاروا أئمةً ديانين ، وقادة متبوعين . وصار أصحاب الفيل مثلاً في الغابرين . وكان شأن الفيل رادعاً لكل باغ ودافعاً لكل طاغ . وقد عاصر رسول الله ﷺ في زمن نبوته وبعد هجرته ، جماعة شاهدوا الفيل وطير الأبايل . منهم حكيم بن حزام وحاطب ابن عبد العزى ونوفل بن معاوية . لأن كل واحد من هؤلاء عاش مائة وعشرين سنة . منها ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام . انتهى .

الخامس : ورد في كثير من الأحاديث الصحيحة الإشارة إلى نبأ الفيل . روى البخاري ^(١) أن النبي ﷺ لما أظلم يوم الحديبية على الثنية التي تهبط به على قريش ، بركت ناقته فزجروها فألحت فقالوا : خلأت القصواء - أي حرنت - فقال رسول الله ﷺ : ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق . ولكن حبسها حابس الفيل ؛ قال ابن الأثير في (النهاية) : هو فيل أبرهة الحبشي الذي جاء يقصد خراب الكعبة ، فحبس الله الفيل فلم يدخل الحرم . ورد رأسه راجعاً من حيث جاء . يعني أن الله حبس ناقه النبي ﷺ لما وصل إلى الحديبية . فلم تتقدم ولم تدخل الحرم . لأنه أراد أن يدخل مكة بالمسلمين . وفي الصحيحين ^(٢) أيضاً أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة : إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين . وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس . ألا فليبلغ الشاهد الغائب .

(١) أخرجه في : ٥٤ - كتاب الشروط ، ١٥ - باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، حديث ٨٨١ ، ٨٨٢ عن المسور بن مخرمة ومروان . (٢) أخرجه البخاري في : ٣ - كتاب العلم ، ٣٩ - باب كتابة العلم ، حديث رقم ٩٦ عن أبي هريرة . وأخرجه مسلم في : ١٥ - كتاب الحج ، حديث رقم ٤٤٧ ، ٤٤٨ (طبعنا) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٦ - سورة قريش

مكية ، وآيها أربع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (لَا يَلْفُ قَرِيشٍ)

[٢] (إِلَّا لِفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ)

[٣] (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ)

[٤] (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)

« لَا يَلْفُ قَرِيشٌ * إِلَّا لِفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ » قال ابن هشام: إيلاف قريش إلفهم الخروج إلى الشام في تجارتهم. وكانت لهم خرجتان: خرجة في الشتاء وخرجة في الصيف. قال: أخبرني أبو زيد الأنصاري أن العرب تقول: ألفت الشيء إلفاً، وآلفته إيلافاً، في معنى واحد وأنشدني لذي الرمة^(١) :

من المؤلفات الرمل إدماء حرة شعاع الضحى في لونها يتوضح

والإيلاف أيضاً أن يكون للإنسان ألف من الإبل أو البقر أو الغنم أو غير ذلك، ويقال ألف فلان إيلافاً، قال السكيت بن زيد^(٢) :

يعامٍ يقول له المؤلفون ن هذا المعيم لنا المرجل

(١) استشهد به في اللسان (ج ٩ ص ١٠) طبعة بيروت .

شعاع الضحى : بريق لونه . يتوضح : يتبين .

(٢) العيم من العيمة ، وهي الشوق إلى اللبن . والمرجل : الذي تذهب إبله فيمشي على أرجله . يريد أن تلك السنة تجعل صاحب الألف من اللبن ، يعام إلى اللبن ويسعى ماشياً .

والمعيم العام الذى قل فيه اللبن . والإيلاف أيضا أن يصير القوم ألفا ؛ يقال ألف القوم إيلافا . قال السكيت :

وَأَلْ مُزَيَّقِيَاءَ غَدَاةَ لَاقَوْا . بنى سعد بن ضَبَّةَ مُؤَلِّفِينَا

والإيلاف أيضا أن يؤلف الشيء إلى الشيء ، فيألفه ويلزمه . يقال : آلفته إياه إيلافا . والإيلاف أيضا أن تصير ما دون الألف ألفا . يقال : آلفته إيلافا . انتهى . ولورود الإيلاف بهذه المعاني ، ظهر سر إبداله بالمقيد منه بعد إطلاقه . مع ما في الإيهام ، ثم التفسير من التفخيم والتقرير . روى ابن جرير ^(١) عن عكرمة قال : كانت قريش قد ألفوا بصرى واليمن ، يختلفون إلى هذه في الشتاء وإلى تلك في الصيف . وعن ابن زيد قال : كنت لهم رحلتان : الصيف إلى الشام والشتاء إلى اليمن في التجارة . إذا كان الشتاء امتنع الشام منهم لمكان البرد . وكانت رحلتهم في الشتاء إلى اليمن . وعن ابن عباس قال : كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف . والأكثر على الأول . واللام في قوله (لإيلاف) متعلق بقوله تعالى : « فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ » أى فليعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين . ودخلت الفاء ، لما في الكلام من معنى الشرط . إذ المعنى ، أن نعم الله تعالى عليهم غير محصورة . فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة . والبيت هو الكعبة المشرفة « الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ » أى جوع شديد كانوا فيه قبل الرحلتين ذ (من) تعليلية . أى أنعم عليهم وأطعمهم لإزالة الجوع عنهم أو بدلية « وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » أى مما يخاف منه من لم يكن من أهل الحرم من الغارات والحروب والقتال والأمور التي كانت العرب يخاف بعضها من بعض . قال ابن زيد : كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضها بعضا . فأمنوا من ذلك لمكان الحرم وقرأ ^(٢) (أَوْ لَمْ نُمَسِّكْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبِّيْ إِلَيْهِ نَمَرَاتٌ كُلَّ شَيْءٍ) ونظيره أيضا قوله تعالى ^(٣) (أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَمَعْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَتَخَفُّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) .

(١) انظر الصفحة رقم ٣٠٧ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٢٨ / القصص / ٥٧] . (٣) [٢٩ / العنكبوت / ٦٧] .

تنبيه :

زعم بعض الناس أن اللام في (لَا يَلْفٍ) متعلق بما قبله أي فجعلهم كمصف مأكول لإيلاف قريش . قال الشهاب : وعلى هذا لا بد من تأويله . والمعنى : أهلكتهم ولم يسلط على أهل حرمه ليبقوا على ما كانوا عليه . أو أهلكت من قصدتهم ليعتبر الناس ولا يجترأ عليهم أحد ، فيتم لهم الأمن في الإقامة والسفر ، أو هي لام العاقبة . انتهى .

ولا يخفى ما فيه من التكلف . ولذا قال ابن جرير^(١) في رده : وأما القول الذي قاله من حكينا قوله أنه من صلة قوله (فَجَعَلَهُمْ كَمَصْفٍ مَّا كُولٍ) فإن ذلك لو كان كذلك لوجب أن يكون (لَا يَلْفٍ) بعض (أَلَمْ تَرَ) وأن لا تكون سورة منفصلة من (أَلَمْ تَرَ) وفي إجماع جميع المسلمين على أنهما سورتان تامتان ، كل واحدة منهما منفصلة عن الأخرى ، ما يبين عن فساد القول الذي قاله من قال ذلك . ولو كان قوله (لَا يَلْفٍ قُرَيْشٍ) من صلة قوله (فَجَعَلَهُمْ كَمَصْفٍ مَّا كُولٍ) لم تكن (أَلَمْ تَرَ) تامة حتى توصل بقوله (لَا يَلْفٍ قُرَيْشٍ) لأن الكلام لا يتم إلا بانقضاء الخبر الذي ذكر . انتهى .

(١) انظر الصفحة رقم ٣٠٦ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٧ - سُورَةُ الْمَاعُونِ

مدنية ، وآيها سبع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ)

[٢] (فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ)

[٣] (وَلَا يُخْضِ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ)

[٤] (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ)

[٥] (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)

[٦] (الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ)

[٧] (وَيَعْنُونَ الْمَاعُونَ)

« أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ » أى بثواب الله وعقابه ، فلا يطيعه فى أمره ونهيهِ . قال أبو السعود : استفهام أريد به تشويق السامع إلى معرفة من سيق له الكلام والمجيب منه . والخطاب للنبي ﷺ . أو لكل عاقل . والرؤية بمعنى العلم . والفاء فى قوله تعالى « فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ » جواب شرط محذوف ، على أن (ذلك) مبتدأ والموصول خبره . والمعنى : هل عرفت الذى يكذب بالجزاء أو بالإسلام ، إن لم تعرفه أو إن أردت أن تعرفه فهو الذى يدفع اليتيم دفعا غنياً ويجزه زجراً قبيحاً . يقال : دفعت فلاناً عن حقه : دفعت عنه وظلمته « وَلَا يُخْضِ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ » أى لا يحث غيره من ذوى اليسار على إطعام المحتاج وسد خلته . بل ييخل بسعيه عند الأغنياء لإغاثة البؤساء .

قال الشهاب : إن كان الطعام بمعنى الإطعام ، كما قاله الراغب ، فهو ظاهر . وإلا ففيه مضاف مقدر . أى بذل طعام المسكين . واختياره على الإطعام للإشعار بأنه كأنه مالك لما يعطى له

كفى قوله^(١) (فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لَكُمْ مِنَ الْغَنَاءِ * وَالَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ لَا تُؤْتَوْنَ بِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) فهو بيان لشدة الاستحقاق . وفيه إشارة للنهي عن الامتنان : قال أبو السعود : وإذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر ، فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة ؟

قال الزمخشري : جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف . يعنى أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد ، خشى الله تعالى وعقابه ، ولم يقدم على ذلك . فحين أقدم عليه علم أنه مكذب ، فما أشده من كلام ! وما أخوفه من مقام ! وما أبلغه في التحذير من المعصية وإنها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين ، وقوله تعالى «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» قال ابن جرير^(٢) : أى لاهون يتغافلون عنها وذلك باللهوعنها والتشاغل بغيرها . وتضييعها أحياناً وتضييع وقتها أخرى . وقال القاشاني : أى فويل لهم ، أى للوصوفين بهذه الصفات ، من دغ اليتيم وعدم الحث على طعام المسكين . الذين إن صلوا غفلوا عن صلاتهم لاحتجابهم عن حقيقتها بحلمهم وعدم حضورهم . و(المصلين) من باب وضع الظاهر موضع المضمحل للتسجيل عليهم بأن أشرف أفعالهم وظهور حسناتهم سيئات وذنوب ، لعدم ما هي به معتبرة من الحضور والإخلاص ، وأورد على صيغة الجمع لأن المراد بالذى يكذب هو الجنس «الَّذِينَ هُمْ يُرَاهُونَ» أى يراؤون الناس بصلاتهم إذا صلوا لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب ، ولا رهبة من عقاب . وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظفروهم منهم فيكفروا عنهم . وأصل المراءة أن ترى غيرك ويراك . أريد به العمل عند الناس ليثبتوا عليهم . أوضحه الشهاب .

«وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ» أى ما يعان به الخلق ويصرف في معونتهم من الأموال والأمتعة وكل ما ينتفع به ، لسكون الجهل حاكما عليهم بالاستئثار بالمنافع وحرمانهم عن النظر التوجيهي

(١) [٧٠ / المارج / ٢٤ و ٢٥] .

(٢) انظر الصفحة رقم ٣٩٢ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

وعدم اعتقادهم بالجزاء . فلا محبة لهم للحق للركون إلى العالم الفانى ، ولا عدالة فى أنفسهم
للاتصاف بالذائل والبعد عن الفضائل ، فلا يماونون أحدا فلن يفلحوا أبداً . قاله القاشانى .

تنبيه :

المعنى بهذه الآيات أولا وبالذات المنافقون فى عهد النبوة . ويدخل فيها ثانياً وبالعرض ،
كل من وجد فيهم تلك الخلال الذميمة اعتباراً بالعموم . فالسورة مدنية . ونظيرها فى المنافقين
قوله تعالى (١) (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالاً يُرَآؤُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ
اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) ولذا قال ابن عباس فيما رواه ابن جرير (٢) : هم المنافقون ، كانوا يراؤون
الناس بصلاتهم إذا حضروا ، ويتركونها إذا غابوا ، ويمنعونهم العارية بغضاً لهم ،
وهو الماعون .

(١) [٤ / النساء / ١٤٢] .

(٢) انظر الصفحة رقم ٣١٣ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٨ - سُورَةُ الْكَوْثَرِ

مكية ، ويقال مدنية ، وآيها ثلاث .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ)

[٢] (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ)

[٣] (إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)

« إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ » أى الخير الكثير من القرآن والحكمة والنبوة والدين الحق والهدى ومافيه سعادة الدارين . روى ابن جرير^(١) عن أبى بشر قال : سألت سميد بن جبير عن الكوثر ، فقال : هو الخير الكثير الذى آتاه الله إياه . فقلت لسميد : إنا كنا نسمع أنه نهر فى الجنة . فقال : هو من الخير الذى أعطاه الله إياه « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ » قال الإمام : أى فاجعل صلاتك لربك وحده ، وأنحر ذبيحتك مما هو نسك لك لله وحده ، فإنه هو مربيك ومسبغ نعمه عليك دون سواه ، كما قال تعالى^(٢) (قُلْ إِنِّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) « إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » قال ابن جرير^(٣) : أى إن مبعضك يا محمد ، وعدوك ، هو الأبتَر . يعنى الأقل الأذل المنقطع دابره الذى لاعتقب له .

روى ابن إسحق عن يزيد بن رومان قال : كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول : (دعوه فإنه رجل أبتَر لاعتقب له . فإذا هلك انتقطع ذكره) فأنزل الله هذه السورة .

(١) انظر الصفحة رقم ٣٢١ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٦ / الأنعام / ١٦٢ و ١٦٣] .

(٣) انظر الصفحة رقم ٣٢٨ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

وعن عطاء قال : نزلت في أبي لهب . وذلك حين مات ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب أبو لهب إلى المشركين فقال : بتر محمد الليلة . فأنزل الله ، في ذلك ، السورة . وقال شمر بن عطية : نزلت في عقبة بن أبي معيط . قال ابن كثير : والآية تتم جميع من اتصف بذلك ، ممن ذكر وغيرهم .

وقال الإمام : كان المستهزئون من قريش كالعاص بن وائل وعقبة بن أبي معيط وأبي لهب وأمثالهم ، إذا رأوا أبناء النبي ﷺ يقولون : بتر محمد . أي لم يبق له ذكر في أولاده من بعده ، ويعمدون ذلك عيباً يلزونه به وينفرون به الناس من أتباعه وكانوا إذا رأوا ضعف المسلمين وفقرهم وقتلهم يستخفون بهم ويهونون أمرهم ، ويمعدون ذلك مغمراً في الدين . ويأخذون القلة والضعف دليلاً على أن الدين ليس بحق ، ولو كان حقاً لنشأ مع الغنى والقوة ، شأن السفهاء مع الحق في كل زمان أو مكان غلب فيه الجهل . وكان المنافقون إذا رأوا ما فيه المؤمنون من الشدة والبأساء يمنون أنفسهم بقلبة إخوانهم القداماء من الجاحدين . وبنظرون السوء بالمسلمين لقلة عددهم وخلو أيديهم من المال . وكان الضمفاء من حديثي العهد بالإسلام من المؤمنين ، تمرُّ بنفوسهم خواطر السوء عند ما تشتد عليهم حلقات الضيق . فأراد الله سبحانه أن يحص من نفوس هؤلاء ، ويبكت الآخرين ، فأكد الخبر لنبيه ، أن ما يخيلة النظر القصير قليلاً ، هو الكثير البالغ الغاية في الكثرة . ليؤكد له الوعد بأنه هو الفائز ، وأن متبعه هو الظافر ، وأن عدوه هو الخائب ، الأبر الذي يحصى ذكره ويعنى أثره .

تنبيه :

لما روى من سبب نزول هذه السورة مما روينا ، ذهب إمام اللغة ابن جني إلى تأويل الكوثر بالذرية الكثيرة . وهو معنى بديع فيه مناسبة لسبب النزول .

قال ابن جني في (شرح ديوان المتنبي) في قوله يمدح طاهر بن الحسين العلوي :

وأبهرُ آياتِ التهاى أنه أبوك وأجدى مالكم من مناقب

في جملة ما أملاه على أبو الفضل العروضي : أن قريشا وأعداء النبي ﷺ كانوا يقولون :
 إن محمداً أبتراً لآعقب له . فإذا مات استرحنا منه فأُنزل الله تعالى : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)
 أى العدد الكثير، ولست بالأبتري الذي قالوه . ومراده بالعدد الكثير الذرية وهم أولاد فاطمة .
 قال العروضي : فإن قيل : الإنسان بالأبناء والآباء والأمهات . قلنا : هذا خلاف حكم الله تعالى
 فإنه قد قال ^(١) : (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) إلى قوله (وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ) فجعل عيسى
 من أولاد إبراهيم ومن ذريته . ولا خلاف في أنه لم يكن لعيسى أب . انتهى .
 وقد بسطنا أدلة صحة انتساب الأسباط إلى أجدادهم في كتاب (شرف الأسباط) بما لا مزيد
 عليه . فراجع .

(١) [٦ / الأنعام / ٨٤] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٩ - سُورَةُ الْكَافِرُونَ

مكية ، وآيها ست . قال ابن كثير : ثبت في صحيح مسلم ^(١) عن جابر أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة وبـ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) في ركعتي الطواف . وفي صحيح مسلم ^(٢) من حديث أبي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر . وروى الإمام أحمد ^(٣) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد) . وروى الإمام أحمد عن الحارث ابن جبلة قال : قلت : يا رسول الله ! علمني شيئا أقوله عند منامى . قال : إذا أخذت مضجعتك من الليل فاقرأ : قل يا أيها الكافرون ، فإنها براءة من الشرك . وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن . قال في (الباب) : ووجه ذلك أن القرآن مشتمل على الأمر والنهي ، وكل واحد منهما ينقسم إلى ما يتعلق بعمل القلوب وإلى ما يتعلق بعمل الجوارح ، فحصل من ذلك أربعة أقسام . وهذه السورة مشتملة على النهي عن عبادة غير الله تعالى ، وهي من الاعتقاد ، وذلك من أفعال القلوب . فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذا التقسيم . وسيأتى في تفسير الإخلاص سر آخر .

(٢١) هذان الحديثان أملى التنقيب عنهما ولم أعتز عليهما .

(٣) أخرجه بالصفحة رقم ٥٨ من الجزء الثاني (طبعة الحلبي) والحديث رقم ٥٢١٥ (طبعة المعارف) .

(٤) ليس من الصحابة من اسمه الحارث بن جبلة ، كما هنا ، ولكن هذا الحديث أخرجه عن فروة بن نوفل الأشجعي عن أبيه ، بالصفحة رقم ٤٥٦ من الجزء الخامس .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (قُلْ يَتَّخِذُ الْكُفِرُونَ)

[٢] (لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)

[٣] (وَلَا أَتَمُّ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ)

[٤] (وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ)

[٥] (وَلَا أَتَمُّ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ)

[٦] (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)

«قُلْ يَتَّخِذُ الْكُفِرُونَ» أى المشركون الجاحدون للحق، الذى وضعت حجته واتضحته
محجته «لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» أى من الآلهة والأوثان الآن «وَلَا أَتَمُّ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ»
أى الآن «وَلَا أَنَا عَابِدٌ» أى فيما استقبل «مَّا عَبَدْتُمْ» أى فيما مضى «وَلَا أَتَمُّ عَابِدُونَ»
أى فيما تستقبلون أبداً «مَا أَعْبُدُ» أى الآن وفيما استقبل - هكذا فسرہ الإمام ابن جرير (١)
رحمہ اللہ. ثم قال: وإنما قيل ذلك كذلك، لأن الخطاب من الله كان لرسول الله ﷺ في أشخاص
بأعيانهم من المشركين، قد علم أنهم لا يؤمنون أبداً، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه. فأمر
نبيه ﷺ أن يؤيِّسهم من الذين طمعوا فيه وحدثوا به أنفسهم. وإن ذلك غير كائن منه ولا
منهم في وقت من الأوقات. وآيس نبي الله ﷺ من الطمع في إيمانهم، ومن أن يفلحوا أبداً.
فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا. إلى أن قتل بعضهم يوم بدر بالسيف، وهلك بعض قبل
ذلك كافراً. ثم روى رحمہ اللہ عن ابن إسحاق عن سعيد بن مينا قال : لقي الوليد بن المغيرة
(١) انظر الصفحة رقم ٣٣١ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية).

والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمّية بن خلف ، رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد! هلم، فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد، ونشركك في أمرنا كله. فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا، كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه. وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يديك، كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت منه بحظك. فأنزل الله (قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ...) السورة. وفي رواية: وأنزل الله في ذلك هذه السورة، وقوله ^(١) (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) انتهى .

وقيل: الجملتان الأخيرتان لنفي العبادة حالا. كما أن الأوليين لنفيها استقبالا. قال أبو السعود: وإنما لم يقل (ما عبدت) ليوافق (مَا عَبَدْتُمْ) لأنهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الأصنام، وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوماً بعبادة الله تعالى. وإشار (ما) في (مَا عَبَدْتُمْ) على (مَنْ) لأن المراد هو الوصف. كأنه قيل (ما أعبد) من المعبود العظيم الشأن الذي لا يقدر قدر عظمته. وقيل: إن (ما) مصدرية. أى لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى. وقيل: الأوليان بمعنى (الذى) والأخريان مصدريتان. وقيل: قوله تعالى (وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ) تأكيد لقوله تعالى (لَا أَعْبُدُ مَّا تَعْبُدُونَ) وقوله تعالى (وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ) ثانياً تأكيداً لمثله المذكور أولاً. انتهى .

ونقل ابن كثير عن الإمام ابن تيمية؛ أن المراد بقوله (لَا أَعْبُدُ مَّا تَعْبُدُونَ) نفي الفعل، لأنها جملة فعلية (وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ) نفي قبوله لذلك بالسكينة، لأن النفي بالجملة الاسمية أكد، فكأنه نفي الفعل وكونه قابلاً لذلك. ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعى أيضاً. وهو قول حسن .

واختار الإمام كون (ما) في الأوليين موصولة وفيها بعدها مصدرية ، قال: ففاد الجملتين الأوليين الاختلاف التام في المعبود . وفاد الجملتين الأخريين تمام الاختلاف في العبادة. فلا

معبودنا واحد ولا عبادتنا واحدة ، لأن معبودى ذلك الإله الواحد المنزه عن النكد والشفيع ، المتعالى عن الظهور فى شخص معين ، الباسط فضله لكل من أخلص له ، الآخذ قهره بناصية كل من نابذ المبلغين الصادقين عنه . والذى تعبدونه على خلاف ذلك . وعبادتى مخصصة لله وحده ، وعبادتكم مشوبة بالشرك مصحوبة بالغفلة عن الله تعالى ، فلا تسمى على الحقيقة عبادة . فأين هى من عبادتى ؟ وقوله تعالى « لَكُمْ دِينُكُمْ » تقرير لقوله تعالى (لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) وقوله تعالى (وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ) كما أن قوله تعالى « وَلِي دِينِ » تقرير لقوله تعالى (وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ) والمعنى أن دينكم ، الذى هو الإشرāk ، مقصور على الحصول لكم ، لا يتجاوزهُ إلى الحصول لى أيضا ، كما نطمعون فيه . فإن ذلك من المحالات . وأن دينى الذى هو التوحيد ، مقصور على الحصول لى ، لا يتجاوزهُ إلى الحصول لكم ، فلا مشاركة بينه وبين ما أنتم عليه .

تنبيه :

قال ابن كثير استدلل الإمام الشافعى وغيره بهذه الآية الكريمة (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) على أن الكفر كله ملة واحدة فورث اليهود من النصارى وبالعكس ، إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به . لأن الأديان ، ماعدا الإسلام ، كلها كالشئ الواحد فى البطلان . وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم تورث النصارى من اليهود ، وبالعكس . لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) (لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَيْئًا) .

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده بالصفحة رقم ١٧٨ من الجزء الثانى (طبعة الحلبي)

والحديث رقم ٦٦٦٤ (طبعة المعارف) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٠ - سورة النصر

مدنية ، وآياتها ثلاث .

وهي آخر سورة نزلت في رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما . وروى البيهقي عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ قال ، لما نزلت هذه السورة : إنه قد نعت إلى نفسي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

- [١] (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)
 [٢] (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا)
 [٣] (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)

« إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ » أى لدينه الحق على الباطل « وَالْفَتْحُ » أى فتح مكة الذى فتح الله به بينه وبين قومه صلوات الله عليه ، فجعل له الغلبة عليهم وضمف أمرهم فى التمسك بعقائدهم الباطلة « وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا » أى ورأيت الناس من صفوف العرب وقبائلها عند ذلك يدخلون فى دين الله ، وهو دينك الذى جئتهم به لزوال ذلك الغطاء الذى كان يحول بينهم وبينه ، وهو غطاء قوة الباطل فيقبلون عليه أفواجا طوائف وجماعات لا آحادا ، كما كان فى بدء الأمر أيام الشدة . إذا حصل ذلك كله وهو لاريب حاصل « فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ » أى فتنزه ربك عن أن يهمل الحق ويدعه للباطل يأكله . وعن أن يخلف وعده فى تأييده . وليكن هذا التنزيه بواسطة حمده والثناء عليه بأنه القادر الذى لا يقبله غالب ، والحكيم الذى إذا أمهل الكافرين ليمتحن قلوب المؤمنين ، فلن يضيع أجر العاملين ولا يصلح عمل المفسدين . والبصير بما فى قلوب المخلصين والمنافقين ، فلا يذهب عليه رياء المرائين « وَاسْتَغْفِرْهُ » أى اسأله أن يغفر لك ولأصحابك ما كان من القلق والضجر والحزن ، لتأخر زمن النصر والفتح . والاستغفار إنما يكون بالتوبة الخالصة . والتوبة من القلق إنما تكون بتكميل الثقة بوعد الله ، وتغليب هذه الثقة على خواطر النفس التى تحدثها الشدائد ، وهو وإن كان مما يشق على نفوس البشر ، ولكن الله علم أن نفس نبيه ﷺ قد تبلغ ذلك الكمال .

فلذلك أمره به ، وكذلك تقاربه قلوب السكمل من أصحابه وأتباعه عليه السلام . والله يتقبل منهم « إِنَّهُ وَكَانَ تَوَّابًا » (أى إنه سبحانه لا يزال يوصف بأنه كثير القبول للتوبة ، لأنه رب يربى النفوس بالحن . فإذا وجدت الضعف أنهضها إلى طلب القوة ، وشددتهما بحسن الوعد . ولا يزال بها حتى تبلغ السكمل . وهى فى كل منزلة تتوب عن التى قبلها . وهو سبحانه يقبل توبتها فهو التواب الرحيم . وكان الله يقول : إذا حصل الفتح ، وتحقق النصر ، وأقبل الناس على الدين الحق ، فقد ارتفع الخوف وزال موجب الحزن ، فلم يبق إلا تسبيح الله وشكره ، والنزوع إليه عما كان من خواطر النفس . فلن تعود الشدة تأخذ نفوس المخلصين ما داموا على تلك السكثرة فى ذلك الإخلاص . ومن هذا أخذ النبي ﷺ أن الأمر قد تم ولم يبق له إلا أن يسير إلى ربه ، فقال فيما روى عنه : إنه قد نعمت إليه نفسه . هذا ملخص ما أورده الإمام فى تفسيره .

تنبيهات :

الأول - قال ابن كثير : المراد بالفتح ههنا فتح مكة قولاً واحداً . فإن أحياء العرب كانت تلوّم بإسلامها فتح مكة . يقولون إن ظهر على قومه ، فهو نبي . فلما فتح الله عليه مكة ، دخلوا فى دين الله أفواجا ، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً . ولم يبق فى سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام والله الحمد والمنة . وقد روى البخارى فى صحيحه ^(١) عن عمرو ابن سلمة : كنا بماء ممر الناس . وكان يمر بنا الركبان فنسألهم : ما للناس ؟ ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله أوحى إليه (أو أوحى الله بكذا) فكنت أحفظ ذلك الكلام وكأنا نغوى فى صدرى . وكانت العرب تلوّم بإسلامهم الفتح ، فيقولون : أتركوه وقومه . فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق . فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم وبدر أبى قوى بإسلامهم . . الحديث .

(١) أخرجه فى : ٦٤ - كتاب المغازى ، ٥٣ - باب وقال الليث ، حديث رقم ١٩٢٥

الثاني - قال الرازي : إذا حملنا الفتح على فتح مكة ، فلنناس في وقت نزول هذه

السورة قولان :

أحدها - أن فتح مكة كان سنة ثمان . ونزلت هذه السورة سنة عشر . وروى أنه عاش

بعد نزول هذه السورة سبعين يوماً . ولذلك سميت سورة التوديع .

ثانيهما - أن هذه السورة نزلت قبل فتح مكة ، وهو وعد لرسول الله ﷺ أن ينصره على

أهل مكة ، وأن يفتحها عليه . ونظيره ^(١) : (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَنْ لَرَآدُكَ إِلَى

مَعَادٍ) . وقوله : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) يقتضي الاستقبال ، إذ لا يقال فيما وقع (إذا

جاء) و (إذا وقع) وإذا صح هذا القول صارت هذه الآية من جملة المعجزات . من حيث أنه

خبر وجد مخبره بعد حين مطابق له . والإخبار عن الغيب معجزة . انتهى .

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : ولأبي يعلى ، من حديث ابن عمر : نزلت هذه

السورة في أوسط أيام التشريق ، في حجة الوداع . فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنه الوداع .

ثم قال : وسئلت عن قول الكشاف : إن سورة النصر نزلت في حجة الوداع أيام

التشريق ، فكيف صدرت بـ (إذا) الدالة على الاستقبال ؟ فأجبت بضعف ما نقله . وعلى

تقدير صحته ، فالشرط لم يتكمل بالفتح . لأن مجيء الناس أفواجا لم يكن كمل ، فبقية

الشرط مستقبل .

وقد أورد الطيبي السؤال ، وأجاب بجوابين :

أحدها - أن (إذا) قد ترد بمعنى (إذ) كما في قوله تعالى ^(٢) : (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً ..) الآية .

ثانيهما - أن كلام الله قديم . وفي كل من الجوابين نظر لا يخفى . انتهى كلامه .

الثالث - قال الشهاب : المراد بـ (الناس) العرب . فـ (آل) عهدية . أو المراد الاستغراق

(١) [٢٨ / القصص / ٨٥] . (٢) [٦٢ / الجمعة / ١١] .

العرفى . والمراد عبدة الأصنام منهم . لأن نصارى تغلب لم يسلموا فى حياته صلى الله عليه وسلم وأعطوا الجزية .

الرابع - روى البخارى ^(١) عن عائشة رضى الله عنها قالت : ماصلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) إلا يقول فيها : سبحانك ربنا وبمحمدك ، اللهم اغفرلى .

وفيه عنها أيضاً ^(٢) : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبمحمدك ، اللهم اغفرلى ، يتأول القرآن .

قال الحافظ ابن حجر : معنى (يتأول القرآن) يحمل ما أمر به من التسليح والتحميد والاستغفار ، فى أشرف الأوقات والأحوال .

وقال ابن القيم فى (الهدى) كأنه أخذه من قوله تعالى : (وَأَسْتَغْفِرُهُ) لأنه كان يحمل الاستغفار فى خواتم الأمور . فيقول إذا سلم من الصلاة : أستغفر الله ثلاثاً . وإذا خرج من الخلاء قال : غفرانك . وورد الأمر بالاستغفار عند انقضاء المفاesk ^(٣) : (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ . . .) الآية .

(١) أخرجه فى : ٦٥ - كتاب التفسير ، ١١٠ سورة النصر ، ١ - حدثنا الحسن بن الربيع ، حديث رقم ٤٨١ .

(٢) أخرجه فى : ٦٥ - كتاب التفسير ، ١١٠ - سورة النصر ، ٢ - حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حديث رقم ٤٨١ .

(٣) [٢ / البقرة / ١٩٩] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١١ - سورة المسد

ويقال سورة أبي لهب ، مكية وآيها خمس .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)

[٢] (مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ)

[٣] (سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ)

[٤] (وَأُمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ)

[٥] (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)

« تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ » أى خسرت يدها ، وخسر هو . واليدان كناية عن الذات والنفس ، لما بينهما من الزوم فى الجملة ، أو مجاز من باب إطلاق الجزء على الكل . وجملة (وتب) مؤكدة لما قبلها ، أو المراد بالأولى خسارته فيما كسبه وعمله بيديه ، حيث لم يفده ولم ينفعه . وما بعده عبارة عن خسارته فى نفسه وذاته ؛ لأن سعى المرء لإصلاح نفسه وعمله . فأخبر بأن محروم منهما ، كما تشير له الآيتان بعد : أعنى هلاك عمله وهلاك نفسه . وقال ابن جرير^(١) : كان بعض أهل العربية يقول قوله : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) دعاء عليه من الله . وأما قوله : (وَتَبَّ) فإنه خبر . أى عما سيحقق له فى الدنيا والآخرة . وعبر عنه بالماضى لتحققه .

وأولهب أحد عمومة النبي صلى الله عليه وسلم ، واسمه عبد المزى . وقد اشتهر بكنيته وعرف بها لولده له يقال له لب . أو لتلب وجنتيه وإشراقهما . مع الإشارة إلى أنه من أهل النار ، وأن ماله إلى نار ذات لب . فوافقت حاله كنيته ، فحسن ذكره بها .

(١) انظر الصفحة رقم ٣٣٦ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

قال الرواة : كان أبو لهب من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ . وأذية له وبغضة له وازدراء به وتنقصا له ولدعوته . ومات على كفره بعد وقعة بدر ولم يحضرها . بل أرسل عنه بديلا . فلما بلغه ما جرى لقريش مات غما - وقد روى الشيخان ^(١) عن ابن عباس قال : لما نزلت ^(٢) (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صعد النبي ﷺ على الصفا ونادى : يا بني قهر ! يا بني عدى ! (لبطن من قريش) حتى اجتمعوا . فجعل الرجل إذا لم يستطع أرسل رسولا ، لينظر ما هو . فجاء أبو لهب وقريش فقال : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدق ؟ قالوا : نعم . ما جربنا عليك إلا صدقا . قال : فإني لكم نذير بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبألك سائر اليوم . ألهذا جمعتمنا ؟ فنزلت هذه السورة . وروى الإمام أحمد ^(٣) عن ربيعة بن عباد الديلي قال : رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي الحجاز وهو يقول : يا أيها الناس ! قولوا : لا إله إلا الله ، تفاحوا . والفاس مجتمعون عليه . ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ، ذو غديرتين ، يقول : إنه صابئ كاذب . يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب . وفي رواية له : يتبعه من خلفه يقول : يا بني فلان ! هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة . فلا تسمعوا له ولا تتبعوه . « مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ » أي أي شيء أغنى عنه ماله وما كسبه من سخط الله عليه وخسرانه . فكسبه هو عمله الذي يظن أنه منه على شيء . وقيل : ولده . لقرن الأولاد بالأموال في كثير من الآيات . وكانت العرب تمد أولادها للنائبات كالأموال ، ففنى إغناءها عنه حين حل به التباب .

(١) أخرجه البخاري في : ٦٥ - كتاب التفسير ، ١١١ - سورة المسد ، - حدثنا

يوسف بن موسى ، حديث رقم ٧٣٩ .

وأخرجه مسلم في : ١ - كتاب الإيمان ، حديث رقم ٣٥٥ (طبعنا) .

(٢) [٢٦ / الشعراء / ٢١٤] . (٣) أخرجه بالصفحة رقم ٣٤١ من الجزء الرابع .

قال الشهاب : والذي صححه أهل الأثر أن أولاده ، لعنه الله ، ثلاثة : معتب وعقبة
وهما أسما . وعتيبة (مضغراً) وهذا هو الذي دعا النبي ﷺ لما جاهر بإيذائه وعداوته ،
ورد ابنته وطلقها . وقال صلوات الله عليه وسلامه : اللهم سلط عليه كلباً من كلابك .
فأكله السبع في خرجة خرجها إلى الشام . وفيه يقول حسان^(١) رضى الله عنه :

من يرجعُ العامَ إلى أهله فأكيلُ السَّبعِ بالراجعِ

ثم قال . ولهب هو أحد هؤلاء فيما قيل ، قال الثعالبي : ومنه يعلم أن الأسد يطلق عليه
كلب . ولما أضيف إلى الله ، كان أعظم أفراد « سَيَّصَلِيْ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ » أى توقد
واشتعال ، وهى نار الآخرة ، جزاء ما كان يأتيه من مقاومة الحق ومجاذمته « وَأَمْرَأَتُهُ
حَمَّالَةَ الْخَطْبِ » أى وسيصلها معه امرأته أيضاً : فد (امرأته) مرفوع عطفاً على الضمير
فى (سيصلى) أو على الابتداء ، و (فى جيدها) الخبر . وقرئ (حمالة) بالنصب على الشتم
والذم ، وبالرفع نعتاً أو بدلاً أو عطف بيان . إنما قيل لها ذلك لأنها كانت تحطب الكلام
وتعشى بالنميمة . كما قاله مجاهد وعكرمة وقتادة .

قال الزمخشري : ويقال للنساء بالنمائم المفسد بين الناس ، يحمل الحطب بينهم ، أى يوقد
بينهم ويورث الشر ، قال^(٢) :

من البيض لم تُصْطَدْ على ظهر لامة ولمْ تَعْشِ بين الحى بالخطبِ الرطبِ

يمدحها بأنها من البيض الوجوه وأنها بريئة من أن تُصْطَادَ على سوء ولؤم فيها . ومن
أن عشى بالسعاية والنميمة بين الناس . وإنما جعل رطباً ليدل على التدخين الذى هو زيادة
الشر . ويقال : فلان يحطب على فلان ، إذا أغرى به .

(١) لم أعر عليه فى ديوان حسان ، فى طبعتيه .

(٢) استشهد به فى الكشف فى تفسير السورة .

واستشهد به فى اللسان بالمجلد الأول بالصفحة رقم ٣٢٢ (طبعة بيروت) .

وقال : يعنى بالحطب الرطب ، النميمة .

قال الشهاب : وهى استعارة مشهورة لطيفة ، كاستعارة حطب جهنم للأوزار .
قال ابن كثير : وكانت زوجته من سادات نساء قريش ، وهى أم جميل ، واسمها (أروى)
بنت حرب بن أمية . وهى أخت أبى سفيان وعمه معاوية . وكانت عوناً لزوجها على كفره
وجحوده وعناده « فى جِديها حَبْلٌ مِّن مَّسَدِم » قال الإمام رحمه الله : أى فى عنقها حبل
من الليف . أى أنها فى تكليف نفسها المشقة الفادحة ، للإفساد بين الناس وتأريث نيران
العداوة بينهم ، بمنزلة حامل الحطب الذى فى عنقه حبل خشن ، يشد به ما حمله إلى عنقه ،
حتى يستقل به . وهذه أشنع صورة تظهر بها امرأة تحمل الحطب ، وفى عنقها حبل من
الليف ، تشد به الحطب إلى كاهلها ، حتى تكاد تحترق به .

وقال أيضاً : قد أنزل الله فى ابن لهب وفى زوجته هذه السورة ، ليكون مثلاً يعتبر به من
يمادى ما أنزل الله على نبيه ، مطاوعة لهواه وإيثارا لما ألفه من العقائد والعوائد والأعمال ،
واغتراراً بما عنده من الأموال ، وبما له من الصولة أو من المنزلة فى قلوب الرجال ، وأنه لا تغنى
عنه أمواله ولا أعماله شيئاً . وسيصلى ما يصلى . نسأل الله العافية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٢ - سورة الإخلاص

مكية ، وآيها أربع . روى البخاري^(١) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية . وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم : (قل هو الله أحد) . فلما رجعواذكروا ذلك للنبي ﷺ ، فقال : سلوه لأى شيء يصنع ذلك . فسألوه . فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي ﷺ : أخبروه أن الله تعالى يحبّه .

وروى الإمام أحمد^(٢) عن أبى مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن . وأخرجه البخاري في قصة . وروى الإمام أحمد^(٣) عن أبى ابن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ : يا محمد ! انسب لنا ربك . فأنزل الله تعالى هذه السورة .

- (١) أخرجه فى : ٩٧ - كتاب التوحيد ، ١ - باب ما جاء فى دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، حديث رقم ٢٥٩٦ .
- (٢) أخرجه بالصفحة رقم ١٢٢ من الجزء الرابع .
- (٣) أخرجه عن أبى سعيد الخدرى فى : ٩٧ - كتاب التوحيد ، ١ - باب ما جاء فى دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، حديث رقم ٢٠٨١ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)

[٢] (اللَّهُ الصَّمَدُ)

[٣] (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)

[٤] (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)

« قُلْ هُوَ » أى الخبر الحق المؤيد بالبرهان الذى لا يرتاب فيه ، وهو ما يعبر عنه النحويون بالقصة أو الحديث أو الشأن . قال أبو السعود : ومدار وضعه موضعه ، مع عدم سبق ذكره ، الإيذان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد ، وإليه يشير كل مشير ، وإليه يعود كل ضمير « اللَّهُ أَحَدٌ » أى واحد فى الألوهية والربوبية . قال الزمخشري : (أَحَدٌ) بمعنى واحد . وقال ابن الأثير : (الأحد) فى أسمائه تعالى ، الفرد الذى لم يزل وحده ولم يكن معه آخر . والهمزة فيه بدل من الواو . وأصله (وحد) لأنه من الوحدة . وفى (المصباح) : يكون (أحد) مرادفاً (لواحد) فى موضعين سماعاً :

أحدهما - وصف اسم البارئ تعالى فيقال هو الواحد وهو الأحد ، لاختصاصه بالأحادية . فلا يشركه فيها غيره . ولهذا لا ينعت به غير الله تعالى . فلا يقال (رجل أحد) ولا (درهم أحد) ونحو ذلك .

والموضع الثانى - أسماء العدد للغلبة وكثرة الاستعمال . فيقال أحد وعشرون ، وواحد وعشرون . وفى غير هذين يقع الفرق بينهما فى الاستعمال ، بأن (الأحد) لثنى ما يذكر معه ، فلا يستعمل إلا فى الجحد ، لما فيه من العموم ، نحو ما قام أحد . أو مضافاً نحو (ما قام أحد الثلاثة) . و (الواحد) اسم لمفتتح العدد . ويستعمل فى الإثبات ، مضافاً وغير مضاف . فيقال (جاءنى واحد من القوم) . انتهى .

وقال الأزهري : الواحد من صفات الله تعالى ، معناه أنه لا ثاني له . ويجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد . فأما (أحد) فلا ينعت به غير الله تعالى ، لخصوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه .

قال الإمام : ونسّر الخبر لأن المقصود أن يخبر عن الله بأنه واحد ، لا بأنه لا واحد سواء . فإن الوحدة تسكون لسكل واحد . تقول (لا أحد في الدار) بمعنى لا واحد من الناس فيها . والذي كان يزعمه المخاطبون هو التعمد في ذاته . فأراد نفي ذلك بأنه أحد . وهو تقرير لخلاف ما يعتقد به أهل الأصلين من المجوس ، وما يعتقده القائلون بالثلاثة ، منهم ومن غيرهم . وسيأتي لابن تيمية كلام آخر في سر إثاره بالتنكير « اللَّهُ الصَّمَدُ » أي الذي يصمد إليه في الحوائج ، ويقصد إليه في الرغائب . إذ ينتهي إليه منتهى السؤدد ، قاله الغزالي في (المقصد الأسنى) . وهكذا قال ابن جرير ^(١) : الصمد عند العرب هو السيد الذي يصمد إليه ، الذي لا أحد فوقه ، وكذلك تسمى أشرافها . ومنه قول الشاعر ^(٢) :

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ بَعْمَرِ بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ
قال الشهاب : فهو (فَعَل) بمعنى مفعول . وصمد بمعنى قصد . فيتعبدى بنفسه وباللام وإلى . وقال ابن تيمية رحمه الله : وفي الصمد للسلف أقوال متعددة ، قد يظن أنها مختلفة وليست كذلك بل كلها صواب . والمشهور منها قولان :

أحدهما - أن الصمد هو الذي لا جوف له .

والثاني - أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج .

والأول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة .

والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين .

(٢) انظر الصفحة رقم ٣٤٧ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) استشهد به في اللسان بالصفحة رقم ٢٥٨ من المجلد الثالث (طبعة بيروت) .

ثم توسع رحمه الله في مأخذ ذلك واشتقاقه والمأثور فيه ، إلى أن قال :
 وإنما أدخل اللام في (الصمد) ولم يدخلها في (أحد) لأنه ليس في الموجودات ما يسمى
 أحداً في الإثبات مفرداً غير مضاف . ولم يوصف به شيء من الأعيان إلا الله وحده . وإنما
 يستعمل في غير الله في النفي وفي الإضافة وفي العدد المطلق . وأما اسم الصمد فقد استعمله
 أهل اللغة في حق المخلوقين ، كما تقدم ، فلم يقل صمد بل قال (اللَّهُ الصَّمَدُ) فبين أنه المستحق
 لأن يكون هو الصمد دون ماسواه . فإنه المستوجب لغايته على الكمال . والمخلوق ، وإن كان
 صمداً من بعض الوجوه ، فإن حقيقة الصمدية منتفية عنه . فإنه يقبل التفرق والتجزئة . وهو
 أيضاً محتاج إلى غيره . فإن كل ما سوى الله محتاج إليه من كل وجه ، فليس أحد يصمد إليه
 كل شيء ولا يصمد هو إلى شيء ، إلا الله . وليس في المخلوقات إلا ما يقبل أن يتجزأ ويتفرق
 وينقسم وينفصل بفضله من بعض . والله سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من
 ذلك ، بل حقيقة الصمدية وكماله وحده واجبة لازمة ، لا يمكن عدم صمديته بوجه من
 الوجوه ، كما لا يمكن ثنوية أحديته بوجه من الوجوه .

وقال أبو السعود . وتكرير الاسم الجليل للإشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل
 من استحقاق الألوهية . وتعمية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى . بين أولاً ألوهيته
 عز وجل المستتبعة لكافة نموت الكمال ، ثم أحديته الموجبة تنزهه عن شائبة التعدد والتركيب
 بوجه من الوجوه ، وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها . ثم صمديته المقتضية لاستغفائه الذاتي
 عما سواه ، وافتقار جميع المخلوقات إليه ، في وجودها وبقائها وسائر أحوالها ، تحقيقاً للحق ،
 وإرشاداً لهم إلى سننه الواضح . ثم صرح ببعض ما يندرج فيما تقدم ، بقوله سبحانه «لَمْ يَلِدْ»
 تنصيهاً على إبطال زعم المفسرين في حق الملائكة والمسيح . ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي .
 أي لم يصدر عنه ولد ، لأنه لا يجانس شيء ليمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا .
 كما نطق به قوله تعالى ^(١) (أَنْتَ أَوَّلُ يَسْكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ وَصِيَّةً) ولا يفهم إلى

(١) [٦/ الأنعام/ ١٠١] .

ما يمينه أو يخلفه ، لا ستحالة الحاجة والفناء عليه ، سبحانه . انتهى .

وقال ابن تيمية . وقد شمل ما أخبر به سبحانه من تنزيهه وتقديسه عما أضافوه إليه من الولادة ، كل أفرادها . سواء سموها حسية أو عقلية ، كما تزعمه الفلاسفة الصابئون من تولد العقول العشرة والنفوس الفلسكية التسعة التي هم مضطربون فيها ، هل هي جواهر أو أعراض ؟ وقد يجعلون العقول بمنزلة الذكور والنفوس بمنزلة الإناث ، ويجعلون ذلك آباءهم وأمهاتهم وآلهتهم وأربابهم القريبة . وذلك شبيه بقول مشركي العرب وغيرهم ، الذين جعلوا له بنين وبنات ، قال تعالى ^(١) (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ وَبَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ) وقال تعالى ^(٢) (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) وكانوا يقولون : الملائكة بنات الله . كما يزعم هؤلاء أن النفوس هي الملائكة ، وهي متولدة عن الله ، فقال تعالى ^(٣) (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) والآيات في هذا كثيرة .

وقوله « وَلَمْ يُولَدْ » نفى لإحاطة النسب من جميع الجهات . فهو الأول الذي لم يتقدمه والد كان منه ، وهو الآخر الذي لم يتأخر عنه ولد يكون عنه . قال الإمام : قوله (وَلَمْ يُولَدْ) يصرح ببطلان ما يزعمه بعض أرباب الأديان من أن ابنا لله يكون إلها ، ويعبد عبادة الإله ، ويقصد فيما يقصد فيه الإله . بل لا يستحي الغالون منهم أن يعبروا عن والدته بأم الإله القادرة ، فإن المولود حادث ولا يكون إلا بمزاج ، وهو لا يسلم من عاقبة الفناء ، ودعوى أنه أزل مع أبيه ، مما لا يمكن تعقله . فهو سبحانه منزّه عن ذلك « وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَكُفُّوا أَعْدَاءُ » أى ولم يكن أحد يكافئه أى يماثله من صاحبة أو غيرها . وقال الإمام : الكفو معناه المكافئ والمماثل في العمل والقدرة . وهو نفى لما يعتقد به بعض الوثنيين في الشيطان مثلاً . فقد نفى بهذه السورة

(١) [٦ / الأنعام / ١٠٠] . (٢) [٣٧ / الصافات / ١٥١ ، ١٥٢] .

(٣) [١٦ / النحل / ٥٧] .

جميع أنواع الإشراك . وقرر جميع أصول التوحيد والتنزيه . وقال ابن جرير^(١) : الكفو والسكنى والكفاء ، فى كلام العرب ، واحد . وهو المثل والشبه .
وقرىء (كُفُوا) بضم الكاف والفاء وقلب الهمزة واوا . وقرئ بتسكين الفاء وهزها ، وهما قراءتان معروفتان ، واغتان مشهورتان . و (له) صلة (كفوا) قدمت عليه ، مع أن حقها التأخر عنه ، للاهتمام بها ، لأن المقصود نفي الكفاة عن ذاته تعالى . وأما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل .

(فوائد من هذه السورة)

الأولى - قال الشهاب : فإن قلت المأمور بـ (قل) من شأنه إذا امتثل أن يتلفظ بالمقول وحده ، فلم كانت (قل) من المتلوة فيه وفى نظائره فى القراءة ؟ قلت : المأمور به سواء كان معينا أم لا ، مأمور بالإقرار بالمقول . فأثبت القول ليدل على إيجاب مقوله ولزوم الإقرار به على مرّ الدهور .

الثانية - قال الإمام ابن تيمية : احتج بقوله تعالى (اللَّهُ الصَّمَدُ) من أهل الكلام المحدث من يقول الرب تعالى جسم ، كبعض الذين وافقوا هشام بن الحكم ومحمد بن كرام وغيرهما . قالوا : هو صمد ، والصمد الذى لا جوف له . وهذا إنما يكون فى الأجسام المصمتة ، فإنها لا جوف لها ، كما فى الجبال والصخور وما يصنع من عواميد الحجارة . ولهذا قيل فى تفسيره إنه الذى لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه شيء ولا يأكل ولا يشرب . ونفى هذا لا يعقل إلا عما هو جسم . وقالوا : أصل الصمد : الاجتماع . ومنه تصميم المال ، وهذا إنما يعقل فى الجسم المجتمع . وأما النفاة فقالوا : الصمد الذى لا يجوز عليه التفرق والانقسام . وكل جسم فى العالم يجوز عليه التفرق والانقسام . وقالوا أيضا : الأحد الذى لا يقبل التجزؤ والانقسام . وكل جسم فى العالم يجوز عليه التفرق والتجزؤ والانقسام . وقالوا : إذا قلتم هو جسم كان مركبا مؤلفا

(١) انظر الصفحة رقم ٣٤٨ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة . وما كان مركباً مؤلفاً من غيره كان مفقراً إليه ، وهو سبحانه صمد . والصمد الغنى عما سواه ، فالركب لا يكون صمداً . انتهى .

وقال الرازى : قد استدل قوم من جهال المشبهة بهذه الآية في أنه تعالى جسم ، وهذا باطل لأننا بينا أن كونه أحداً ينافى كونه جسماً . فقدمة هذه الآية دالة على أنه لا يمكن أن يكون المراد من الصمد هذا المعنى ، ولأن الصمد بهذا التفسير صفة الأجسام المتضاغطة . وتعالى الله عن ذلك . فإذاً يجب أن يحمل ذلك على مجازه . وذلك لأن الجسم الذى يكون كذلك ، يكون عديم الانفعال والتأثر عن الغير . وذلك إشارة إلى كونه سبحانه واجباً لذاته ، ممتنع التغير في وجوده وبقائه وجميع صفاته . انتهى .

وأقول : الصحيح في تأويل الصمد ما ذكرناه أولاً . وهو ما حكاه ابن جرير وغيره عن العرب في معناه . وإذا تحقق هذا ، فلا يعول على هذا الثانى ولا لوازمه .

الثالثة - قال ابن تيمية : كما يجب تنزيه الرب عن كل نقص وعيب ، يجب تنزيهه عن أن يماثله شئ من المخلوقات . في شئ من صفات السكال الثابتة له . وهذان النوعان يجمعان التنزيه الواجب لله . وهذه السورة دلت على النوعين . فقوله (أحد) من قوله (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَكُفْواً أَحَدٌ) ينفي المماثلة والمشاركة . وقوله (صمد) يتضمن جميع صفات السكال . فالنقائص جنسها منقضى عن الله تعالى . وكل ما اختص به المخلوق فهو من النقائص التى يجب تنزيه الرب عنها . بخلاف ما يوصف به الرب . ويوصف العبد بما يليق به مثل العلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك . فإن هذه ليست نقائص بل ما ثبت لله من هذه المعانى ، فإنه ثبت لله على وجه لا يقاربه فيه أحد من المخلوقات ، فضلاً عن أن يماثله فيه . بل ما خلقه الله في الجنة من المأكول والمشرب والملابس لا يماثل ما خلقه في الدنيا وإن اتفقا في الاسم ، وكلاهما مخلوق . فالخالق تعالى أبعد في مماثلة المخلوقات من المخلوقات إلى المخلوق . وقد سمي الله نفسه علماً حليماً رؤوفاً رحيماً بصيراً عزيزاً ملكاً جباراً متكبراً ، وسمى أيضاً بعض مخلوقاته بهذه الأسماء . مع العلم أنه ليس المسمى بهذه الأسماء من المخلوقين مماثلاً للخالق جل جلاله في شئ من الأشياء .

الرابعة - قدمنا ما ورد في الحديث من أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن .
وقد ذكروا في ذلك وجوهاً - منها ما قاله أبو العباس بن سريج : أن القرآن أنزل على ثلاثة أقسام . ثلث منها الأحكام ، وثلث منها وعد ووعيد ، وثلث منها الأسماء والصفات .
وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات .

وقال الغزالي في (جواهر القرآن) : مهمات القرآن هي معرفة الله ومعرفة الآخرة ومعرفة الصراط المستقيم . فهذه المعارف الثلاثة هي المهمة . والباقي توابع . وسورة الإخلاص تشتمل على واحدة من الثلاث ، وهي معرفة الله وتقديسه وتوحيده عن مشارك في الجنس والنوع . وهو المراد بنفي الأصل والفرع والكفو .

قال : والوصف بالصمد يشعر بأنه السيد الذي لا يقصد في الوجود للحوائج سواء .
نعم ، ليس فيها حديث الآخرة والصراط المستقيم . فلذلك تعدل ثلث القرآن أي ثلث الأصول من القرآن كما قال (الحج عرفة) أي هو الأصل والباقي تبع .

وقال ابن القيم في (زاد المعاد) : كان النبي ﷺ يقرأ في سنة الفجر والوتر بسورتي الإخلاص والكافرون . وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل ، وتوحيد المعرفة والإرادة ، وتوحيد الاعتقاد والقصد . فسورة الإخلاص متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة ، وما يجب إثباته للرب تعالى من الأحدية المنافية لمطلق الشراكة بوجه من الوجوه . والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه . ونفي الولد والوالد الذي هو من لازم الصمدية وغناه وأحديته . ونفي الكفو المتضمن لنفي التشبيه والتثميل والتنظير : فتضمنت هذه السورة إثبات كل كمال له ، ونفي كل نقص عنه ، ونفي إثبات شبيه أو مثل له في كاله ونفي مطلق الشريك عنه . وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك . ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن . فإن القرآن مداره على الخبر والإنشاء . والإنشاء ثلاثة : أمر ، ونهي ، وإباحة . والخبر نوعان : خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه ، وخبر عن خلقه - فأخلصت سورة الإخلاص الخبر عنه

وعن أسمائه وصفاته فعدلت ثلث القرآن . وخلصت قارئها المؤمن من الشرك العلمى . كخلصت سورة قل يا أيها الكافرون من الشرك العلمى الإرادى القصدى . ولما كان العلم قبل العمل وهو إمامه وقائده وسائقه والحاكم عليه ومنزله منازلته ، كانت سورة (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تعدل ثلث القرآن ، والأحاديث بذلك تكاد تبلغ مبلغ التواتر . و (قُلْ يَسَاءُ مَا يَكْفُرُونَ) تعدل ربع القرآن ، وفى الترمذى ^(١) : من رواية ابن عباس رضى الله عنهما ، يرفعه : (إِذَا زُلْزِلَتْ) تعدل نصف القرآن و (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تعدل ثلث القرآن و (قُلْ يَسَاءُ مَا يَكْفُرُونَ) تعدل أربع القرآن . رواه الحاكم فى المستدرک ، وقال : صحيح الإسناد .

ولما كان الشرك العلمى الإرادى أغلب على النفوس لأجل متابعتها هواها ، وكثير منها ترتكبه مع علمها بمضرته وبطلانه ، لما لها فيه من نيل الأغراض . وإزالته وقلعه منها أصعب وأشد من قلع الشرك العلمى وإزالته . لأن هذا يزول بالعلم والحجة ولا يمكن صاحبه أن يعلم الشيء على غير ماهو عليه ، بخلاف شرك الإرادة والقصد ، فإن صاحبه يرتكب مايدله العلم على بطلانه وضرره لأجل غلبة هواه واستيلاء سلطان الشهوة والغضب على نفسه . فجاء من التأكيد والتكرار فى سورة (قُلْ يَسَاءُ مَا يَكْفُرُونَ) المتضمنة لإزالة الشرك العلمى ما لم يجئ مثله فى سورة (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) .

ولما كان القرآن شطرين : شطراً فى الدنيا وأحكامها ومتعلقاتها والأمور الواقعة فيها من أفعال المكلفين وغيرها . وشطراً فى الآخرة ومايقع فيها . وكانت سورة (إِذَا زُلْزِلَتْ) قد أخلصت من أولها وآخرها لهذا الشطر ، فلم يذكر فيها إلا الآخرة ، وما يكون فيها من أحوال الأرض وسكانها ، كانت تعدل نصف القرآن . فأحرز بهذا الحديث أن يكون صحيحاً . والله أعلم .

(١) أخرجه فى : ٤٢ - كتاب ثواب القرآن ، ١٠ - باب ما جاء فى إذا زلزلت .

الخامسة - قال ابن تيمية : سورة (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) أكثرهم على أنها مكية . وقد ذكر في أسباب نزولها سؤال المشركين بمكة ، وسؤال الكفار من أهل الكتاب اليهود بالمدينة . ولا منافاة . فإن الله أنزلها بمكة أولاً . ثم لما سئل نحو ذلك أنزلها مرة أخرى . وهذا مما ذكر طائفة من العلماء . وقالوا : إن الآية أو السورة قد تنزل مرتين وأكثر من ذلك . فما يذكر من أسباب النزول المتعددة قد يكون جميعه حقاً . والمراد بذلك أنه إذا حدث سبب يناسبها ، نزل جبريل فقرأها عليه ، ليعلمه أنها تتضمن جواب ذلك السبب . وإن كان الرسول يحفظها قبل ذلك . انتهى .

وقد تقدم في مقدمة هذا التفسير ، ومواضع آخر منه ، تحقيق البحث في معنى سبب النزول ، بما يدفع المناقاة في أمثال هذا . فراجعه . ولهذه السورة الشريفة تفاسير على حدة . من أمثلها كتابان لشيخ الإسلام ابن تيمية : أحدهما في تفسيرها ، والثاني في سر كونها تعدل ثلث القرآن . فاحتفظ بهما . والله الهادي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٣ - سُورَةُ الْفَلَقِ

مكية ، وآيها خمس : روى الإمام مسلم^(١) عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال :
ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة ، لم ير مثلهن قط : قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الفاس .
وروى الإمام أحمد^(٢) وأبو داود والترمذي والنسائي عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ
صلى بهما في سفر .

(١) أخرجه في : ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، حديث رقم ٢٦٤ (طبعنا) .

(٢) أخرجه بالصفحة رقم ١٤٤ من الجزء الرابع (طبعة الحلبي) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)

[٢] (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ)

[٣] (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ)

[٤] (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ)

[٥] (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)

« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » أى ألوذ به وألتجئ إليه . والفلق فَعَلٌ بمعنى المفعول . كقَصَصَ بمعنى مقصوص . قال ابن تيمية : كل ما فلقه الرب فهو فلق . قال الحسن : الفلق كل ما انفلق عن شيء كالصبح والحب والنوى . قال الزجاج : وإذا تأملت الخلق بَانَ لك أن أكثره عن انفلاق . كالأرض بالنبات والسحاب بالمطر . وقد قال كثير من المفسرين : الفلق الصبح . فإنه يقال : هذا أبيض من فلق الصبح وفرق الصبح .

وقال بعضهم : الفلق الخلق كله . وأما من قال إنه واد في جهنم أو شجرة في جهنم أو أنه اسم من أسماء جهنم ، فهذا أمر لا نعرف صحته . لا بدلالة الاسم عليه ، ولا بنقل عن النبي ﷺ ، ولا في تخصيص ربوبيته بذلك حكمة . بخلاف ما إذا قال : رب الخلق أو رب كل ما انفلق أو رب النور الذى يظهره على العباد بالنهار . فإن في تخصيصه هذا بالذكر ، ما يظهر به عظمة الرب المستعاذ به . انتهى .

وقوله تعالى « مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ » أى من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم ، كائناً ما كان من ذوات الطباع والاختيار . وقوله سبحانه « وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ » قال أبو السعود :

تخصيص لبعض الشرور بالذكر، مع اندراجہ فیما قبلہ لزيادة مساس الحاجة إلى الاستعاذة منه، لكثرة وقوعه . ولأن تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة ، وأدعى إلى الإعاذة . وقال الإمام ابن تیمیة : وإذا قيل الفلق نعم ويخص ، فبعمومه استعین من شر ما خلق ، وبخصوصه للنور النهاری استعین من شر غاسق إذا وقب . فإن الغاسق قد فسر بالليل كقوله (١) (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) وهذا قول أكثر المفسرين وأهل اللغة . قالوا : ومعنى (وَقَبَ) دخل في كل شيء . قال الزجاج : الغاسق البارد . وقيل ليل غاسق ، لأنه أبرد من النهار . وقد روى الترمذی (٢) والنسائی عن عائشة أن النبي ﷺ نظر إلى القمر فقال : يا عائشة ! تعوذى بالله من شره ، فإنه الغاسق إذا وقب . وروى من حديث أبي هريرة مرفوعاً : الغاسق النجم . وقال ابن زيد : هو الثريا . وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها . وهذا المرفوع قد ظن بعض الناس منافاته لمن فسره بالليل فجعلوه قولاً آخر ، ثم فسروا وقوبه بسكونه . قال ابن قتيبة : ويقال الغاسق القمر إذا كسف واسود . ومعنى وقب دخل في الكسوف . وهذا ضعيف . فإن ما قال رسول الله ﷺ لا يعارض بقول غيره ، وهو لا يقول إلا الحق . وهو لم يأمر عائشة بالاستعاذة منه عند كسوفه بل مع ظهوره . وقد قال الله تعالى (٣) (وَجَمَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحْوُتَ آيَةِ اللَّيْلِ وَجَمَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) فالقمر آية الليل . وكذلك النجوم إنما تطلع فترى بالليل . فأمره بالاستعاذة من ذلك أمر بالاستعاذة من آية الليل ودليله وعلامته . والدليل مستلزم للمدلول . فإذا كان شر القمر موجوداً ، فشر الليل موجود . وللقمر من التأثير ما ليس لغيره . ففكون الاستعاذة من الشر الحاصل عنه أقوى . ويكون هذا كقوله عن المسجد المؤسس على التقوى (٤) (هو

(١) [١٧ / الإسراء / ٧٨] .

(٢) أخرجه في : ٤٤ - كتاب التفسير ، ١١٣ و ١١٤ سورة المعوذتين .

(٣) [١٧ / الإسراء / ١٢] . (٤) أخرجه الترمذی في : ٤٤ - كتاب التفسير ،

٩ - سورة التوبة ، ١٤ - حدثنا قتيبة ، عن أبي سعيد الخدري .

مسجدي) هذا مع أن الآية تتناول مسجد قباء قطعاً . وكذلك قوله عن أهل الكساء^(١) (هؤلاء أهل بيتي) مع أن القرآن يتناول نساءه . فالتخصيص لكون المخصوص أولى بالوصف . فالقمر أحق ما يكون بالاستعاذة ، والليل مظلم منتشر فيه شياطين الإنس والجن ، مالا تنتشر بالنهار . ويجرى فيه من أنواع الشر مالا يجري بالنهار من أنواع الكفر والفسوق والعصيان والسرقة والخيانة والفواحش وغير ذلك . فالشر دائماً مقرون بالظلمة . ولهذا إنما جعله الله لسكون الأدميين وراحتهم . لكن شياطين الإنس والجن تفعل فيه من الشر ما لا يمكنها فعله بالنهار . ويتوسلون بالقمر وبدعوته وعبادته . وأبو معشر البلخي له (مصحف القمر) يذكر فيه من الكفریات والسحريات ما يناسب الاستعاذة منه . انتهى كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

ثم خص تعالى مخلوقات آخر بالاستعاذة من شرها ، لظهور ضررها وعسر الاحتياط منها . فلا بد من الفرع إلى الله والاستنجاد بقدرته الشاملة على دفع شرها ، فقال سبحانه « وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ » قال ابن جرير^(٢) : أى ومن شر السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها ، وبه قال أهل التأويل . فمن مجاهد : الرقي في عقد الخيط . وعن طاووس : ما من شيء أقرب إلى الشرك من رقية المجانين . ومثله عن قتادة والحسن . وقال الزمخشري : النفاثات النساء أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها ويرقن . والنفث النفخ مع ريق . ولاتأثير لذلك ، اللهم إلا إذا كان ثم إطعام شيء ضار أوسقيه أو إشمامه ، أو مباشرة السحور به على بعض الوجوه . ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلاً على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام ، فينسبه الحشوية والرعاع إليهن وإلى نفثهن . والثابتون بالقول الثابت لا ياتفتنون إلى ذلك ولا يعبئون به .

(١) أخرجه الترمذي في : ٤٦ - كتاب المناقب ، ٦٠ - باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ

حدثنا محمود بن غيلان .

(٢) انظر الصفحة رقم ٣٥٣ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

فإن قلت : فما معنى الاستعاذة من شرهن ؟ قلت : فيها ثلاثة أوجه .

أحدها - أن يستعاذ من عملهن الذى هو صنعة السحر ، ومن إغتهن فى ذلك .

والثانى - أن يستعاذ من فتنةن الفاس بسحرهن وما يخذعنهم به من باطلهن .

الثالث - أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عقد نفهن . انتهى .

وفى الآية تأويل آخر . وهو اختيار أبى مسلم رحمه الله . قال : النفات النساء . والعقد

عزائم الرجال وآراؤهم ، مستعار من عقد الحبال . والنفث وهو تلين العقدة من الحبل برقيق

يقذفه عليه ليصير حبله سهلاً . فمعنى الآية : إن النساء لأجل كثرة حبهن فى قلوب الرجال

يتصرفن فى الرجال بحولنهم من رأى إلى رأى ومن عزيمة إلى عزيمة . فأمر الله رسوله

بالتعوذ من شرهن . كقوله ^(١) : (إِنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْدِجِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ)

فكذلك عظم الله كيدهن فقال ^(٢) : (إِنْ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) .

تنبيه :

قال الشهاب : نقل فى (التأويلات) عن أبى بكر الأصم أنه قال : إن حديث سحره

صلوات الله عليه ، المروى هنا ، متروك لما يلزمه من صدق قول الكفرة أنه مسحور . وهو

مخالف لنص القرآن حيث أ كذبهم الله فيه . ونقل الرازى عن القاضى أنه قال : هذه الرواية

باطلة . وكيف يمكن القول بصحتها ، والله تعالى يقول ^(٣) : (وَاللَّهُ يَمْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ) .

وقال ^(٤) : (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) ولأن تجويزه بفضى إلى القدح فى النبوة .

ولأنه ، لو صح ذلك ، لكان من الواجب أن يصلوا إلى ضرر جميع الأنبياء والصالحين ،

ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم ، وكل ذلك باطل . ولأن الكفار يعيرونه بأنه

مسحور . فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين فى تلك الدعوة ، ولحصل فيه ، عليه

السلام ، ذلك العيب . ومعلوم أن ذلك غير جائز . انتهى .

(١) [٦٤ / التغابن / ١٤] .

(٢) [٢٨ / يوسف / ١٢] .

(٣) [٥ / المائدة / ٦٧] .

(٤) [٢٠ / طه / ٦٩] .

ولا غرابة في أن لا يقبل هذا الخبر لما برهن عليه ، وإن كان مخرجاً في الصحاح . وذلك لأنه ليس كل مخرج فيها سالماً من النقد ، سنداً أو معنى . كما يعرفه الراسخون . على أن المناقشة في خبر الآحاد معروفة من عهد الصحابة .

قال الإمام الغزالي في (المستصفى) : ما من أحد من الصحابة إلا وقد ردّ خبر الواحد . كردّ على رضى الله عنه خبر أبي سنان الأشجعيّ في قصة (بروع بنت واشق) وقد ظهر منه أنه كان يحلف على الحديث . وكردّ عائشة خبر ابن عمر في تعذيب الميت ببيكاه أهله عليه . وظهر من عمر نهيه لأبي موسى وأبي هريرة عن الحديث عن الرسول ﷺ . وأمثال ذلك مما ذكر . أورد ذلك الغزالي في مباحث (خبر الآحاد في شبه المخالفين فيه) . وذكر رحمه الله في (مباحث الإجماع) إجماع الصحابة على تجويز الخلاف للآحاد ، لأدلة ظاهرة قامت عندهم .

وقال الإمام ابن تيمية في (المسودة) : الصواب أن من ردّ الخبر الصحيح كما كانت الصحابة ترده ، لاعتقاد غلط الناقل أو كذبه ، لاعتقاد الرادّ أن الدليل قد دل على أن الرسول لا يقول هذا . فإن هذا لا يكفر ولا يفسق . وإن لم يكن اعتقاده مطابقاً ، فقد ردّ غير واحد من الصحابة غير واحد من الأخبار التي هي صحيحة عند أهل الحديث . انتهى .

وقال العلامة الفناري في (فصول البدائع) : ولا يضل جاحد الآحاد . والمسألة معروفة في الأصول . وإنما توسعت في نقولها لأنّي رأيت من متعصبة أهل الرأي من أكبر ردّ خبر رواه مثل البخاريّ ، وضلل منكره . فعلمت أن هذا من الجهل بفن الأصول ، لا بل بأصول مذهبه . كما رأيت عن الفناري . ثم قلت : المهد بأهل الرأي أن لا يقيموا للبخاريّ وزناً . وقد ردوا المثني من مروياته بالتأويل والنسخ . فتى صادقوه حتى يضلّوا من ردّ خبراً فيه؟؟ وقد برهن على مدعاه ، وقام يدافع عن رسول الله ومصطفاه .

وبعد ، فالبحت في هذا الحديث شهير قديماً وحديثاً . وقد أوسع المقال فيه شراح (الصحيح) وابن قتيبة في شرح (تأويل مختلف الحديث) والرازي . والحق لا يخفى على طالبه ، والله أعلم . «وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» قال الزخشرى : أى إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود . لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمره ، فلا ضرر يعود منه على من حسده . بل هو الضار لنفسه ، لا غنما به بسرور غيره .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٤ - سُورَةُ النَّاسِ

مكية ، وهي ست آيات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)

[٢] (مَلِكِ النَّاسِ)

[٣] (إِلَهِ النَّاسِ)

[٤] (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ)

[٥] (الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ)

[٦] (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)

« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ » أى الجأ إليه وأستمع به ، و (رب الناس) الذى يربهم بقدرته ومشيتته وتديره . وهو رب العالمين كلهم والخالق للجميع « مَلِكِ النَّاسِ » أى الذى ينفذ فيهم أمره وحكمه وقضاؤه ومشيتته دون غيره « إِلَهِ النَّاسِ » أى معبودهم الحق وملاذمهم إذا ضاق بهم الأمر ، دون كل شيء سواه . والإله المعبود الذى هو المقصود بالإرادات والأعمال كلها « مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ » أى الشيطان ذى الوسوسة . وقد زعم الزمخشري ومن تبعه ؛ أن الوسواس مصدر أريد به الموسوس أو بتقدير (ذى) . وحقق غير واحد أنه صفة كالثرثار ، وأن فعلا (مصدر فعل) بالكسر والمفتوح شاذ ، وقد بسط الكلام فى ذلك الإمام ابن القيم فى (بدائع الفوائد) « الْخَنَّاسِ » أى الذى عادته أن يخنس - أى يتأخر - إذا ذكر الإنسان ربه ، لأنه لا يوسوس إلا مع الغفلة . وكلما تنبه العبد فذكر الله ، خنس « الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ » أى بالإلقاء الخفى فى النفس . إما بصوت خفى لا يسمعه إلا من ألقى إليه ، وإما بغير صوت .

قال ابن تيمية : و (الوسوسة) من جنس (الوسوسة) بالشين المعجمة . يقال (فلان يوسوس فلانا) و (قد وشوشه) إذا حدثه سرّاً في أذنه . وكذلك الوسوسة . ومنه وسوسة الحلي . لكن هو بالسين المهملة ، أخص .

وقال الإمام : إنما جعل الوسوسة في الصدور ، على ما عهد في كلام العرب من أن الخواطر في القلب ، والقلب مما حواه الصدر عندهم ، وكثيراً ما يقال (إن الشك يحوك في صدره) وما الشك إلا في نفسه وعقله . وأفاعيل العقل في المخ ، وإن كان يظهر لها أثر في حركات الدم وضربات القلب وضيق الصدر أو انبساطه .

وقوله تعالى « مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ » بيان للذي يوسوس ، على أنه ضربان : ضرب من الجنة وهم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم ، وإنما نجد في أنفسنا أثراً ينسب إليهم . وضرب من الإنس كالمضللين من أفراد الإنسان ، كما قال تعالى ^(١) (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) . وإيحاؤهم هو وسوستهم .

قال ابن تيمية : فإن قيل : فإن كان أصل الشر كله من الوسواس الخناس ، فلا حاجة إلى ذكر الاستعاذة من وسواس الناس ، فإنه تابع لوسواس الجن . قيل : بل الوسوسة نوعان : نوع من الجن ، ونوع من نفوس الإنس . كما قال ^(٢) (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْوِسًا بِنَفْسِهِ) فالشر من الجهتين جميعاً . والإنس لهم شياطين كالأجن شياطين . وقال أيضاً : الذي يوسوس في صدور الناس نفسه لنفسه ، وشياطين الجن وشياطين الإنس . فليس من شرط الوسوسة أن يكون مستتراً عن البصر ، بل قد يشاهد .

لطائف :

الأولى - قال ابن تيمية : إنما خص الناس بالذكر ، لأنهم المستمعون . فيستمعون

(١) [٦ / الأنعام / ١١٢] . (٢) [٥٠ / ق / ١٦] .

بربهم الذى يصونهم ، وبملاكهم الذى أمرهم ونهاهم وبإلههم الذى يعبدونه من شر الذى يحول بينهم وبين عبادته . ويستعيذون أيضاً من شر الوسواس الذى يحصل فى نفوس منهم ومن الجنة . فإنه أصل الشر الذى يصدر منهم والذى يرد عليهم .

وقال الناصر : فى التخصيص جرى على عادة الاستعطاف ، فإنه معه أتم .

الثانية - تكرير المضاف إليه وهو (الناس) باللفظ الظاهر ، لمزيد الكشف والتقريب والتشريف بالإضافة . فإن الإظهار أنسب بالإيضاح المسوق له عطف البيان . وأدل على شرف الإنسان . وقيل : لا تكرار . لجواز أن يراد بالعام بعض أفراد . فـ (الناس) الأول بمعنى الأجنة والأطفال المحتاجين للتربية . والثانى الكهول والشبان ، لأنهم المحتاجون لمن يسوسهم . والثالث الشيوخ لأنهم المتعبدون المتوجهون لله .

قال الشهاب : وفيه تأمل .

الثالثة - فى تعداد الصفات العليا هنا ، إشارة إلى عظم المستعاذ منه . وأن الآفة النفسانية أعظم من المضار البدنية ، حيث لم يكرر ذلك المستعاذ به فى السورة قبل ، وكرره هنا إظهاراً للاهتمام فى هذه دون تلك . نقله الشهاب .

الرابعة - قال ابن تيمية : الوسواس من جنس الحديث والكلام . ولهذا قال المفسرون فى قوله (مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ) قالوا : ما تحدث به نفسه . وقد قال عليه السلام ^(١) : إن الله تجاوز لأمتى ما تحدث به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به . وهو نوعان : خبر وإنشاء . فالخبر إماعن ماض وإماعن مستقبل . فالماضى يذكره والمستقبل يحدثه ، بأن يفعل هو أموراً ، أو أن أموراً ستكون بقدر الله أو فعل غيره . فهذه الأمانى والمواعيد الكاذبة . والإنشاء أمر ونهى وإباحة .

(١) أخرجه البخارى فى : ٤٩ - كتاب العتق ، ٦ - باب الخطأ والنسيان فى العتاقة والطلاق ونحوه ، حديث رقم ١٢٤٢ ، عن أبى هريرة .

الخامسة - قال ابن تيمية : الفرق بين الإلهام المحمود وبين الوسوسة المذمومة هو الكتاب والسنة . فإن كان مما ألقى في النفس مما دل الكتاب والسنة على أنه تقوى لله ، فهو من الإلهام المحمود . وإن كان مما دل على أنه فجور ، فهو من الوسواس المذموم . وهذا الفرق مطرد لا ينقض .

وقد ذكر أبو حازم في الفرق بين وسوسة النفس والشیطان ، فقال : ما كرهته نفسك لنفسك فهو من الشيطان فاستعذ بالله منه . وما أحبته نفسك لنفسك فهو من نفسك فأنهها عنه .

السادسة - قال الإمام الغزالي في (الإحياء) في بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة ، مأمثاله : وإذا قلت (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فاعلم أنه عدوك ومترصّد لصرف قلبك عن الله عز وجل ، حسداً لك على مناجاتك مع الله عز وجل ، وسجودك له . مع أنه لمن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها . وإن استعادتك بالله سبحانه منه ، بترك ما يحبه ، وتبديله بما يحب الله عز وجل ، لا بمجرد قولك . فإن من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو ليقته فقال (أعوذ منك بهذا الحصن الحصين) وهو ثابت على مكانه ذلك لا ينفعه ، بل لا يفيد إلا بتبديل المسكان . فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن ، فلا يعنيه مجرد القول ، فليقرن قوله بالعزم على التعمود بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان . وحصنه (لا إله إلا الله) إذ قال عز وجل فيما أخبر عنه نبينا ﷺ - . لا إله إلا الله حصني . فمن دخل حصني أمن من عذابي . والمتحصن به من لا معبود له سوى الله سبحانه . فأما من اتخذ إلهه هواه ، فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله عز وجل . انتهى .

وملخصه أن التعمود ليس هو مجرد القول ، بل القول عبارة عما كان للتعوذ من ابتعاده بالفعل عما يتعوذ منه ، فكان ترجمة لحالهم . وهذا المعنى كان يلوح لي من قبل أن أراه في كلام حجة الإسلام ، حتى رأيته ، فحمدت الله على الموافقة .

السابعة - قال الإمام الغزالي في (الإحياء) أيضاً ، في بيان تسلط الشيطان على القلب

بالوسواس ، ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها ، ما مثاله :

اعلم أن القلب في مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب إليه الأحوال من كل باب . ومثاله أيضاً مثال هدف تنصب إليه السهام من الجوانب . أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف السور المختلفة ، فتراءى فيها صورة بعد صورة ولا يخلو عنها . أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة إليه . وإنما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال ، إما من الظاهر فالحواس الخمس . وإما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الإنسان . فإنه إذا أدرك بالحواس شيئاً حصل منه أثر في القلب . وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل وسبب قوة من المزاج ، حصل منها في القلب أثر . وإن كفف عن الإحساس ، فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء إلى شيء . وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر . والمقصود أن القلب في التغير والتأثر دائماً من هذه الأسباب ، وأخص الآثار الحاصلة في هذه الخواطر - وأعني بالخواطر ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار - وأعني به إدراكه علوماً ، إما على سبيل التجدد وإما على سبيل التذكر . فإنها تسمى خواطر من حيث إنها تحظر بعد أن كان القلب غافلاً عنها .

والخواطر هي الحركات للإرادات . فإن النية والعزم والإرادة إنما تكون بعد خطور النوى بالبال لا محالة . فبدأ الأفعال الخواطر . ثم الخاطر يحرك الرغبة ، والرغبة تحرك العزم ، والعزم يحرك النية ، والنية تحرك الأعضاء . والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو للشر ، أعني إلى ما يضر في العاقبة . وإلى ما يدعو إلى الخير ، أعني إلى ما يرفع في الدار الآخرة . فهما خاطران مختلفان . فافتقرا إلى اسمين مختلفين . فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً والخاطر المذموم ، أعني الداعي إلى الشر ، يسمى وسواساً . ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة . ثم إن كل حادث فلا بد له من محدث . ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب . هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب . فهما استنفارت حيطان البيت بنور الفار ، وأظلم

سقفه واسودّ بالدخان ، علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة . وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان . فسبب الخطر الداعى إلى الخير يسمى ملكاً . وسبب الخطر الداعى إلى الشر يسمى شيطاناً . واللفظ الذى يهيم به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقاً . والذى به يهيم لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلاناً . فإن المعانى المختلفة تنمقر إلى أسامٍ مختلفة . والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى ، شأنه إفاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف . وقد خلقه وسخره لذلك . والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك . وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف ، عند الهم بالخير ، بالفقر ، فالوسوسة فى مقابلة الإلهام . والشيطان فى القابلة الملك ، والتوفيق فى مقابلة الخذلان .

ثم قال الغزالي : ولا ينجو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ماسوى مايوسوس به . لأنه إذا خطر فى القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان من قبل . ولكن كل شيء سوى الله تعالى ، وسوى ما يتعلق به ، فيجوز أيضاً أن يكون مجالاً للشيطان . وذكر الله هو الذى يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال . ولا يعالج الشيء إلا بضده . وضد جميع وسواس الشيطان ذكر الله بالاستعانة والتبرؤ عن الحول والقوة ، وهو معنى قولك (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى . وإنما الشيطان يطوف عليهم فى أوقات الفلمات على سبيل الخلسة . قال الله تعالى ^(١) (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) . ثم قال : فالوسوسة هى هذه الخواطر . والخواطر معلومة . فإذا ، الوسواس معلوم بالمشاهدة . وكل خاطر فله سبب . ويفتقر إلى اسم يعرفه . فاسم سببه الشيطان . ولا يتصور أن ينفك عنه آدمي . وإنما يختلفون بعصيانهم ومتابعتهم . فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام ، والملك والشيطان والتوفيق والخذلان . انتهى .

وإلى هنا وقف القلم بالمؤلف رضى الله تعالى عنه . وبه تم كتاب (محاسن التأويل) والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

فهارس التفسير

- ١ - فهرس محتويات أجزاء التفسير
- ٢ - فهرس سور القرآن الكريم وموضع تفسير كل سورة
- ٣ - فهرس موضوعات القرآن ، حسب صحيح البخاريّ
- ٤ - فهرس أسماء المؤلفين
- ٥ - فهرس أسماء الكتب التي تناولها التفسير

١ - فهرس محتويات أجزاء التفسير

الجزء	من صفحة	إلى صفحة	
١	١	٣٤٩	ويحتوى على المقدمة المشتملة على قواعد التفسير
٢	٣	٣٤٠	ويحتوى على تفسير ١ - سورة فاتحة الكتاب ، ثم تفسير
			٢ - سورة البقرة، من أولها إلى الآية رقم ١٥٧
٣	٣٤٣	٧٤٢	ويبتدى بتفسير الآية ١٥٨ من سورة البقرة، وينتهى بتفسير آخر آياتها
٤	٧٤٩	١٠٨٥	وفيه تفسير ٣ - سورة آل عمران بتمامها
٥	١٠٩٢	١٧٨٠	» » ٤ - سورة النساء بتمامها
٦	١٧٨٨	٢٥٩٨	» » ٥ - سورة المائدة و ٦ - سورة الأنعام
٧	٢٦٠٩	٢٩٤٠	» » ٧ - سورة الأعراف
٨	٢٩٤٤	٣٣٠٦	» » ٨ - سورة الأتقال و ٩ - سورة التوبة
٩	٣٣٢١	٣٦٩٤	» » ١٠ - سورة يونس و ١١ - سورة هود و ١٢ - سورة يوسف و ١٣ - سورة الرعد
١٠	٣٧٠٤	٤٠١٢	» » ١٤ - سورة إبراهيم و ١٥ - سورة الحجر
			و ١٦ - سورة النحل و ١٧ - سورة الإسراء
١١	٤٠٢٠	٤٣١٦	» » ١٨ - سورة الكهف و ١٩ - سورة مريم
			و ٢٠ - سورة طه و ٢١ - سورة الأنبياء
١٢	٤٣٢٠	٤٦٠٠	» » ٢٢ - سورة الحج و ٢٣ - سورة المؤمنون
			و ٢٤ - سورة النور و ٢٥ - سورة الفرقان
١٣	٤٦٠٤	٤٩٣٠	ويبتدى بتفسير ٢٦ - الشعراء، وينتهى بتفسير ٣٣ - الأحزاب
١٤	٤٩٣٦	٥٣٣٠	» » ٣٤ - سبأ، وينتهى بتفسير ٤٥ - الجاثية
١٥	٥٢٣٦	٥٦٣٨	» » ٤٦ - الأحقاف، وينتهى بتفسير ٥٥ - الرحمن
١٦	٥٦٤٤	٦٠٠١	» » ٥٦ - الواقعة، وينتهى بتفسير ٧٥ - القيامة
١٧	٦٠٠٨	٦٣١٦	» » ٧٦ - الإنسان، وينتهى بتفسير ١١٤ - الناس

٢ - فهرس سور القرآن الكريم

وموضع تفسير كل سورة

رقم الجزء	رقم الصفحة	اسم السورة	رقم مسلسل	رقم الجزء	رقم الصفحة	اسم السورة	رقم مسلسل
١١	٤٢٤٣	الأنبياء	٢١	٢	٣	الفاتحة	١
١٢	٤٣٢٠	الحج	٢٢	٢	٣١	البقرة	٢
١٢	٤٣٨٦	المؤمنون	٢٣	٤	٧٤٨	آل عمران	٣
١٢	٤٤٢٣	النور	٢٤	٥	١٠٩٢	النساء	٤
١٢	٤٥٦١	الفرقان	٢٥	٦	١٧٨٨	المائدة	٥
١٣	٤٦٠٣	الشعراء	٢٦	٦	٢٢٣٠	الأنعام	٦
١٣	٤٦٥٥	التمل	٢٧	٧	٢٦٠٨	الأعراف	٧
١٣	٤٦٩٤	القصص	٢٨	٨	٢٩٤٤	الأنفال	٨
١٣	٤٧٣٥	العنكبوت	٢٩	٨	٣٠٦٠	التوبة	٩
١٣	٥٧٦٤	الروم	٣٠	٩	٣٣٢٠	يونس	١٠
١٣	٤٧٩٢	لقمان	٣١	٩	٣٤٠٧	هود	١١
١٣	٤٨٠٩	السجدة	٣٢	٩	٣٥٠١	يوسف	١٢
١٣	٤٨٢١	الأحزاب	٣٣	٩	٣٦٣٧	الرعد	١٣
١٤	٤٩٣٦	سبأ	٣٤	١٠	٣٧٠٤	إبراهيم	١٤
١٤	٤٩٧١	فاطر	٣٥	١٠	٣٧٤٥	الحجر	١٥
١٤	٤٩٩٠	يس	٣٦	١٠	٣٧٧٦	الزحل	١٦
١٤	٥٠٢٤	الصافات	٣٧	١٠	٣٨٨٢	الإسراء	١٧
١٤	٥٠٧٥	ص	٣٨	١١	٤٠٢٠	الكهف	١٨
١٤	٥١٢٦	الزمر	٣٩	١١	٤١٢٤	مريم	١٩
١٤	٥١٥٤	غافر	٤٠	١١	٤١٦٨	طه	٢٠

٢ - فهرس سور القرآن الكريم وموضع تفسير كل سورة (تابع)

رقم الجزء	رقم الصفحة	اسم السورة	رقم مسلسل	رقم الجزء	رقم الصفحة	اسم السورة	رقم مسلسل
١٦	٥٨١٧	التغابن	٦٤	١٤	٥١٨٥	فصلت	٤١
١٦	٥٨٢٨	الطلاق	٦٥	١٤	٥٢١٩	الشورى	٤٢
١٦	٥٨٥١	التحريم	٦٦	١٤	٥٢٥٧	الزخرف	٤٣
١٦	٥٨٧٤	الملك	٦٧	١٤	٥٢٩٢	الدخان	٤٤
١٦	٥٨٩١	ن	٦٨	١٤	٥٣١٧	الجاثية	٤٥
١٦	٥٩١٠	الحاقة	٦٩	١٥	٥٣٣٦	الأحقاف	٤٦
١٦	٥٩٢٣	المعارج	٧٠	١٥	٥٣٧١	محمد ﷺ	٤٧
١٦	٥٩٣٢	نوح	٧١	١٥	٥٣٩٤	الفتح	٤٨
١٦	٥٩٤٢	الجن	٧٢	١٥	٥٤٣٧	الأحقاف	٤٩
١٦	٥٩٥٧	المزمل	٧٣	١٥	٥٤٨٠	ق	٥٠
١٦	٥٩٦٨	المدثر	٧٤	١٥	٥٥١٩	الذاريات	٥١
١٦	٥٩٨٧	القيامة	٧٥	١٥	٥٥٤٠	الطور	٥٢
١٧	٦٠٠٨	الإنسان	٧٦	١٥	٥٥٥٣	الفجر	٥٣
١٧	٦٠١٩	المرسلات	٧٧	١٥	٥٥٩١	القمر	٥٤
١٧	٦٠٣٠	النبأ	٧٨	١٥	٥٦١٠	الرحمن	٥٥
١٧	٦٠٤٢	النازعات	٧٩	١٦	٥٦٤٤	الواقعة	٥٦
١٧	٦٠٥٥	عبس	٨٠	١٦	٥٦٧٠	الحديد	٥٧
١٧	٦٠٦٧	التكوير	٨١	١٦	٥٧٠٤	المجادلة	٥٨
١٧	٦٠٨٣	الانقطار	٨٢	١٦	٥٧٣٣	الحشر	٥٩
١٧	٦٠٩١	المطففين	٨٣	١٦	٥٧٥٧	المتحنة	٦٠
١٧	٦١٠٥	الانشقاق	٨٤	١٦	٥٧٨٠	الصف	٦١
١٧	٦١١٢	البروج	٨٥	١٦	٥٧٩٦	الجمعة	٦٢
١٧	٦١٢١	الطارق	٨٦	١٦	٥٨٠٦	المنافقون	٦٣

(تابع) ٢ - فهرس سور القرآن الكريم وموضع تفسير كل سورة

رقم مسلسل	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الجزء	رقم مسلسل	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الجزء
٨٧	الأعلى	٦١٢٨	١٧	١٠١	القارعة	٦٢٤٢	١٧
٨٨	الغاشية	٦١٣٧	١٧	١٠٢	التكاثر	٦٢٤٦	١٧
٨٩	الفجر	٦١٤٤	١٧	١٠٣	العصر	٦٢٤٩	١٧
٩٠	البلد	٦١٥٩	١٧	١٠٤	الهمزة	٦٢٥٤	١٧
٩١	الشمس	٦١٦٧	١٧	١٠٥	الفيل	٦٢٥٩	١٧
٩٢	الليل	٦١٧٤	١٧	١٠٦	قريش	٦٢٦٩	١٧
٩٣	الضحى	٦١٨١	١٧	١٠٧	الماعون	٦٢٧٣	١٧
٩٤	الشرح	٦١٨٩	١٧	١٠٨	الكوثر	٦٢٧٧	١٧
٩٥	التين	٦١٩٥	١٧	١٠٩	الكافرون	٦٢٨١	١٧
٩٦	العلق	٦٢٠٦	١٧	١١٠	النصر	٦٢٨٥	١٧
٩٧	القدر	٦٢١٩	١٧	١١١	المسد	٦٢٩٠	١٧
٩٨	البينة	٦٢٢٥	١٧	١١٢	الإخلاص	٦٢٩٤	١٧
٩٩	الزلزلة	٦٢٣٢	١٧	١١٣	الفلق	٦٣٠٤	١٧
١٠٠	العاديات	٦٢٣٧	١٧	١١٤	الناس	٦٣١٠	١٧

٣ - فهرس موضوعات القرآن ، حسب صحيح البخارى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رقم الجزء والصفحة

رقم السورة والآية

١ - كتاب الوحي

١ - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ

١٧٢٢/٥ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده

١٦٣/٤

٣ - حدثنا يحيى بن بكير

١٧/٦٢٠٦ اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم

١/٧٤

١٦/٥٩٦٠ يا أيها المدثر * قم فأنذر

٤ - حدثنا موسى بن إسماعيل

١٦/٥٩٩١ لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه

١٦/٧٥

٦ - حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع

٤/٨٦١ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد

٣/٦٤

إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله

فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .

٢ - كتاب الإيمان

١ - باب الإيمان

٤/٤٨

١٥/٥٣٩٩ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم

١٣/١٨

١١/٤٠٢٧ وزدناهم هدى

٧٦/١٩

١١/٤١٦٠ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى

رقم السورة والآية

رقم الجزء والصفحة

١٧/٤٧	والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم
٣١/٧٤	وزداد الذين آمنوا إيماناً
١٢٤/ ٩	أيكم زادته هذه إيماناً
١٢٤/ ٩	فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً
١٧٣/ ٣	فأخشوهم فزادهم إيماناً
٢٢/٣٣	وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً
٢٦٠/ ٢	ولكن ليطمئن قلبي
١٣/٤٢	شرع لكم من الدين
٤٨/ ٥	شرعة ومنهاجا

٣ - باب أمور الإيمان

١٧٧/ ٢	ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
١/٢٣	قد أفلح المؤمنون

١٣ - باب قول النبي ﷺ أنا أعلمكم بالله

٢٢٥/ ٢	ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
١٧	باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم
٥/ ٩	فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم
١٨	باب من قال إن الإيمان هو العمل
٤٣/ ٧	وتلك الجنة التي أوردتهموها بما كنتم تعملون
٩٢/١٥	فوردك لنسألهم أجمعين * عما كانوا يعملون
٦١/٣٧	لمثل هذا فليعمل العاملون

١٩	باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل
١٤/٤٩	قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا

- ٤ / ٨٩١ إن الدين عند الله الإسلام ٣ / ١٩
- ٢٢ - باب المعاصى من أمر الجاهلية ، ولا يكفر صاحبها بارتكابها ، إلا بالشرك ٤ / ١١٦
- ٥ / ١٥٦٣ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ٤ / ١١٦
- ٢٣ - باب ظلم دون ظلم ٦ / ٨٢
- ٦ / ٢٣٨٧ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ٣١ / ١٣
- ١٣ / ٤٧٩٧ إن الشرك لظلم عظيم ٣٠ - باب الصلاة من الإيمان ٢ / ١٤٣
- ٢ / ٢٨١ وما كان الله ليضيع إيمانكم ٣٣ - باب زيادة الإيمان ونقصانه ١١ / ٤٠٢٧ وزدناهم هدى ١٦ / ٥٩٧٩ وزداد الذين آمنوا إيماناً ٥ / ٣١
- ٦ / ١٨١١ اليوم أكملت لكم دينكم ٥ / ٣
- ٣٤ - باب الزكاة من الإسلام ١٧ / ٦٢٢٦ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ٩٨ / ٥ ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ٣٧ - باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ٤ / ٨٨٠ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ٣١ / ٣٤
- ١٣ / ٤٨٠٨ إن الله عنده علم الساعة ٤١ - ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ١٠ / ٣٩٨١ قل كل يعمل على شاكلته ١٧ / ٨٤
- ٤٢ - باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة ٨ / ٣٢٣ إذا نصحو الله ورسوله ٩ / ٩١

٣ - كتاب العلم

١ - باب فضل العلم

- ١٦ / ٥٧١٨ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات
١١ / ٤٢١٢ رب زدنى علما
٢٠ / ١١٤

١٠ - باب العلم قبل القول والعمل

- ١٥ / ٥٣٨٣ فاعلم أنه لا إله إلا الله
١٤ / ٤٩٨٣ إنما يخشى الله من عباده العلماء
١٣ / ٤٧٥٠ وما يعقلها إلا العالمون
١٦ / ٥٨٨١ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير
١٤ / ٥١٣٠ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون
٣٩ / ٩

١٦ - باب ما ذكر في ذهاب موسى عليه السلام في البحر إلى الخضر

- ١١ / ٤٠٧٨ هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا
١١ / ٤٠٧٧ أرايت إذ أوبنا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت
١١ / ٤٠٧٨ ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا
١٨ / ٦٦
١٨ / ٦٣
١٨ / ٦٤

٣٥ - باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه

- ١٧ / ٦١٠٧ فسوف يحاسب حسابا يسيرا
٨٤ / ٨

٤٢ - باب حفظ العلم

- ٣ / ٣٥١ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات

٤٤ - باب ما يستحب للعالم إذا سئل أى الناس أعلم فيكمل العلم إلى الله

- ١١ / ٤٠٧٧ آتينا غداً فانا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
١١ / ٤٠٧٨ ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا
١١ / ٤٠٧٨ هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا
١٨ / ٦٦
١٨ / ٦٤
١٨ / ٦٢

رقم السورة والآية

رقم الجزء والصفحة

- ٦٩/١٨ ٤٠٧٩/١١ ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا
- ٧٢/١٨ ٤٠٨٠/١١ قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا ، قال لا تؤاخذنى بما نسيت
- ٧٤/١٨ ٤٠٨١/١١ أقتلت نفسا زكية بغير نفس
- ٧٧/١٨ ٤٠٨٢/١١ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها
- ٧٧/١٨ ٤٠٨٢/١١ لو شئت لآخذت عليه أجرا
- ٤٧ - باب قول الله تعالى : وما أوتيتم من العلم إلا قليلا

٨٥/١٧ ٣٩٨١/١٠ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي

٤ - كتاب الوضوء

- ١ - باب ما جاء فى الوضوء وقول الله تعالى : إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم .
- ٦/٥ ١٨٧٦/٦ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق
- ٥ - باب التخفيف فى الوضوء

١٠٢/٣٧ ٥٠٤٩/١٤ إني أرى فى المنام أنى أذبحك

٣٣ - باب الماء الذى يغسل به شعر الإنسان

٤٣/٤ } فلم تجدوا ماء فتيمموا { ١٢٤٣/٥

٦/٥ } ١٨٧٦/٦

٥ - كتاب الغسل

٦/٥ ١٨٧٦/٦ وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط

٤٣/٥ ١٢٤٣/٥ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ٤

٦ - كتاب الحيض

٢٢٢/٢ ٥٦٣/٣ ويسئلونك عن الحيض قل هو أذى

رقم الجزء والصفحة رقم السورة والآية

- ٧ - باب تقضى الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت
٢٤٨٢ / ٦ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
١٢١ / ٦
٢٤ - باب إذا حاضت في شهر ثلاث حيض
٥٨١ / ٣ ولا يحل لمن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن
٢٢٨ / ٢

٧ - كتاب التيمم

- ١٢٤٣ / ٥ فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا
١٨٧٦ / ٦
٤٣ / ٤ }
٦ / ٥ }
٧ - باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت
١٢٠٢ / ٥ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا

٨ - كتاب الصلاة

- ٢ - باب وجوب الصلاة في الثياب
٢٦٥٧ / ٧ خذوا زينتكم عند كل مسجد
٣١ / ٧
٣١ - باب التوجه نحو القبلة حيث كان
٣٠٠ / ٢ قد نرى قلب وجهك في السماء
٢٧٩ / ٢ ما ولائم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب
١٤٢ / ٢
١٤٢ / ٢ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم
٣٢ - باب ما جاء في القبلة
٢٤٦ / ٢ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى
١٢٥ / ٢
٦٣ - باب التعاون في بناء المساجد
٣٠٨٥ / ٨ ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر ٩ / ١٧

٩ - كتاب مواقيت الصلاة

١ - باب مواقيت الصلاة وفضلها

٥ / ١٥١٨ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ٤ / ١٠٣

٢ - باب منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة

١٣ / ٤٧٧٨ منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ٣٠ / ٣٩

٤ - باب الصلاة كفارة

٩ / ٣٤٩١ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ١١ / ١١٤

٢٦ - باب فضل صلاة الفجر

١١ / ٤٢٣٤ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ٢٠ / ١٣٠

١٠ - كتاب الأذان

١ - باب بدء الأذان

٦ / ٢٠٤٦ وإذا ناديتُم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ٥ / ٥٨

٣١ - باب فضل الصلاة في جماعة

١٠ / ٣٩٥٩ إن قرآن الفجر كان مشهودا ١٧ / ٧٨

١٠٥ - باب الجهر بقراءة صلاة الفجر

١٣ / ٤٨٣٦ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ٣٣ / ٢١

١١ - كتاب الجمعة

١ - باب فرض الجمعة

١٦ / ٥٨٠١ إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ٦٢ / ٩

١٨ - باب المشي إلى الجمعة

١٠ / ٣٩١٦ وسمى لها سعيها ١٧ / ١٩

٣٨ - باب إذا نقر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة

٥٨٠٢/١٦ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائماً

١١/٦٢

١٢ - كتاب صلاة الخوف

١ - باب صلاة الخوف

٥ ١٥٠١/ وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ٤ ١٠١/

إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا

١٣ - كتاب العيدين

١١ - باب فضل العمل في أيام التشريق

٢٨/٢٢

٤٣٣٤/١٢ ويذكروا الله في أيام معلومات

١٩ - باب موعظة النساء يوم العيد

١٢/٦٠

٥٧٧٤/١٦ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبایعنك

١٥ - كتاب الاستسقاء

٢ - باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اجعلها عليهم سفین کسنى يوسف

١٠/٤٤

٥٢٩٥/١٤ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين

١٦ - كتاب الكسوف

٢٩ - باب لا يدرى متى يجرى المطر إلا الله

٤٨٠٨/١٣ وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ٣١/٣٤

١٧ - كتاب سجود القرآن

١١ - باب من قرأ السجدة في الصلاة فسجد لها

١/٨٤

٦٢٠٦/١٧ إذا السماء انشقت

١٩ - كتاب التمجيد

١ - باب التمجيد بالليل

٧٩/١٧

٣٩٦٨/١٠ ومن الليل فتمجد به نافلة لك

١١ - باب قيام النبي ﷺ بالليل ونومه وما نسخ من قيام الليل

١/٧٣

٥٩٥٨/١٦ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا

٢٣ - كتاب الجنائز

٥٧ - باب سنة الصلاة على الجنائز

٨٤/٩

٨ / ٣٢٢٣ ولا تصل على أحد منهم

٨٤ - باب ما يكره من الصلاة على المنافقين ، والاستغفار للمشركين

٨٤/٩

٨ / ٣٢٢٣ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً

٨٧ - باب ما جاء في عذاب القبر

٩٣/٦

٦ / ٢٤١٥ إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم

١٠١/٩

٨ / ٣٢٤٤ سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم

٤٥/٤٠

١٤ / ٥١٧٠ وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدوا وعشيا

٢٧/١٤

١٠ / ٣٧٢٨ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت

٢٤ - كتاب الزكاة

٦ - باب الرياء في الصدقة

٢٦٤/٢

٣ / ٦٧٩ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والاذى

٧ - باب لا يقبل الله صدقة من غلول

٢٧٦/٢

٣ / ٧١٠ ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم

١٠ - باب اتقوا النار ولو بشق تمر

٢٦٥/٢

٣ / ٦٨٠ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله

- ١١ - باب أى الصدقة أفضل
 ٥٨١٥/١٦ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت ١٠/٦٣
 ٦٥٦/ ٣ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ٢٥٤/ ٢
 ١٢ - باب صدقة العلانية
 ٦٩٣/ ٣ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ٢٧٤/ ٢
 ٢٧ - باب قول الله تعالى : فأما من أعطى واتق وصدق بالحسنى
 ٦١٧٥/١٧ فأما من أعطى واتق وصدق بالحسنى ٦/٩٢
 ٢٩ - باب صدقة الكسب والتجارة
 ٦٨٣/ ٣ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ٢٦٧/ ٢
 ٤٤ - باب الزكاة على الأقارب
 ٨٨٩/ ٤ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ٩٢/ ٣
 ٢٥ - كتاب الحج
 ١ - باب وجوب الحج وفضله
 ٨٩٥/ ٤ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ٩٧/ ٣
 ٤٢ - باب فضل مكة وبنائها
 ٢٤٦/ ٢ وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ١٢٥/ ٢
 ٤٣ - باب فضل الحرم
 ٤٦٩٢/١٣ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها ٩١/٢٧
 ٤٧١٥/١٣ أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجيى إليه فخرات كل شئ ٥٧/٢٨
 ٤٤ - باب توريث دور مكة وبيعها وشرائها
 ٤٣٣٣/١٢ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ٢٥/٢٢
 ٣٠٤٤/ ٨ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ٧٢/ ٨

رقم الجزء والصفحة	رقم السورة والآية
٤٦ - باب قول الله تعالى : وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً	٣٧٣٢/١٠
رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبنى أن نعبد الأصنام	٣٥/١٤
٤٧ - باب قول الله تعالى : جعل الله الكعبة البيت الحرام	٢١٦١/ ٦
جعل الله الكعبة البيت الحرام	٩٧/ ٥
٧٩ - باب وجوب السعى بين الصفا والمروة	٣٤٣/ ٣
إن الصفا والمروة من شعائر الله	١٥٨/ ٢
١٠٣ - باب ركوب البدن	٤٣٤٣/١٢
والبدن جعلناها لكم من شعائر الله	٣٦/٢٢
١٢٣ - باب وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت	٤٣٣٤/١٢
وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت	٢٦/٢٢
٢٦ - كتاب العمرة	
١ - باب وجوب العمرة وفضلها	٤٨٣/ ٣
وأتوا الحيج والعمرة لله	١٩٦/ ٢
١٠ - حدثنا أبو نعيم	
٣٤٣/ ٣ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح	١٥٨/ ٢
عليه أن يطوف بهما	
٢٧ - كتاب المحصر وجزاء الصيد	
١ - باب المحصر وجزاء الصيد	٤٨٣/ ٣
فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ	١٩٦/ ٢
الهدى محله	
٥ - باب قول الله تعالى : فمن كان منكم مريضاً أو به أذى	٤٨٣/ ٣
فمن كان منكم مريضاً أو به أذى	١٩٦/ ٢

- ٩ - باب قول الله تعالى: فلا رفث
٣ / ٤٩٢ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ٢ / ١٩٧
- ٢٨ - كتاب جزاء الصيد
١ - باب جزاء الصيد ونحوه
٦ / ٢١٥٥ لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ٥ / ٩٥
- ٣٠ - كتاب الصوم
١ - باب وجوب صوم رمضان
٣ / ٤١٤ يأياها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ٢ / ١٨٣
١٥ - باب قول الله جل ذكره: أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم
٣ / ٤٥٠ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ٢ / ١٨٧
- ١٦ - باب قول الله تعالى: وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض
٣ / ٤٥٠ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ٢ / ١٨٧
- ٤٨ - باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام
٣ / ٤٥٠ ثم أتموا الصيام إلى الليل ٢ / ١٨٧
- ٣٢ - كتاب فضل ليلة القدر
١ - باب فضل ليلة القدر
١٧ / ٦٢١٩ إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر ٩٧ / ٢٥١
- ٣٣ - كتاب الاعتكاف
١ - باب الاعتكاف في العشر الأواخر
٣ / ٤٥٠ ولا تبأثروهنّ وأنتم عاكفون في المساجد ٢ / ١٨٧

٣٤ - كتاب البيوع

- ٢٧٥/ ٢ ٧٠٠/ ٣ وأحل الله البيع وحرم الربا
- ٢٨٢/ ٢ ٧١٩/ ٣ إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم
- ١ - باب ما جاء في قول الله تعالى : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض
- ١٠/ ٦٢ ٥٨٠١/ ١٦ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض
- ١١/ ٦٢ ٥٨٠٢/ ١٦ وإذا رأوا تجارة أو لهواً انتفضوا إليها وتركوك قائماً
- ١٨٨/ ٢ ٤٦٥/ ٣ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
- ٢٨٢/ ٢ ٧١٩/ ٣ إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم
- ١١ - باب
- ٣٧/ ٢٤ ٤٥٢٩/ ١٢ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
- ٢٤ - باب آكل الربا وشاهده وكتبه
- ٢٧٥/ ٢ ٧٠٠/ ٣ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من اللس
- ٢٥ - باب موكل الربا
- ٢٧٨/ ٢ ٧١٣/ ٣ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين
- ٢٦ - باب
- ٢٧٦/ ٢ ٧١٠/ ٣ يمحى الله الربا ويربى الصدقات
- ٢٩ - باب ذكر القين والحداد
- ٧٧/ ١٩ ٤١٦٠/ ١١ أفرايت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً
- ٥١ - باب الكيل على البائع
- ٣/ ٨٣ ٦٠٩٢/ ١٧ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون
- ١٠٠ - باب شراء المملوك من الحر بن وهبته وعتقه
- ٧١/ ١٦ ٣٨٣١/ ١٠ والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم

٣٧ - كتاب الإجارة

٤٧٠٢/١٣ إن خير من استأجرت القوى الأمين ٢٦/٢٨

٢٠ - باب كسب البغى

٤٥١٩/١٢ ولا تكروهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا ٣٣/٢٤

٣٩ - كتاب الكفالة

٢ - باب

١٢١٠/٥ والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصابهم ٣٣/٤

٤١ - كتاب الحرث والمزارعة

١ - باب فضل الزرع والفرس

٥٦٥٦/١٦ أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ٦٣/٥٦

٤٢ - كتاب المساقاة

٤٢٦٦/١١ وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ٣٠/٢١

٥٦٥٧/١٦ أفرايتم الماء الذى تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ٦٩/٥٦

٤٣ - كتاب الاستقراض وأداء الديون

٣ - باب أداء الديون

١٣٣٠/٥ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ٨٥/٤

١٩ - باب ما ينهى عن إضاعة المال

٥٠٨/٣ والله لا يحب الفساد ٢٠٥/٢

٣٣٨٥/٩ لا يصلح عمل المفسدين ٨١/١٠

٣٤٧٨/٩ أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن تفعل فى أموالنا ما نشاء ٨٧/١١

١١٢٤/٥ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ٥/٤

٤٦ - كتاب المظالم

٣٧٣٦/١٠ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار

٣٧٣٧/١٠ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب

٢ - باب

٣٤٢٤/٩ ألا لعنة الله على الظالمين ١٨/١١

٦ - باب الانتصار من الظالم

١٦٢٦/٥ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ١٤٨/٤

٥٢٤٩/١٤ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ٣٩/٤٢

٧ - باب عفو المظلوم

١٦٣٠/٥ إن تبدوا خيرا أو تحفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا ١٤٩/٤

٥٢٥٠/١٤ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب ٤٠/٤٢

الظالمين

٥٢٥٢/١٤ وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل ٤٤/٤٢

١٥ - باب

٥٠٨/٣ وهو الدّ الخصاص ٢٠٤/٢

٤٨ - كتاب الرهن

٧٢٣/٣ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فرهان مقبوضة ٢٨٣/٢

٤٩ - كتاب العتق

٦١٦٢/١٧ فك رقبة * أو إطعام في يوم ذى مسغبة * يتيا ذا مقربة ١٥ - ١٣/٩٠

- ١٣ - باب من ملك من العرب رقيقا
٣٨٣٤/١٠ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء
٧٥/١٦
١٥ - باب قول النبي ﷺ : العبيد إخوانكم
١٢٢٦/ ٥ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا . . وما ملكت ٤ ٣٦/
أيمانكم
١٧ - باب كراهة التناول على الرقيق
٤٥١٦/١٢ والصالحين من عبادكم وإمائكم
٣٢/٢٤
٣٨٣٤/١٠ عبدا مملوكا
٧٥/١٦
٣٥٣١/ ٩ وألفيا سيدها لدى الباب
٢٥/١٢
١١٩٤/ ٥ من فتياتكم المؤمنات
٢٥/٤

٥٠ - كتاب المكاتب

- ١ - باب المكاتب ونجومه في كل سنة
٤٥١٩/١٢ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت إيمانكم فكتبوهم
٣٣/٢٤
٥١ - كتاب الهبة

- ١٥ - باب هبة المرأة لغير زوجها
١١٢٤/ ٥ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم
٥/ ٤
٢٩ - باب الهدية للمشركين

- ٥٧٦٨/١٦ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم
٨/٦٠ أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم

- ٣٢ - باب ما قيل في العمرى
٣٤٦١/ ٩ استعمركم فيها
٦١/١١

٥٢ - كتاب الشهادات

١ - باب ما جاء في البينة على المدعي

- ٣ / ٧١٩ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ٢ / ٢٨٢
٥ / ١٦٠٤ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم ٤ / ١٣٥
٥ - باب الشهداء عدول

- ١٦ / ٥٨٣٦ وأشهدوا ذوي عدل منكم ٢ / ٢٨٢
٣ / ٧١٩ ممن ترضون من الشهداء

٨ - شهادة القاذف والسارق والزاني

- ١٢ / ٤٤٤٨ ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ٤ / ٢٤
١٠ - باب ما قيل في شهادة الزور
١٢ / ٤٥٩٨ والذين لا يشهدون الزور

١٢ - باب شهادة النساء

- ٣ / ٧١٩ فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ٢ / ٢٨٢
١٨ - باب بلوغ الصبيان وشهادتهم
١٢ / ٤٥٤٨ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا
٣٠ - باب القرعة في المشكلات
٤ / ٨٤٢ إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ٣ / ٤٤

٥٣ - كتاب الصلح

١ - باب ما جاء في الإصلاح بين الناس

- ٥ / ١٥٤٢ لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح ٤ / ١١٤
بين الناس

٤ - باب

- ٥ / ١٧٩٣ أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير ٤ / ١٢٨

٥٥ - كتاب الوصايا

١ - باب الوصايا

- ٢ / ٤٠٦ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً
- ٢ / ١٨٠
- ٨ - باب
- ٥ / ١١٣٨ من بعد وصية يوصى بها أو دين
- ٤ / ١١
- ٩ - باب
- ٥ / ١١٤٥ من بعد وصية يوصون بها أو دين
- ٤ / ١٢
- ١٨ - باب
- ٥ / ١١٣١ وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين
- ٤ / ٨
- ٢١ - باب
- ٥ / ١١٠٠ وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب
- ٤ / ٢
- ٢٢ - باب
- ٥ / ١١٢٦ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح
- ٤ / ٦
- ٢٣ - باب
- ٥ / ١١٣٦ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً
- ٤ / ١٠
- ٢٤ - باب
- ٣ / ٥٥٥ ويستلونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير
- ٢ / ٢٢٠
- ٣٥ - باب
- ٦ / ٢١٩٤ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية ٥ / ١٠٦
- اثنتان ذوا عدل منكم

٥٦ - كتاب الجهاد

١ - باب فضل الجهاد والسير

- ٨ / ٣٢٧٢ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
- ٩ / ١١١

٢ - باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله

٥٧٩٢/١٦ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم

٦ - باب الحور العين وصفتهن

٥٤/٤٤

٢٠/٥٢

٥٣١٥/١٤ } وزوجناهم بحور عين
٥٥٤٤/١٥ }

٨ - باب فضل من يصرع في سبيل الله فاته فهو منهم

١٤٩٥/٥ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت

١١ - باب

٥٢/٩

٨ ٣١٧٣/ هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين

١٢ - باب

٢٣/٣٣

١٣ ٤٨٣٧/ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

١٣ - باب عمل صالح قبل القتال

٢/٦١

١٦ ٥٧٨١/ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون

١٦ - باب من اغترب قدما في سبيل الله

١٢٠/٩

٨ ٣٢٩٥/ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله

١٩ - باب

١٦٩/٣

٤ ١٠٣٢/ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا

٣١ - باب

٩٥/٤

٥ ١٤٨١/ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر

٣٣ - باب التحريض على القتال

٨٤/٤

٦٥/٨

٥ ١٤١٥/ } حرّض المؤمنين على القتال
٨ ٣٠٣٢/ }

- ٤٥ - باب من احتبس فرسا ٨ / ٣٠٣٢ ومن رباط الخيل
٦٠ / ٨
٤٨ - باب الخيل لثلاثة
٨ / ١٦
٣٧٨٠ / ١٠ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
٧٣ - باب فضل رباط يوم في سبيل الله
٣ / ١٠٨٠ يا أيها الذين آمنوا اصبروا
٢٠٠ / ٣
٧٨ - باب التحريض على الرمي
٨ / ٣٠٢٤ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
٦٠ / ٨
١٠٢ - باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام
٣ / ٨٧٣ ما كان لبشر أن يؤتيه الله
٧٩ / ٣
١١٠ - باب البيعة في الحرب أن لا يفروا
١٨ / ٤٨
٥٤١٦ / ١٥ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة
١١٢ - باب استئذان الرجل الإمام
١٢ / ٤٥٥٦ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع
٦٢ / ٢٤
١٢٣ - باب حمل الزاد في الفزو
٣ / ٤٩٢ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى
١٩٧ / ٢
١٤١ - باب الجاسوس
١ / ٦٠
٥٧٥٨ / ١٦ لا تتخذوا عدوئى وعدوكم أولياء
١٨٩ - باب القلول
٤ / ١٠٢٤ ومن يغفل يأت بما غل
٣ / ١٦١
٥٧ - كتاب فرض الخمس
٤ - باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ
١٢ / ٤٨٤٨ وقرن في بيوتكن
٣٣ / ٣٣

رقم الجزء والصفحة	رقم السورة والآية
٤٨٩١/١٢	٥٣/٣٣
لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم	
٧ - باب	
٢٩٩٧/٨	٤١/٨
فأن لله خمسة	
٨ - باب قول النبي ﷺ: أحلت لكم الفقاتم	
٥٤١٨/١٥	٢٠/٤٨
وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها	
٥٨ - كتاب الجزية والموادعة	
١ - باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب	
٣١٠٥/٨	٢٩/٩
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر	
١٢ - باب الموادعة والمصالحة مع المشركين	
٣٠٢٧/٨	٦١/٨
وإن جنحوا للسلم فاجنح لها	
١٥ - باب ما يحذر من الغدر	
٣٠٢٧/٨	٦٢/٨
وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله	
١٦ - باب كيف ينبذ إلى أهل العهد	
٣٠٢١/٨	٥٨/٨
وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء	
١٧ - باب إثم من عاهد ثم غدر	
٣٠٢٠/٨	٥٦/٨
الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم	
٥٩ - كتاب بدء الخلق	
١ - باب	
٤٧٧٤/١٣	٢٧/٣٠
وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه	
٥٤٨٨/١٥	١٥/٥٠
أفعمينا بالخلق الأول	
٥٥١٦/١٥	٣٨/٥٠
وما مسنا من لغوب	
٥٩٣٤/١٦	١٤/٧١
وقد خلقكم أطوارا	

رقم الجزء والصفحة رقم السورة والآية

- ٢ - باب ماجاء فى سبع ارضين
١٢/٦٥ ٥٨٤٧/١٦ الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلين
- ٣ - باب فى النجوم
٥/٦٧ ٥٨٨٠/١٦ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
- ٥ - باب
٥٧/ ٧ ٢٧٥٧/ ٧ وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
- ٦٩/١٧ ٣٩٥٠/١٠ فيرسل عليكم قاصفا من الريح
- ٢٢/١٥ ٣٧٥٣/١٠ وارسلنا الرياح لواقح
- ٢٦٦/ ٢ ٦٨٢/ ٣ فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت
- ١١٧/ ٣ ٩٤٥/ ٤ كمثل ريح فيها صرر
- ٦ - باب ذكر الملائكة
١٦٥/٣٧ ٥٠٦٩/١٤ لنحن الصافون
- ٨ - ما جاء فى صفة الجنة وانها مخلوقة
٢٥/ ٢ ٨١/ ٢ أزواج مطهرة
- ١٥/ ٣ ٨٠٦/ ٣ «
- ٥٧/ ٤ ١٣٢٩/ ٤ «
- ٢٥/ ٢ ٨١/ ٢ كلما رزقوا منها
- ٢٣/٦٩ ٥٩١٥/١٦ قطوفها دانية
- ١٤/٧٦ ٦٠١٣/١٧ وذللت قطوفها تذليلا
- ٣١/١٨ ٤٠٥٦/١١ متسكنين فيها على الأرائك
- ٥٦/٣٦ ٥٠١٢/١٤ على الأرائك متكئون
- ٢٣/٨٣ ٦١٠٠/١٧ على الأرائك ينظرون
- ٣٥/٨٣ ٦١٠٣/١٧ «

(تابع) ٣ - فهرس موضوعات القرآن حسب صحيح البخارى

رقم الجزء والصفحة	رقم السورة والآية
٦٠١٢/١٧	ولقاهم نضرة وسررا ١١/٧٦
٦١٠٠/١٧	تعرف في وجوههم نضرة النعيم ٢٤/٨٣
٦٠١٤/١٧	عينا فيها تسمى سلسيلا ١٨/٧٦
٥٠٣٦/١٤	لا فيها غول ولا هم عنها يزفون ٤٧/٣٧
٥٦٤٨/١٦	لا يصدعون عنها ولا يزفون ١٩/٥٦
٦٠٣٨/١٧	وكأسا دهاقا ٣٤/٧٨
٦٠٣٨/١٧	وكواعب أترابا ٣٣/٧٨
٦١٠٠/١٧	يسقون من رحيق مختوم ٢٥/٨٣
٦١٠١/١٧	ومزاجه من تسنيم ٢٧/٨٣
٦١٠٠/١٧	ختامه مسك ٢٦/٨٣
٥٦٣٢/١٥	فيهما عينان نضاختان ٦٦/٥٥
٥٦٤٨/١٦	على سرر موضونة ١٥/٥٦
٥٦٤٨/١٦	بأكواب وأباريق وكأس من معين ١٨/٥٦
٥٦٥١/١٦	عُرْبًا أترابًا ٣٧/٥٦
٥٦٦٧/١٦	فَرَوْحٌ وَريحانٌ وجنة نعيم ٨٩/٥٦
٥٦٥٠/١٦	وطلع منضود ٢٩/٥٦
٦٥٥٠/١٦	في سدر مخضود ٢٨/٥٦
٥٦٥١/١٦	وفرش مرفوعة ٣٤/٥٦
٥٦٤٨/١٦	لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيا ٢٥/٥٦
٥٦٢٩/١٥	ذواتا أفنان ٤٨/٥٥
٥٦٣٠/١٥	وجنّ الجنّتين دانٍ ٥٤/٥٥
٥٦٣١/١٥	مداهمتان ٦٤/٥٥

(تابع) ٣- فهرس موضوعات القرآن حسب صحيح البخارى

رقم الجزء والصفحة

رقم السورة والآية

١١- باب صفة إبليس وجنوده

٨/٣٧	وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ٥٠٢٧/١٤
٩/٣٧	دَحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ٥٠٢٨/١٤
١١٧/٤	وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ١٥٦٤/٥
١١٩/٤	فَلْيَبْتَكَنْ أَذَانُ الْأَنْعَامِ ١٥٦٧/٥
٦٤/١٧	وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَاعْتَ مِنْهُمْ بِصُوتِكَ ٣٩٤٧/١٠
٦٢/١٧	لَا تَحْتَكِنْ ذُرِيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ٣٩٤٦/١٠
٥١/٣٧	إِنِّي كَانُ لِي قَرِينٌ ٥٠٣٨/١٤
٣٦/٤٣	فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ٥٢٧٢/١٤

١٢- باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم

١٣٠/٦	يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِنْكُمْ ٢٥٠٦/٦
١٥٨/٣٧	وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ٥٠٦٦/١٤
١٥٨/٣٧	وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْجِنَّ مِنْهُمْ لَخُمُرُونَ ٥٠٦٦/١٤

١٣- باب

٢٩/٤٦	وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ٥٣٥٧/١٥
-------	---

١٤- باب

١٦٤/٢	وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ٣٥٥/٣
١٠/٣١	» » » ٤٧٩٤/١٣

٦٠- كتاب الأنبياء

١- باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته

٢٦/١٥	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ ٣٧٥٤/١٠
٢٨/١٥	إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ ٣٧٥٥/١٠
٣٣/١٥	لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ ٣٧٥٥/١٠
١٤/٥٥	خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ ٥٦١٧/١٥

رقم الجزء والصفحة	رقم السورة والآية
١٩١٩/ ٧	١٨٩/ ٧
٢٦٢٠/ ٧	١٢/ ٧
٩٤/ ٢	٣٠/ ٢
٦١٢١/ ١٧	٤/ ٨٦
٦١٦٠/ ١٧	٤/ ٩٠
٢٦٤٤/ ٧	٢٦/ ٧
٥٦٥٤/ ١٦	٥٨/ ٥٦
٦١٢٢/ ١٧	٨/ ٨٦
٦٢٠١/ ١٧	٤/ ٩٥
٦٢٠١/ ١٧	٥/ ٩٥
٥٠٣١/ ١٤	١١/ ٣٧
٥٦٥٥/ ١٦	٦١/ ٥٦
٩٤/ ٢	٣٠/ ٢
١١٠/ ٢	٣٧/ ٢
١٠٩/ ٢	٣٦/ ٢
٦٦٨/ ٣	٢٥٩/ ٢
٥٣٨٠/ ١٥	١٥/ ٤٧
٣٧٥٥/ ١٠	٢٦/ ١٥
٢٦٤١/ ٧	٢٢/ ٧
٢٦٣٩/ ٧	٢٠/ ٧
٤٢١٥/ ١١	١٢١/ ٢٠
٤٢١٥/ ١١	١٢١/ ٢٠
١٠٩/ ٢	١١١/ ٢١

- ٣ - باب
- ٧ / ٢٧٦٠ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه
- ٧ / ٥٩
- ٤ - باب
- ١٤ / ٥٠٥٩ وإن إلياس لمن المرسلين
- ٣٧ / ١٢٣
- ٥ - باب
- ١١ / ٤١٥١ ورفعناه مكانا عليا
- ١٩ / ٥٧
- ٦ - باب
- ٧ / ٢٧٦٧ وإلى عاد أخاهم هودا
- ١٥ / ٥٣٥٢ إذ أنذر قومه بالأحقاد
- ١٩ / ٥٩١١ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية
- ٦٩ / ٦
- ٧ - قصة يأجوج ومأجوج
- ١١ / ٤١٠٢ قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج
- ١٨ / ٩٤
- ١١ / ٤٠٩٩ ويستلونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا
- ١٨ / ٨٣
- ٨ - باب
- ٥ / ١٥٧٦ واتخذ الله إبراهيم خليلا
- ١٠ / ٣٨٧٤ إن إبراهيم كان أمة قانتا
- ٩ / ٣٤٦٨ إن إبراهيم لحليم أواه منيب
- ١١ / ٧٥
- ٩ - باب
- ١٤ / ٥٠٤٨ فأقبلوا إليه يرفقون
- ٣٧ / ٩٤
- ١١ / ٤٣١٠ وهم من كل حذب ينسلون
- ٢١ / ٩٦
- ١٤ / ٥٠١١ فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون
- ٣٦ / ٥١
- ١١ - باب
- ١٠ / ٣٧٥٨ ونبئهم عن ضعف إبراهيم
- ١٠ / ٦٧١ ولكن ليطمئن قلبي
- ٢ / ٢٦٠

١٢ - باب

٥٤/١٩

١١/٤١٥٠ واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان كان صادق الوعد

١٤ باب

١٣٣/ ٢

٢/ ٢٦٦ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت

١٥ - باب

٥٤/٢٧

١٣/٤٦٧٤ ولوطا إذ قال لقومه

١٦ - باب

٦١/١٥

١٠/٣٧٦٠ فلما جاء آل لوط المرسلون

١٧ - باب

٧٣/ ٧

٧/ ٢٧٨٢ وإلى نود أخاهم صالحا

٨٠/١٥

١٠/٣٧٦٦ كذب أصحاب الحجر المرسلين

١٨ - باب

١٣٣/ ٢

٢/ ٢٦٦ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت

١٩ - باب

٧/١٢

٩/ ٣٥١٣ لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين

٢٠ - باب

٨٣/٢١

١١/٤٢٩٧ وأيوب إذ نادى ربه أنى مستنى الضر

٢١ - باب

٥١/١٩

١١/٤١٤٩ واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصا

٢٨/٤٠

١٤/٥١٦٣ وقال رجل مؤمن من آل فرعون

٢٢ - باب

٩/٢٠

١١/٤١٧١ وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا

٢٨/٤٠	باب - ٢٣	٥١٦٣/١٤ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه
٩/٢٠	باب - ٢٤	٤١٧١/١١ وهل أتاك حديث موسى
١٦٤/٤		١٧٢٣/٥ وكلم الله موسى تكليماً
١٤٢/٧	باب - ٢٥	٢٨٤٩/٧ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر
١٣٨/٧	باب - ٢٩	٢٨٤٦/٧ يمعفون على أصنام لهم
١٣٩/٧		٢٨٤٦/٧ إن هؤلاء متبر ما هم فيه
٧/١٧		٣٩٠٣/١٠ وليتبروا ما علوا تتبيرا
٦٧/٢	باب - ٣٠	١٥٢/٢ وإذا قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة
١١/٦٦	باب - ٣٢	٥٨٦٩/١٦ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون
٧٦/٢٨	باب - ٣٣	٤٧٢٥/١٣ إن قارون كان من قوم موسى
٨٥/٧	باب - ٣٤	٢٨١٠/٧ وإلى مدين أخاهم شعيبا
١٣٩/٣٧	باب - ٣٥	٥٠٦١/١٤ وإن يونس لمن المرسلين
١٦٣/٧	باب - ٣٦	٢٨٨٧/٧ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر

رقم الجزء والصفحة	رقم السورة والآية
١٧٢٢/ ٥	٣٧ - باب
١٦٣/ ٤	٣٩ - باب
٥٠٨٤/١٤	٤٠ - باب
١٧/٣٨	٤١ - باب
٥٠٩٨/١٤	٤٢ - باب
٣٠/٣٨	٤٣ - باب
٤٧٩٥/١٣	٤٤ - باب
١٢/٣١	٤٥ - باب
٤٩٩٥/١٤	٤٦ - باب
١٣/٣٦	٤٧ - باب
٢/١٩	٤٨ - باب
٤١٢٥/١١	٤٩ - باب
١٤٣١/١١	٥٠ - باب
٨٤٠/ ٤	٥١ - باب
٤٢/ ٣	٥٢ - باب
٨٤٤/ ٤	٥٣ - باب
٤٥/ ٣	٥٤ - باب
٢١٠٦/ ٦	٥٥ - باب
٧٧/ ٥	٥٦ - باب
٤١٣١/١١	٥٧ - باب

٥٢ - باب

٩/١٨

٤٠٢٥/١١ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم

٦١ - كتاب المناقب

١ - باب

١٣/٤٩

٥٤٦٧/١٥ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى

٢٦ - باب

١٤٦/ ٢
٢٠/ ٧

٣٠٤/ ٢ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

٦٣ - كتاب مناقب الأنصار

١ - باب

٩/٥٩

٥٧٤٠/١٦ والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم

٣٢ - باب ذكر الجن

١/٧٢

٥٩٤٣/١٦ قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن

٤١ - حديث الإسماء

٣٨٨٣/١٠ سبحان الذى أمرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ١/١٧

٦٤ - كتاب المغازى

٣ - باب قصة غزوة بدر

١٢٣/ ٣

٩٦٠/ ٤ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة

٤ - باب

٩/ ٨

٢٩٥٦/ ٨ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم

١٧ - باب غزوة أحد

١٢١/ ٣

٩٥٣/ ٤ وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال

- ١٨ - باب
٤ / ٩٥٩ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ٣ / ١٢٢
- ١٩ - باب
٤ / ١٠١٣ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ٣ / ١٥٥
- ٢٠ - باب
٤ / ٩٩٩ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ٣ / ١٥٣
- ٢١ - باب
٤ / ٩٦٨ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم ٣ / ١٢٨
- ٢٥ - باب
٤ / ١٠٣٨ الذين استجابوا لله والرسول ٣ / ١٧٢
- ٣٤ - حديث الإفك
١٢ / ٤٤٥٩ إن الذين جاءوا بالإفك ٤ / ١١
- ٣٥ - باب غزوة الحديبية
١٥ / ٥٤١٦ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ٤٨ / ١٨
- ٥٤ - باب
٨ / ٣٠٩٢ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ٩ / ٢٥
- ٧٩ - باب حديث كعب
٨ / ٣٢٨٧ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ٩ / ١١٨
- ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ
١٤ / ٥١٣٩ إنك ميت وإنهم ميتون * ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ٣٩ / ٣١ و٣٠
- ٦٦ - كتاب فضائل القرآن
٢ - باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب
٩ / ٣٥٠٢ قرآنا عربيا ١٢ / ٢

- ١٩ - باب من لم يتغن بالقرآن ، وقوله تعالى :
 ٤٧٥٨/١٣ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم
 ٥١/٢٩
 ٢٦ - باب نسيان القرآن ، وقول الله تعالى :
 ٦١٣٠/١٧ سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله
 ٦/٨٧
 ٢٨ - باب الترتيل فى القراءة ، وقوله تعالى :
 ٥٩٥٨/١٦ ورتل القرآن ترتيلا
 ٤/٧٣
 ٣٤ - باب فى كم يقرأ القرآن ، وقول الله تعالى .
 ٥٩٦٣/١٦ فاقروا ما تيسر منه
 ٢٠/٧٣

٦٧ - كتاب النكاح

- ١ - باب الترغيب فى الفكاح ، لقوله تعالى :
 ١١٠٤/٥ فانكحوا ما طاب لكم من النساء
 ٣/٤
 ١٤ - باب تزويج المعسر ، لقوله تعالى :
 ٤٥١٦/١٢ إن يكونوا فقراء يغفهم الله من فضله
 ٣٢/٢٤
 ١٥ - باب الأكفاء فى الدين . وقوله :
 ٤٥٨٤/١٢ وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً
 ٥٤/٢٥
 باب ما يلقى من شؤم المرأة ، وقوله تعالى :
 ٥٨٢٤/١٦ إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم
 ١٤/٦٤
 ١٩ - باب لا يتزوج أكثر من أربع ، لقوله تعالى :
 ١١٠٤/٥ مثنى وثلاث ورباع
 ٣/٤
 ٢٠ - باب
 ١١٧٣/٥ وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم
 ٢٣/٤
 ٢١ - باب من قال لارضاع بعد حولين ، لقوله تعالى :
 ٦٠٩/٣ حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة
 ٢٣٣/٢

- ٢٤ - باب ما يحل من النساء وما يحرم ، وقوله تعالى :
 ١١٧٣/ ٥ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم
 ٢٣/ ٤
 ٢٥ - باب
 ١١٧٣/ ٥ وربائبكم اللاتي في حجوركم
 ٢٣/ ٤
 ٢٦ - باب
 ١١٧٣/ ٥ وأن تجمعوا بين الأختين إلى ما قد سلف
 ٢٣/ ٤
 ٣٤ - باب
 ٦١٥/ ٣ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء
 ٢٣٥/ ٢
 ٣٥ - باب من قال لا نكاح إلا بولي ، لقول الله تعالى :
 ٢٣٢/ ٢
 ٦٠٨/ ٣ فلا تمضوهن
 ١٩/ ٤
 ١١٥٦/ ٥ ولا تمضوهن
 ٣٨ - باب إنكاح الرجل أولاده الصغار ، لقوله تعالى :
 ٤/ ٦٥
 ٥٨٣٩/ ١٦ واللاتي لم يحضن
 ٤٣ - باب تزويج اليتيمة لقوله تعالى :
 ٣/ ٤
 ١١٠٤/ ٥ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
 ٤٩ - باب
 ١١٢٢/ ٥ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة
 ٤/ ٤
 ٨١ - باب
 ٥٨٦٦/ ١٦ قوا أنفسكم وأهليكم نارا
 ٦/ ٦٦
 ٩١ - باب
 ١٢١٢/ ٥ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض
 ٣٤/ ٤
 ٩٥ - باب
 ١٥٩٣/ ٥ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً
 ١٢٨/ ٤

١٢٣ - باب

٤٥٠٩/١٢ ولا يبدین زینتهنّ إلا لبعولتهنّ ٣١/٢٤

١٢٤ - باب

٤٥٤٦/١٢ والذین لم يبلغوا الحلم ٥٨/٢٤

٦٨ - کتاب الطلاق

١ - باب

٥٨٢٩/١٦ یا أيها النبیّ إذا طلقتم النساء ١/٦٥

٤ - باب من أجاز طلاق الثلاث ، لقول الله تعالى :

٥٨٦/ ٣ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ٢٢٩/ ٢

٥ - باب من خیر نساءه ، وقول الله تعالى :

٤٨٤٥/١٣ قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا ٢٨/٣٣

٨ - باب

٥٨٥٢/١٦ لم تحرم ما أحل الله لك ١/٦٦

٩ - باب لا طلاق قبل الفكاح وقول الله تعالى :

٤٨٨١/١٣ یا أيها الذین آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ٤٩/٣٣

١٢ - باب الخلع وكيف الطلاق فيه ، وقول الله تعالى :

٥٨٦/ ٣ ولا يحل لکم أن تأخذوا مما آتیتموهن شیئا ٢٢٩/ ٢

١٣ - باب الشقاق وهل يشير بالخلع عند الضرورة ، وقوله تعالى :

١٢٢٣/ ٥ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حکما من أهله ٣٥/ ٤

١٨ - باب

٥٥٨/ ٣ ولا تنكحوا المشرکات حتی يؤمننّ ٢٢١/ ٢

٢١ - باب

٥٧٨/ ٣ للذین یؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ٢٢٦/ ٢

- ٢٣ - باب
١/٥٨ ٥٧٠٥/١٦ قد سمع الله قول التى تجادل فى زوجها
٢٤ - باب اللعان ، وقول الله تعالى :
٦/٢٤ ٤٤٥٥/١٢ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم
٣٨ - باب
٤/٦٥ ٥٨٣٩/١٦ واللاتى يئسن من المحيض من نسائكم
٣٩ - باب
٤/٦٥ ٥٨٣٩/١٦ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن
٤٠ - باب
٢٢٨/ ٢ ٥٨١/ ٣ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء
٤١ - باب
١/٦٥ ٥٨٢٩/١٦ واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن
٤٣ - باب
٢٢٨/ ٢ ٥٨١/ ٣ ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن
٤٤ - باب
٢٢٨/ ٢ ٥٨١/ ٣ وبعولتهن أحق بردهن
٥٠ - باب
٢٣٤/ ٢ ٦١٢/ ٣ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا
٢٤٠/ ٢ ٦٣١/ ٣ » » » »
٥٣ - باب الميعة التى لم يفرض لها لقوله تعالى :
٢٣٦/ ٢ ٦١٨/ ٣ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن

٦٩ - كتاب النفقات

١ - باب فضل النفقة على الأهل

٥٥٠/ ٣ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو

٤ - باب

٦٠٩/ ٣ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة

١٤ - باب

٦٠٩/ ٣ وعلى الوارث مثل ذلك

٧٠ - كتاب الأطعمة

١ - باب

١٣١/ ٢ كلوا من طيبات ما رزقناكم

٣٧٧/ ٣ » » »

٢٨٨٥/ ٧ » » »

٤١٩٨/ ١١ » » »

٦٨٣/ ٣ أنفقوا من طيبات ما كسبتم

٤٤٠٢/ ١٢ كلوا من الطيبات واعملوا صالحا

٧ - باب

٥٤١٤/ ١٥ ليس على الأعْمى حرج

١٤ - باب الشواء ، وقول الله تعالى :

٣٤٦٤/ ٩ فجاء بمعجل حنيذ

٤١ - باب الرطب والتمر ، وقول الله تعالى :

٤١٣٤/ ١١ وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً

٥٩ - باب

٤٨٩١/ ١٣ فإذا طعمتم فانتشروا

٤١

٧٢ - كتاب الذبائح والصيد

- ٦ / ٢١٥٣ يا أيها الذين آمنوا ليملنكم الله بشيء من الصيد
٦ / ١٧٩١ أحلت لكم بهيمة الأنعام
باب إذا أكل السكب
٦ / ١٨٤٣ يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات
باب
٦ / ٢١٥٧ أحل لكم صيد البحر
باب التسمية على الذبيحة
٦ / ٢٤٨٢ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
باب ذبائح أهل الكتاب
٦ / ١٨٥٨ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم
باب أكل المضطر
٣ / ٣٧٧ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
٦ / ١٨١١ فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم
٦ / ٢٤٧٨ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
٦ / ٢٥٣٣ قل لا أجد فيها أوحى إلى محرّما على طاعم يطعمه
١٠ / ٣٨٧٠ فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا

٧٤ - كتاب الأشربة

- ٥ / ٢١٤٢ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام
باب شرب اللبن
١٠ / ٣٨٢٣ من بين فرث ودم لبنا خالصا
باب شرب الجلواء
٥ / ١٨٥٨ أحل لكم الطيبات

٧٥ - كتاب المرضى

باب ما جاء فى كفارة المرض

١٥٧٣/٥ من يعمل سوءا يجز به ٤/١٢٣

باب

٤٢٩٧/١١ أنى مسنى الضرّ وأنت أرحم الراحمين ٢١/٨٣

٧٦ - كتاب الطب

باب الدواء بالعسل

٣٨٢٦/١٠ فيه شفاء للناس ١٦/٦٩

باب السحر

٢٠٧/٢ ولكن الشياطين كفروا ٢/١٠٢

٧٧ - كتاب اللباس

٢٦٧٠/٧ قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده ٧/٣٢

باب لبس القميص

٣٥٩٠/٩ اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى ١٢/٩٣

٧٨ - كتاب الأدب

٤٧٣٨/١٣ ووصينا الإنسان بوالديه ٢٩/٨

٤٧٩٧/١٣ » » » ٣١/٤

٥٣٤٧/١٥ » » » ٤٦/١٥

باب الوصاة بالجار

١٢٢٦/٥ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ٤/٣٩

(تابع) ٣ - فهرس موضوعات القرآن حسب صحيح البخارى

رقم السورة والآية

رقم الجزء والصفحة

باب

٨٥/ ٤

١٤١٩/ ٥ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها

باب

١١/ ٤٩

٥٤٥٧/ ١٥ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم

باب

١٢/ ٤٩

٥٤٦٢/ ١٥ ولا يغتب بعضكم بعضا

باب ما يكره من النيمة

١١/ ٦٨

٥٨٩٤/ ١٦ هازم شاء بنعيم

١/ ١٠٤

٦٢٥٤/ ١٧ ويل لكل همزة لمزة

باب

٣٠/ ٢٢

٤٣٣٧/ ١٢ واجتنبوا قول الزور

باب

٩٠/ ١٦

٣٨٥٠/ ١٠ إن الله يأمر بالعدل والإحسان

باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير

٥/ ١١٣

٦٣٠٥/ ١٧ ومن شر حاسد إذا حسد

باب

١٢/ ٤٩

٥٤٦٢/ ١٥ يا أيها الذين آمنوا اجعلوا كثيرا من الظن

باب

١١٩/ ٩

٣٢٨٨/ ٨ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

باب الصبر على الأذى

١٠/ ٣٩

٥١٣٢/ ١٤ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب

باب الحذر من الغضب

٣٧/ ٤٢

٥٢٤٨/ ١٤ وإذا ما غضبوا هم يغفرون

باب إكرام الضيف

٢٤/ ٥١ ٥٥٣٠/١٥ ضيف إبراهيم المكرمين

باب ما يجوز من الشعر والرجز

٢٢٤/ ٢٦ ٤٦٤٩/١٣ والشعراء يتبهمم الفاوون

باب علامة حب الله عز وجل

٣١/ ٣ ٨٢٨/ ٤ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

باب رفع البصر إلى السماء

١٧/ ٨٨ ٦١٣٩/١٧ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت

٧٩ - كتاب الاستئذان

٥٣/ ٣٣ ٤٨٩١/١٣ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم

باب السلام اسم من أسماء الله تعالى

٨٦/ ٤ ١٤٢٣/ ٥ وإذا حميتم بتحية فحيوا بأحسن منها

باب آية الحجاب

٥٣/ ٣٣ ٤٨٩١/١٣ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي

باب

١١/ ٥٨ ٥٧١٨/١٦ إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس

باب لا يتفاجى اثنان

٩/ ٥٨ ٥٧١٦/١٦ يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم

باب طول النجوى

٤٧/ ١٧ ٣٩٣٧/١٠ وإذ هم نجوى

باب كل لهو باطل

٦/ ٣١ ٤٧٩٣/١٣ ومن الناس من يشتري لهو الحديث

٨٠ - كتاب الدعوات

- ٥٤٢٦/١٤ ادعوني أستجب لكم ٦٠/٤٠
 ٥١٧٦/١٤ إن الذين يستكبرون عن عبادتى ٦٠/٤٠
 باب أفضل الاستغفار
 ٥٩٣٤/١٦ استغفروا ربكم إنه كان غفارا ١٠/٧١
 ٩٧٦/ ٤ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ١٣٥/ ٣
 باب التوبة
 ٥٨٦٧/١٦ توبوا إلى الله توبة نصوحا ٨/٦٦
 باب
 ٣٢٥١/ ٨ وصلّ عليهم ١٠٣/ ٩

٨١ - كتاب الرقاق

- باب مثل الدنيا فى الآخرة
 ٥٦٩٠/١٦ اعلّموا أنّما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ٢٠/٥٧
 باب فى الأمل وطوله
 ١٠٥٧/ ٤ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ١٨٥/ ٣
 باب من بلغ ستين سنة
 ٤٩٨٦/١٤ أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ٣٧/٣٥
 باب
 ٤٨٠٧/١٣ إن وعد الله حق فلا تفرسكم الحياة الدنيا ٣٣/٣١
 باب ما يتقى من فتنة المال
 ٢٩٨٠/ ٨ إنّما أموالكم وأولادكم فتنة ٢٨/ ٨
 ٥٨٢٥/١٦ » » » » ١٥/٦٤

باب

٨٠٤/٤ زين للفاس حب الشهوات ٣/١٤

باب المسكنون هم المقلون

٣٤٢١/٩ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ١١/١٥

باب الغنى غنى النفس

٤٤٠٣/١٢ أيجسبون أنما نعدهم به من مال وبنين ٢٣/٥٥

باب الرجاء مع الخوف

٢٠٨٥/٦ لستم على شيء حتى تقيموا التوراة ٥/٦٨

باب الصبر عن محارم الله

٥١٣٢/١٤ إنما يوفى الصابرون أجرهم ٣٩/١٠

باب

٥٨٣٧/١٦ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ٦٥/٣

باب حفظ اللسان

٥٥٠٠/١٥ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ٥٠/١٨

باب

٣٨٤٠/١٠ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر ١٦/٧٧

باب

٤٣٢١/١٢ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ٢٢/١

٥٥٨٨/١٥ أزفت الآزفة ٥٣/٥٧

٥٥٩٢/١٥ اقتربت الساعة ٥٤/١

باب

٦٠٩٣/١٧ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ٨٣/٤

باب فى الحوض

٥٢٧٧/١٧ إنا أعطيناك الكوثر ١٠٨/١

٨٢ - كتاب القدر

باب جف القلم على علم الله

٢٣/٤٥ ٥٣٢٤/١٤ وأضله الله على علم

باب

٣٨/٣٣ ٤٨٦٤/١٣ وكان أمر الله قدرا مقدورا

باب

٩٥/٢١ ٤٣٠٩/١١ وحرام على قرية أهلكناها

باب

٦٠/١٧ ٣٩٤٣/١٠ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس

باب

١/١١٣ ٦٣٠٥/١٧ قل أعوذ برب الفلق

باب

٥١/٩ ٣١٧٣/٨ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا

باب

٤٣/٧ ٢٦٨٩/٧ وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

٨٣ - كتاب الأيمان والنذور

باب

٢٢٥/٢ ٥٧٧/٣ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم

٨٩/٥ ٢١٣٤/٦ » »

باب

١٠٩/٦ ٢٤٦٥/٦ وأقسموا بالله جهد أيمانهم

٣٨/١٦ ٣٨٠٩/١٠ » » » »

٥٣/٢٤ ٤٥٤٣/١٢ » » » »

٤٢/٣٥ ٤٩٨٨/١٤ » » » »

باب

- ٣٥٧/ ٥ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم
٢١٣٤/ ٦ » » » »
٢٥٥/ ٢
٨٩/ ٥

باب

- ٤٨٢٢/ ١٣ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به
٥/ ٣٣

باب اليمين الغموس

- ٣٨٥٤/ ١٠ ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم
٩٤/ ١٦

باب

- ٨٦٩/ ٤ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم
٥٧٤/ ٣ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم
٣٨٥٥/ ١٠ ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا
٧٧/ ٣
٢٢٤/ ٢
٩٥/ ١٦

باب إذا حرّم طعامه

- ٥٨٥٢/ ١٦ يا أيها النبي لم تحرم ما أحلّ الله لك
١/ ٦٦

باب الوفاء بالنذر

- ٦٠١١/ ١٧ يوفون بالنذر
٧/ ٧٦

باب النذر في الطاعة

- ٦٨٥/ ٣ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر
٢٧٠/ ٢

٨٤ - كتاب كفارات الأيمان

- ٢١٣٤/ ٦ فكفاراته إطعام عشرة مساكين
٨٩/ ٥

باب

- ٥٨٥٦/ ١٦ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم
٢/ ٦٦

باب

- ٢١٣٤/ ٦ أو تحرير رقبة
٨٩/ ٥

٨٥ - كتاب الفرائض

١١٣٨/ ٥ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين
باب

١٧٧٦/ ٥ يستفتونك قل الله يفتيكم

٨٦ - كتاب الحدود

باب

١٩٧٦/ ٦ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما

باب

١٩٥٤/ ٦ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله

باب إثم الزناة

٤٥٩٠/ ١٢ ولا يزنون

٣٩٢٥/ ١٠ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة

باب السكران يجلدان وينفیان

٤٤٢٦/ ١٢ الزانية والزاني فجلدوا كل واحد منهما

باب

١١٩٤/ ٥ ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات

باب رمى المحصنات

٤٤٤٨/ ١٢ والذين يرمون المحصنات

٨٧ - كتاب الديات

١٤٥١/ ٥ ومن يقتل مؤمنا متعمدا

باب

١٩٥١/ ٦ ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعا

- باب
٣ / ٣٩٥ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص
٢ / ١٧٨
- باب
٦ / ٢٠٠٢ أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف
٥ / ٤٥
- باب
٥ / ١٤٤٢ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا
٤ / ٩٢
- ٨٨ - كتاب استتابة المرتدين
١٣ / ٤٧٩٧ إن الشرك لظلم عظيم
٣٩ / ٦٥
- باب حكم المرتد
٤ / ٨٨٠ كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم
٣ / ٨٦
- باب قتل الخوارج
٨ / ٣٢٨٣ وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم
٩ / ١١٥
- ٨٩ - كتاب الإكراه
١٠ / ٣٨٦٢ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان
١٠ / ٣٨٦٢ ولكن من شرح بالكفر صدرا
٤ / ٨٢٢ إلا أن تتقوا منهم تقاة
٤ / ٩٧ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم

٩١ - كتاب التعبير

- باب رؤيا الصالحين
١٥ / ٥٤٢٦ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
٤٨ / ٢٧

باب رؤيا يوسف

٩ / ٣٥٠٣ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت

٤ / ١٢

باب رؤيا أهل السجون

٩ / ٣٥٣٨ ودخل معه السجنَ فتيان

٣٦ / ١٢

٩٢ - كتاب الفتن

٨ / ٢٩٧٦ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة

٢٥ / ٨

٩٣ - كتاب الأحكام

٦ / ٢١٤٥ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

٩٢ / ٥

باب أجر من قضى بالحكمة

٦ / ٢٠١٤ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون

٤٧ / ٥

باب من نكث بيمينه

١٥ / ٥٤٠١ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله

١٠ / ٤٨

٩٤ - كتاب التمنى

باب ما يكره من التمنى

٥ / ١٢٠٩ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض

٣٢ / ٤

باب ما يجوز من اللغو

٩ / ٣٤٧٢ لو أن لى بكم قوة

٨٠ / ١١

٩٥ - كتاب أخبار الآحاد

٨ / ٣٢٩٨ فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة

١٢٢ / ٩

باب

١٣ / ٤٨٩١ لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم

٥٣ / ٣٣

رقم السورة والآية

رقم الجزء والصفحة

٩٦ - كتاب الاعتصام بالسنة

باب الافتداء بسنة رسول الله ﷺ

٧٤/٢٥

٤٥٩٩/١٢ واجعلنا للمتقين إماما

باب ما يكره من القيل والقال

١٠١/ ٥

٢١٦٤/ ٦ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم

باب ما يكره من التعمق في الدين

٧٧/ ٥

٢١٠٦/ ٦ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم

باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس

٣٦/١٧

٣٩٢٨/١٠ ولا تقف ما ليس لك به علم

باب

١٠٥/ ٤

١٥٣٠/ ٥ بما أراك الله

باب

٦٥/ ٦

٣٢٥٥/ ٦ أو يلبسكم شيعا

باب ما جاء في اجتهاد القضاة

٤٤/ ٥

١٩٩٥/ ٦ ومن لم يحكم بما أنزل الله

٤٤/ ٥

٢٠٠٢/ ٦ » » » »

٤٧/ ٥

٢٠١٤/ ٦ » » » »

باب إثم من دعا إلى ضلالة

٢٥/١٦

٣٧٩٤/١٠ ومن أوزار الذين يضلونهم

باب

١٢٨/ ٣

٩٦٨/ ٤ ليس لك من الأمر شيء

باب

٥٤/١٨

٤٠٧٣/١١ وكان الإنسان أكثر شيء جدلا

رقم السورة والآية

رقم الجزء والصفحة

٤٦/٢٩ ٤٧٥٢/١٣ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن
باب

١٤٣/ ٢ ٢٨١/ ٢ وكذلك جعلناكم أمة وسطا
باب الأحكام التي تعرف بالدلائل

١١٧/٩٩ ٦٢٣٣/١٧ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
باب

٣٨/٤٢ ٥٢٤٨/١٤ وأمرهم شورى بينهم

١٥٩/ ٣ ١٠٢٠/ ٤ وشاورهم في الأمر

١٥٩/ ٣ ١٠٢٠/ ٤ فإذا عزمته فتوكل على الله

٩٧ - كتاب التوحيد

٥ ١-٣ ٢ باب

١١٠/١٧ ٤٠١١/١٠ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن

باب

٥٨/٥١ ٥٥٣٨/١٥ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين

باب

٢٦/٧٢ ٥٩٥٣/١٦ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا

٣٤/٣١ ٤٨٠٨/١٣ إن الله عنده علم الساعة

١٦٦/ ٤ ١٧٦٠/ ٥ أنزله بعلمه

٤٧/٤١ ٥٢١٤/١٤ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه

٤٧/٤١ ٥٢١٤/١٤ إليه يرد علم الساعة

باب

٢٣/٥٩ ٥٧٥٣/١٦ السلام المؤمن

باب	١٧/٦٣١١ ملك الناس	٢/١١٤
باب	١٠/٣٧٠٦ وهو العزيز الحكيم	٤/١٤
	١٤/٥٠٧٢ سبحان ربك رب العزة	١٨٠/٣٧
	١٦/٥٨١١ والله العزة ولرسوله	٨/٦٣
باب	٦/٢٣٦٦ وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق	٧٣/٦
باب	٥/١٦٠٣ وكان الله سميعا بصيرا	١٣٤/٤
باب	٦/٢٣٥٥ قل هو القادر	٦٥/٦
باب مقلب القلوب	٦/٢٤٦٩ وتقلب أفئدتهم وأبصارهم	١١٠/٦
باب	١٥/٥٦٢٠ ذو الجلال	٢٧/٥٥
	١٥/٥٥٤٥ البر الرحيم	٢٨/٥٢
باب	٤/٨٢٢ ويحذركم الله نفسه	٢٨/٣
	٤/٨٢٨ » » »	٣٠/٣
	٦/٢٢١٩ تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك	١١٦/٥
باب	١٣/٤٧٣٣ كل شئ هالك إلا وجهه	٨٨/٢٨
باب	١١/٤١٧٩ ولتصنع على عيني	٣٩/٢٠

٥٥٩٨/١٥ تجرى بأعيننا

١٤/٥٤

باب

٥٧٥٣/١٦ هو الله الخالق البارئ المصور

٢٤/٥٩

باب

٥١٢٢/١٤ لما خلقت بيدي

٧٥/٣٨

باب

٢٢٦٣/ ٦ قل أى شئ أكبر شهادة

١٩/ ٦

باب

٣٤١١/ ٩ وكان عرشه على الماء

٧/١١

باب

٥٩٢٥/١٦ تخرج الملائكة والروح إليه

٤/٧٠

٤٩٧٥/١٤ إليه يصعد الكلم الطيب

١٠/٣٥

باب

٥٩٩٥/١٦ وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة

٢٢/٧٥

باب

٢٧٥٥/ ٧ إن رحمة الله قريب من المحسنين

٩٦/ ٧

باب

٤٩٨٨/٢٤ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا

٤١/٣٥

باب

٥٠٧٠/٢٤ ولقد سبقت كلتنا لعبادنا المرسلين

١٧١/٢٧

باب

٣٨٢٠/١٠ إنما قولنا لشيء

٤٠/٢٦

باب

٤١٣٠/١١ لو كان البحر مدادا

١٠٩/١٨

رقم السورة والآية

رقم الجزء والصفحة

- باب
- ٥٦/٢٨ ٤٧١٥/١٣ إنك لاتهدى من أحببت
- باب
- ٢٣/٣٤ ٤٩٥١/١٤ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له
- ٢٥٥/٢ ٦٥٨/٣ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه
- باب
- ٦/٢٧ ٤٦٥٧/١٣ وإنك لتلقى القرآن
- باب
- ١٦٦/٤ ١٧٦٠/٥ أتزله بملامه والملائكة يشهدون
- باب
- ١٥/٤٨ ٥٤١٢/١٥ يريدون أن يبدلوا كلام الله
- ١٤ و١٣/٨٦ ٦١٢٥/١٦ إنه لقول فصل * وما هو بالهزل
- باب
- ١٦٤/٤ ١٧٢٣/٥ وكلم الله موسى تكليماً
- باب
- ١٥٢/٢ ٣١٠/٢ فاذكرونى أذكركم
- ٧١/١٠ ٣٣٨٠/٩ وأتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه
- باب
- ٢٢/٢ ٦٨/٢ فلا تجمعوا لله أنداداً
- ٩/٤١ ٥١٨٨/١٤ وتجمعون له أنداداً
- ٦٨/٢٥ ٤٥٩٠/١٢ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر
- ٦٥/٣٩ ٥١٤٨/١٤ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك
- ١٠٦/١٢ ٣٦٠٤/٩ وما يؤمن أكثر بالله إلا وهم مشركون

٤٧٦٠/١٣ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ٦١/٢٩

ليقولن الله

٥٢٩٠/١٤ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ٨٧/٤٣

٤٥٦٣/١٢٢ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ٢/٢٥

٣٧٤٨/١٠ ما نزل الملائكة إلا بالحق ٨/٢٥

٤٨٣٠/١٣ ليسأل الصادقين عن صدقهم ٨/٣٣

٣٧٤٨/١٠ وإناله لحافظون ٩/١٥

٥١٤٠/١٤ والذي جاء بالصدق وصدق به ٣٣/٣٩

باب

٥١٩٨/١٤ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ٢٢/٤١

باب

٥٦٢١/١٥ كل يوم هو في شأن ٢٩/٥٥

٤٢٤٤/١١ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ٢/٢١

٤٦٠٦/١٣ » » » » ٥/٢٦

٥٨٢٩/١٦ لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ١/٦٥

٥٢٢٤/١٤ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ١١/٤٢

باب

٥٩٩١/١٦ لا تحرك به لسانك لتعجل به ١٦/٧٥

باب

٥٨٨٣/١٦ وأمروا قولكم أو اجهروا به ١٣/٦٧

٥٨٨٤/١٦ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ١٤/٦٧

باب

٢٠٦٧/٦ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ٦٧/٥

رقم الجزء والصفحة	رقم السورة والآية
٥٩٥٦/١٦	ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم
٢٨/٧٢	
٢٧٦٣/٧	أبلغكم رسالات ربي
٦٢/٧	
باب	
٨٩١/٤	قل فأتوا بالتوراة فاتلوها
٩٣/٣	
باب	
٥٩٢٨/١٦	إن الإنسان خاق هلوعا
١٩/٧٠	
باب	
٥٩٦٣/١٦	فاقرءوا ما تيسر من القرآن
١٧/٥٤	
باب	
٥٥٩٩/١٥	ولقد يسرنا القرآن للذكر
١٧/٥٤	
٥٦٠٠/١٥	» » » »
٢٢/٥٤	
٥٦٠١/١٥	» » » »
٣٢/٥٤	
٥٦٠٢/١٥	» » » »
٤٠/٥٤	
باب	
٦١١٨/١٧	بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ
٢٣ و ٢٢/٨٥	
٥٥٤١/١٥	والطور * وكتاب مسطور
٢١/٥٢	
باب	
٥٠٤٨/١٤	والله خلقكم وما تعملون
٩٦/٣٧	
٥٦٠٦/١٥	إنا كل شيء خلقناه بقدر
٤٩/٥٤	
٢٦٩٩/٧	إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض
٥٤/٧	
باب	
٤٢٧٢/١١	ونضع الموازين بالقيسط
٤٧/٢١	

تم فهرس الموضوعات

فهرس هذا الفهرس

رقم الصفحة	رقم الصفحة
١٦ - كتاب العمرة ٢٦	٦ - كتاب الوحي ١
— - كتاب المحصر ٢٧	٦ - كتاب الإيمان ٢
١٧ - كتاب جزاء الصيد ٢٨	٩ - كتاب العلم ٣
— - كتاب الصوم ٣٠	١٠ - كتاب الوضوء ٤
— - كتاب فضل ليلة القدر ٣٢	— - كتاب الفسل ٥
— - كتاب الاعتكاف ٣٣	— - كتاب الحيض ٦
١٨ - كتاب البيوع ٣٤	١١ - كتاب التيمم ٧
١٩ - كتاب الإجارة ٣٧	— - كتاب الصلاة ٨
— - كتاب الكفالة ٣٩	١٢ - كتاب مواقيت الصلاة ٩
— - كتاب الحرث والمزارعة ٤١	— - كتاب الأذان ١٠
— - كتاب المساقاة ٤٢	— - كتاب الجمعة ١١
— - كتاب الاستقراض وأداء الديون ٤٣	١٣ - كتاب صلاة الخوف ١٢
٢٠ - كتاب المظالم ٤٦	— - كتاب العيدين ١٣
— - كتاب الرهن ٤٨	— - كتاب الاستسقاء ١٥
— - كتاب العتق ٤٩	— - كتاب الكسوف ١٦
٢١ - كتاب المسكاتب ٥٠	— - كتاب سجود القرآن ١٧
— - كتاب الهبة ٥١	١٤ - كتاب التهجد ١٩
٢٢ - كتاب الشهادات ٥٢	— - كتاب الجنائز ٢٣
— - كتاب الصلح ٥٣	— - كتاب الزكاة ٢٤
٢٣ - كتاب الوصايا ٥٥	١٥ - كتاب الحج ٢٥

رقم الصفحة	قم الصفحة
٤٥ - ٧٩ - كتاب الاستئذان	٢٣ - ٥٦ - كتاب الجهاد
٤٦ - ٨٠ - كتاب الدعوات	٢٥ - ٥٧ - كتاب فرض الخمس
— - ٨١ - كتاب الرقاق	٢٦ - ٥٨ - كتاب الجزية والموادعة
٤٨ - ٨٢ - كتاب القدر	— - ٥٩ - كتاب بدء الخلق
— - ٨٣ - كتاب الأيمان والنفور	٢٩ - ٦٠ - كتاب الأنبياء
٤٩ - ٨٤ - كتاب كفارات الأيمان	٣٥ - ٦١ - كتاب المناقب
٥٠ - ٨٥ - كتاب الفرائض	— - ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار
— - ٨٦ - كتاب الحدود	— - ٦٤ - كتاب المغازي
— - ٨٧ - كتاب الديات	٣٦ - ٦٦ - كتاب فضائل القرآن
٥١ - ٨٨ - كتاب استتابة المرتدين	٣٧ - ٦٧ - كتاب النكاح
— - ٨٩ - كتاب الإكراه	٣٩ - ٦٨ - كتاب الطلاق
— - ٩١ - كتاب التعبير	٤١ - ٦٩ - كتاب النفقات
٥٢ - ٩٢ - كتاب الفتن	— - ٧٠ - كتاب الأطعمة
— - ٩٣ - كتاب الأحكام	٤٢ - ٧٢ - كتاب الذبائح والصيد
— - ٩٤ - كتاب التمني	— - ٧٤ - كتاب الأشربة
— - ٩٥ - كتاب أخبار الآحاد	٤٣ - ٧٥ - كتاب المرضى
٥٣ - ٩٦ - كتاب الاعتصام بالله	— - ٧٦ - كتاب الطب
٥٤ - ٩٧ - كتاب التوحيد	— - ٧٧ - كتاب اللباس
	— - ٧٨ - كتاب الأدب

٤ - فهرس أسماء المؤلفين

باب الهمزة

الآلوسی المفسر

ابن أبي الحديد

ابن أبي الدنيا

ابن الأثير صاحب الكامل

ابن الأثير صاحب المثل السائر

ابن الأثير صاحب النهاية

ابن الأنباري

ابن بطلال

ابن تيمية

ابن التين

ابن جرير الطبري (أبو جعفر)

ابن الجزري

ابن جماعة

ابن جني

ابن الحاجب

ابن حجر العسقلاني

ابن حزم

ابن الحصار

ابن خرداد (ابن خُرْدَاذَبَه)

ابن خلدون

ابن دريد (أبو بكر)

ابن دقيق العيد

ابن رشد

ابن سعد

ابن السكيت

ابن السمعاني

ابن السيد

ابن سيده

ابن الطلاع (صاحب الأحكام)

ابن عبد البر

ابن عبد السلام

ابن عربي

ابن العربي (القاضي)

ابن عرفة

ابن عطية

ابن قدامة

ابن كثير (الحافظ)

ابن مالك

ابن مفلح الحنبلي

ابن منده

ابن المنذر

ابن هشام

أبو إسحاق الشاطبي

أبو إسحق النحوي	أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني
أبو إسماعيل الأنصاري	أبو منصور (صاحب التأويلات)
أبو البقاء العكبري	أبو نعيم الأصفهاني
أبو بكر الباقلاني	أبو هاشم بن خضر
أبو بكر الخلال	أبو يعلى القاضي
أبو بكر بن فورك (صاحب التأويلات)	أبو يوسف (الإمام)
أبو بكر القاضي	أحمد بن حنبل
أبو جعفر بن الزبير	أدوارسبوس
أبو حاتم (صاحب المعمرين)	ارنست دي يونس
أبو الحسن بن القطان	الأزهري
أبو حيان التوحيدى	الأسفرائيني
أبو حيان المفسر	إسماعيل القاضي والفاكهى
أبو الخطاب عمر بن دحية	الإسنوى
أبو سعد الحسن بن كرامة الجشمى الباني	الأشعري (أبو الحسن)
أبو السعود	إمام الحرمين
أبو شامة	الأموى ، صاحب المغازى
أبو العباس أحمد بن زروق	باب الباء
أبو عبد الله الشريف القرناطى	برهان الدين البقاعي
أبو عبيد	البحار
أبو على الجرجاني (صاحب النظم)	البغوى
أبو على الفارسي	البلقينى
أبو الفضل الإيراني	البيضاوى (القاضي)
أبو القاسم بن سلامة	البيهقى
أبو مسعود	

باب الخاء

الخازن
خالد (الشيخ)
الخطابي
الخيالي
خير الدين الآلوسي

باب الدال

الداني
الديلمي

باب الذال

الذهبي (الحافظ)

باب الراء

الرازي (الفخر)
الراغب الأصفهاني
الرافعي
رحمة الله الهندي
الرضي النحوي
الرضي (الشريف)

باب الزاي

الزبيدي (شارح القاموس)

باب التاء

التبريزي
التفتازاني
التوربشتي

باب الشاء

الشمالي
ثعلب
الثعلبي

باب الجيم

الجاحظ
الجاربردي
الجرجاني (السيد)
الجصاص
جمال الدين الخونشاري
الجوهري
الجويني

باب الحاء

الحارث المحاسبي
الحاكم
الحرالي

حسن چلبی (العلامة)

الشوكانيّ	الزركشيّ
الشيرازيّ	الزنجشيريّ
باب الصاد	زين العابدين بير محمد دره
الصاغانى	باب السين
صديق خان	السبكيّ
باب الطاء	السخاويّ
الطباطبائيّ	السعد
الطبرسيّ	سعدى
الطوسيّ	السفاريّ
الطبيّ	السكاكيّ
باب العين	السمرقنديّ
عبد الله بن أحمد	السمين
عبد الله بك (الشيخ)	السهروردىّ
عبد الله الهنديّ (السيد)	سيبويه
عبد الجبار (القاضي)	السيلكوتيّ
عبد الرزاق (صاحب المصنف)	السيوطيّ (جمال الدين)
عبد العزيز بن يحيى الكفائيّ	باب الشين
عبد القادر الجيلانيّ	الشافعيّ (الإمام)
عبد الكريم بن مالك الجزريّ	الشعرانيّ
عبد المؤمن الدميّاطيّ	شمس الدين ابن القيم
العتبيّ	الشهاب الخفاجيّ
	الشمهرستانيّ

عز الدين بن عبد السلام

المعضد

المطار

علاء الدين الخازن

عياض (القاضي)

باب الغين

الفزالي

باب الفاء

الفارسي

الفاسي ، علي القاموس

الفاكهي وإسماعيل القاضي

الفرّاء

الفلّاني

الفناري

الفيرز آبادي

باب القاف

القاشاني

القالي صاحب الأمالي

القتبي (ابن قتيبة)

القرباب

القرافي

القرطبي

قره علي

القسطلاني

القفال

باب الكاف

الكاكازوني

الكرماني

الكواشي

باب الميم

مارسيه

المارودي (الإمام)

المبرد

المجد (صاحب البصائر)

محمد بن إبراهيم الوزير

محمد بن إسحاق

محمد بن إسماعيل الأمير

محمد بن بحر الرهني

محمد عبده المصري (الأستاذ الإمام)

محمد بن المرتضي اليماني

محيي الدين بن عربي

محيي الدين النووي

المرتضي (الشريف)

المرجاني

باب الهاء

الهمدانيّ (صاحب الإكليل)
الهمدانيّ

باب الواو

الواحديّ (الإمام أبو الحسن)
الواقديّ
وليّ الدين البهلويّ
وليّ الدين التبريزيّ

باب الياء

يحيى بن الحسن (الإمام)

المزنيّ

المقرزيّ

مكيّ (صاحب الكشف)

المفدريّ

موفق الدين بن قدامة

المهايميّ

باب النون

الفاصر

النسفيّ

النوويّ

النويزيّ

٥ - فهرس أسماء الكتب التي تناولها التفسير

الإبانة	أشهر مشاهير الإسلام
الإبانة ، للباقلاني	أصول التفسير
إبراز الحكم ، في شرح حديث رفع القلم	الأطراف لأبي مسعود
إبطال التأويل	إظهار الحق
الأبنية ، لابن القطاع	أعلام الموقعين
الإتقان	أعلام النبوة
الأثر الجليل ، لقدماء وادي النيل	إغاثة اللهنان
اجتماع الجيوش الإسلامية	الاقتصاد في الاعتقاد
الأحكام ، لابن الطلاع	أقسام القرآن
الأحكام ، للجصاص	الإكيل ، للسيوطي
الأحكام ، للفاكهي وإسماعيل القاضي	الإكيل للهمداني
إحكام النظر	أمالى ابن الحاجب
إحياء علوم الدين	أمالى السهيلي
أدب الكاتب	أمالى القالي
الأذكار	الأنساب
أساس البلاغة	الاقتصار ، للقاضي أبي بكر
أسباب النزول ، للسيوطي	الاقتصار
الاستعاذة	إنجيل برنابا
الاستيعاب	إنجيل لوقا
الإسلام والنصرانية	إنجيل متى
الأسماء والصفات ، للبيهقي	إنجيل يوحنا
الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز	الأنوار

تحفة المتقين	إيثار الحق على الخلق
تحجيل الأناجيل	الإيجاز والإعجاز
تخرىج أحاديث الرافعي	الإيضاح
تخرىج أحاديث الهداية	إيقاظ المهمل
القدمرية	الإيمان ، لابن تيمية
تذكرة الحفاظ	البحر
التصريح للشيخ خالد	بدائع الفوائد
التصفية	البدع والحوادث
تفسير ابن كثير	البراهين الإنجيلية
تفسير أبي حيان	ضد الأباطيل البابوية
تفسير البقاعي	البرهان
تفسير الرازي	البسيط للواحدى
تفسير الراغب	البصائر
تفسير السمرقندى	البصائر ، للفيروزابادى
تفسير سورة الإخلاص	البيان والتحصيل ، فى شرح القتبية
تفسير سورة العصر	التاج
تفسير صديق خان	تاريخ العتبي
تفسير الطبرسى	تاريخ ابن عساكر
تفسير السكازونى	تاريخ الكنيسة
تفسير ابن كرامة الجشمى	تأسيس التقديس
تفسير السكواشى	تأويل الأسماء الواقعة فى الكتب السالفة
تفسير النار	التأويلات لابن فورك
تفسير المهايى	التأويلات ، لأبى منصور
التفكير والاعتبار	التبصرة

التقريب	الجواهر والدرر
التلخيص الجدير	حادى الأرواح
التمهيد	الحجة البالغة
التمهيد للأسنوى	الحسبة فى الإسلام
التفوير فى مولد السراج المنير	الحكمة فى خلق المخلوقات
تنوير الاقتباس	حواشى البيضاوى
تنوير المقياس	حواشى تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب
التهذيب	حواشى جامع البيان
التهذيب للتبريزى	حواشى شرح المواقف
التهذيب للنووى	الحيون
التوراة	الخراج
التوكل والاعتبار	الخطط
الجامع الصغير	الدرر البهية
الجامع الكبير	الدرر والفرر
جامع البيان	الدر المنثور
جامع بيان العلم	الدلائل للبيهقى
الجغرافية العمومية	دلائل النبوة ، للأصفهاني
جللاء الأفهام	الذخيرة
جمال القراء	ذخيرة الألباب
جواب أهل الإيمان	الذريعة
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح	ذم التأويل
الجواب الفسيح	ذم الكلام وأهله
الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى	رحمة الأمة
جواهر القرآن	الرد على الجهمية

الرد على المنطقيين	السيوف البتارة
رسالة التوحيد	الشافى
الرسالة ، للشافى	شرح الإبانة
رسالة بولس الثانية	شرح أسماء الله الحسنى ، للغزالي
الرسالة القبرصية	شرح التجريد
الرسالة المخترسة	شرح حديث النزول
الرسالة المدنية	شرح ديوان المتنبي لابن جني
رفع الملام عن الأئمة الأعلام	شرح السنة
الروح لابن القيم	شرح الشافية
الروض الأنف	شرح الشفا
الروضة	شرح الفاسى ، على القاموس
الروضة لابن قدامة	شرح القاموس
الروضة الندية	شرح الكشف
ريحانة النفوس	شرح مسلم
زاد المستنقع	شرح الفصل
زاد المعاد	شرح المقاصد
الزهد ، لابن حنبل	شرح مقصورة حازم
زهر الأكم	شرح المنازل
زوائد المشكاة	شرح المذهب
السنة ، لأبي بكر الخلال	شرح المواقف
سوسنة سليمان	شرح الموطأ
السياسة الشرعية	شرح نظم الفصيح
السيرة	شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد
السييل الجرار	الشفا ، للقاضى عياض

الشَّعْبُ

الصحابة ، لابن منده

الصحاح

صفوت الاعتبار

طبقات ابن سعد

طبقات السبكي

طبقات الشهداء المسيحيين

طريق المهجرين

العياب

العبر لابن خلدون

عراس الأفراح

عروس الأفراح

عقيدة السفاريني

العقيدة الواسطية

عقيدة المسلمين في بعض المسائل القرآنية

علم اليقين

علوم الحديث

العلو ، للذهبي

العواصم

العناية

الغنية ، للجيلاني

غيث النفع

الفاصل بين الحق والباطل

فتح الباري

فتح البيان

فتح القدير

الفتح المبين

الفتوحات المكية

الفرائد

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

الفرقان بين الحق والباطل

الفصوص

فصول البدائع

الفصيح لشعلب

فضائل القرآن

فقه اللغة

الفلك الدائر

الفوز الكبير

فصل التفرقة بين الإسلام والزندقة

القاموس

القواطع

قواعد التصوف

الكافية الشافية

الكامل ، للمبرّد

الكامل ، لابن الأثير

الكشاف

كشف المغطى ، في تبين الصلاة الوسطى

الكشف ، لمكي

مشكاة المصابيح	الكنز الثمين في أخبار القديسين
الشكل ، لابن قتيبة	الكنوز
المصباح	اللباب
المصنف ، لعبد الرزاق	لباب التأويل
المضنون ، للغزالي	لباب النقول
المعارف	لسان الصدق
المعتقد الصحيح ، في صلب السيد المسيح	لسان العرب
المعمرين ، لأبي حاتم	لطائف الأعلام
مغازي الأموي	اللطائف ، للقسطلاني
المغني ، لابن هشام	اللطائف واليوافيت
مفاتيح الأصول في علم الأصول	متشابه الحديث ، لابن فورك
المفتاح ، للسكاكي	متشابه القرآن
مفتاح دار السعادة	المثل السائر
المقابسات	الحكم
المقاصد	المختصر ، للشافعي
مقدمة ابن خلدون	مختصر المزني
المقصد الأسنى	مدارج السالكين
مقصورة ابن دريد	المدارك
الملل والنحل ، لابن حزم	المدحة الكبرى
الملل والنحل ، للشهرستاني	المدنية ، لابن تيمية
مناهج الأدلة	مرشد الطالبين
المناسبات ، للبقاعي	المسالك والممالك
منتخب كنز العمال	المستقصى
المنتقى	المستوفى

منهاج السنة	نقض عثمان بن سعيد
منهاج العابدین	النهاية
منية الأذكياء ، في قصص الأنبياء	نهج البلاغة
المهذب	النهر
الموافقات	النهر ، لأبي حيان
المواقف للمعضد	النهر المورود ، في تفسير آية هود
المواهب اللدنية	نيل الأوطار
الميزان ، للشعراني	وبل الغمام
القاسخ والمنسوخ	الوجيز ، للغزالي
النشر ، لابن الجزري	الوسيلة ، لابن تيمية
النصرانية الحققة	وفية الأسلاف ونجبة الأخلاف
النظام والإسلام	اليواقيت والجواهر
نقد المحصل	